هذا هو الإسلام

(١٠)

الإسلام والتعددية

الاختلاف والتنوع فى إطار الوحدة

د. محمد عمارة



هذا هو الإسلام

(١٠)

الإسلام والتعددية

الاختلاف والتنوع فى إطار الوحدة

الطبعة الأولى لمكتبة الشروق الدولية

١٤٢٩ هـ ـ يناير ٢٠٠٨ م

لقد نالت مخطوطة هذا الكتاب الجائزة العالمية للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) ـ بعمان ـ وجامعة درم ـ بإنجلترا ـ في العلوم الإنسانية والاجتماعية للعام ١٩٩٧م.



٩ شارع السعادة ـ أبراج عثمان ـ روكسي ـ القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٤٥٠١٢٢٨ ـ ٢٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٢٥٦٥٩٣٩

المكتبة: ٢ شارع البورصة الجديدة ـ قصر النيل ـ القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٣٩٢٨٠٧١ ـ ٢٣٩١٣٠٧٢

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

هذا هو الإسلام

(١٠)

الإسلام والتعددية

الاختلاف والتنوع فى إطار الوحدة

د. محمد عمارة



البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

عمارة، محمد، ١٩٣٤ .

الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة. محمد عمارة

ط١ . ـ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨م

٣٠٤ص؛ ١٧ × ٢٤سم. (هذا هو الإسلام؛ ١٠).

تدمك 8- 02- 6278-977-978

١ - التعددية.

٢ ـ الفلسفة الإسلامية.

أ. العنوان. ١٤٧,٤

رقم الإيداع ٢٧٠٧٢ /٢٠٠٧م

الترقيم الدولى I.S.B.N. - 978- 977- 6278 - 02 - 8

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

«التعددية»: تنوع مؤسس على «تميّز.. وخصوصية».. ولذلك فهى لا يمكن أن توجد وتتأتى ـ بل ولا حتى تُتَصَوَّر ـ إلا فى مقابلة ـ وبالمقارنة ـ مع «الوحدة.. والجامع»؛ ولذلك لا يمكن إطلاقها على «التشرذم» و«القطيعة» التى لا جامع لآحادهما، ولا على «التمزق» الذى انعدمت العلاقة بين وحداته..

وأيضًا: لا يمكن إطلاق «التعددية» على «الواحدية» التى لا أجزاء لها، أو المقهورة أجزاؤها على التخلى عن «المميزات ـ والخصوصيات».. على الأقل عندما يكون الحكم على عالم «الفعل»، لا على عالم «الإمكان» و«القوة».

فأفراد العائلة: تعدد فى إطار وحدة العائلة، وفى مقابلتها.. والذكر والأنثى: تعدد فى إطار وحدة النفس الإنسانية.. والشعوب والقبائل: تعدد فى جنس الإنسان.

فدون الوحدة الجامعة لا يتصور تنوع وخصوصية وتميّز، ومن ثم تعدد.. والعكس صحيح..

وللتعددية مستويات، يحددها «الجامع.. والرابط» الذى يجمع ويوحد ويظلل وحداتها وأفرادها.. فعلى المستوى العالمى ـ مثلا ـ هناك تعددية الحضارات المتميزة، والقوميات المختلفة، المؤسسة على تعدد فى الشرائع والمناهج والفلسفات واللغات والثقافات، وبينها جميعًا جامع الاشتراك فى الإنسانى الذى لا تمايز فيه ولا اختلاف.. وعلى مستوى كل حضارة من الحضارات: هناك تعددية فى المذاهب

ومدارس الفكر وفلسفاتها، وتيارات السياسة وتنظيماتها، وقد تكون فى بعض الحضارات تعددية في القوميات واللغات والأوطان.. تتمايز وحدات التعددية في الخصوصيات المتعددة، مع اجتماعها كلها في «رابط» الحضارة الواحدة و«جامعها»..

والتعددية ـ ككل الظواهر والمذاهب الفكرية ـ لها «وسط» ـ «عدل ـ متوازن» ـ ولها طرفا «غلو»، أحدهما «إفراط» والآخر «تفريط»! و«وسطها ـ العدل ـ المتوازن» هو الذى يراعى العلاقة بين «التميز.. والتنوع.. والتعدد» وبين «الجامع.. والرابط.. والوحدة».. بينما يمثل التشرذم «غلو القطيعة والتناقر» الذى لا جامع له.. كما تمثل «الواحدية» ـ المنكرة للخصوصيات والتمايزات ـ «غلو القهر» المانع من تميز الفرقاء واختصاصها»!..

وإذا كانت الرؤية الإسلامية قد قصرت «الوحدة»، التى لا تركب فيها ولا تعدد لها على الذات الإلهية وحدها، دون كل المخلوقات وجميع المُحْدَثات وسائر الموجودات فى كل ميادين الخلق وعوالمه ـ المادية والحيوانية والإنسانية والفكرية ـ تلك التى قامت جميعها على التعدد والتزاوج والتركب والارتفاق.. فإن هذه الرؤية الإسلامية تكون ـ بهذا الموقف الثابت ثبات الاعتقاد الدينى، بل جوهر هذا الاعتقاد ـ قد جعلت من التعددية ـ فى كل الظواهر المخلوقة.. ـ «سنّة» من سنن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الخلق والمخلوقات جميعا، و«آية» من الآيات التى لا تبديل لها ولا تحويل..

إنها «القانون» الإلهى، و«السنة» الإلهية ـ الأزلية الأبدية فى ميادين الكون المادى، والاجتماع الإنسانى، وشئون العمران الدنيوى وميادينه.. وبها تتميز وتختص «الوحدانية والأحدية» فى ذات «الحق».. كما تتميز وتختص «التعددية» بكل ظواهر «الخلق»!..

وإذا كانت «الوسطية الجامعة» ـ فى الرؤية الإسلامية ـ هى خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية، ومعلم من معالم المنهج الإسلامى، يشهد عليها القرآن الكريم المنبئ عن «جعل» الله سبحانه وتعالى ـ هذه الأمة أمة وسطا ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].. وهى وسطية العدل أي التوازن الذى لا يقوم إلا بجمع عناصر الحق والصواب من طرفى غلو الإفراط والتفريط، وتمييزها وتأليفها موقفا ثالثا وسطا ومستقلا.. وذلك على النحو

الذى حدده الحديث النبوى الشريف الذى يقول فيه الرسول ﷺ : «الوسط : العدل، جعلناكم أمة وسطا»[1].

إذا كان هذا هو معنى الوسطية الإسلامية، فإن التعددية - الموزونة بميزانها - لا بد وأن تكون تميُّزا لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعًا لمذاهب وتيارات تظللها مرجعية التصور الإسلامى الجامع، وخصوصيات متعددة فى إطار ثوابت الوحدة الإسلامية. و«جامع الإسلام» هذا لا يقف عند دائرة الاعتقاد الدينى الإسلامى وحدها، فيكون مانعًا لغير المسلمين من الوجود المتميز فى إطاره، وإنما هو شامل لدوائر الحضارة والثقافة ومنظومة القيم الإيمانية التى تجمع غير المسلمين فى هذه الدوائر المتعددة والمترامية الآفاق لجامع الإسلام - الأمر الذى يجعل هذه التعددية : نموًا وتنمية للخصوصيات، مع احتفاظ كل فرقائها، وأطراف الخصوصيات، وأفراد التنوع بالروح الإسلامية، والمزاج الإسلامى، وتواصل الفروع مع أصل الشجرة الطيبة لكلمة الإسلام، التى هى بلاغ الله إلى رسوله ﷺ وبيان هذا الرسول إلى العالمين! . .

من هذا المنظار - وهذا المنهاج - يكون طريق النظر الإسلامى إلى قضية التعددية، فيراها قانون التنوع الإسلامى فى إطار الوحدة الإسلامية.

* * *

إن كلَّ من وما عدا الذات الإلهية - «الحق . . واجب الوجود» - من سائر أصناف «الخلق، والموجودات»، وكذلك سائر ميادين العمران البشرى، والفكر الإنسانى - قائم على الازدواج، والتعدد، والتركب، والارتفاق. سُنَّة من سنن الله - سبحانه وتعالى - وآية من آياته فى سائر عوالم الخلق، لا تبديل لها ولا تحويل. .

■ ففى «القوميات والأجناس» تعددية، يتحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها «آية» من آيات الله فى الاجتماع الإنسانى، فيقول ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢)﴾ [الروم: ٢٢]. . وهى تعددية فى إطار «جامع : الإنسان». .

---

(١) رواه الإمام أحمد.

■ وفى «الشعوب والقبائل» هناك تعددية تثمر التمايز الذى يدعو القرآن إلى توظيفه فى إقامة علاقات «التعارف» بين الفرقاء المتمايزين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات: ١٣].. فتعددية التمايز إلى شعوب وقبائل قائمة فى إطار «جوامع التعارف» بين بنى الإنسان.

■ وفى «الشرائع والمناهج»، ومن ثم فى «الحضارات» ـ فضلا عن أمم الرسالات الدينية ـ هناك تعددية يراها القرآن الكريم الأصل الدائم والقاعدة الأبدية والسنة الإلهية، التى هى الحافز للتنافس فى الخيرات، والاستباق فى الطيبات، والسبب فى التدافع الذى يقوم ويرشد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء.. فهى المصدر والباعث على حيوية الإبداع الذى لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصية بين الحضارات ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].. حتى ليتحدث المفسرون لهذه الآية ـ عن هذا الاختلاف وذلك التنوع وتلك التعددية فى الشرائع والمناهج باعتبارها علة الخلق، فيقولون: إن المعنى «وللاختلاف خلقهم».. فكأنما التعددية هى علة الوجود!..[1] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ [المائدة: ٤٨] فالتعددية هى الحافز على امتحانات وابتلاءات واختبارات المنافسة والاستباق فى ميادين الإبداع بين الفرقاء المتمايزين فى الشرائع والمناهج والحضارات..

وفى إطار تعددية «الشرائع» تحت «جامع الدين الواحد» جاء الحديث فى القرآن الكريم عن نجاة أصحاب الشرائع المتعددة، إذا هم جمعتهم جميعاً أصول:

١ ـ الإيمان بالألوهية الواحدة.. والربوبية الواحدة.

٢ ـ والإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب والجزاء.

٣ ـ والعمل الصالح فى الحياة الدنيا.

---

(١) القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص ١١٤، ١١٥. طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)﴾ [المائدة: ٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ [البقرة: ٦٢]

بل وتجب جميع العناصر المؤمنة من أهل الكتاب، شأن القرآن الكريم، في تعدديته يتميز فيه بين (إذا سمعوا ما أنزل إلى رسول الله ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) عن الذين لا يزيدهم هدى ما أنزل على الرسول إلا (طغيانا وكفرا)[1]

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)﴾ [المائدة: ٦٨]

فأهل الكتاب فرقاء، متعددون، وليسوا سواء ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾

[آل عمران: ١١٣ـ ١١٥]

وفي هذا الإطار أيضًا «وحدة الدين»، و«تعددية الشرائع» ـ جاء القرآن بتقرير هذه الحقيقة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣] [illegible] [illegible] مناهج أم الرسالات، في إطار «جامع الدين الواحد»، [illegible] «الأنبياء إخوة لعلات [illegible] متعددات) "دينهم واحد، وأمهاتهم شتى"(١)

■ [illegible]

[illegible] الدستور كانت هناك «التعددية» في إطار [illegible]

[illegible]

«الوحدة» نصت «مواد» الدستور، فقالت:

«المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس».

«وأن يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»

«وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبِرّ دون الإثم».

«وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله»(٢)

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ص ١٥_٢١ [illegible]

[illegible] مرجعية الشريعة الواحدة تعددت الانتماءات القبلية والقبيلة، ونظم الدستور علاقات [illegible] الانتماءات القرعية المتعددة.

■ [illegible]

[illegible] عاد إلى الكفر [illegible] على الإسلام لدى كان «الكلمة [illegible]

[illegible] لرعية الأمة.. فهم قد شقوا جامع الوحدة الدينية مع [illegible]

[illegible] وجامع الوحدة السياسية للأمة والرعية والدولة [illegible] في أسباب نزول الآية [illegible]

[illegible]

[illegible] السياسية، فلقد اتسع لأهلها إطار هذا الجامع [illegible] لجامع «الإسلام الدين»؛ لأن «الجامع السياسي» في دولة الإسلام الأولى - قد اتسع لأكثر من دين[1].

وكذلك كان الحال مع «المنافقين» [illegible] فهم رغم الانخراط في جماعة المؤمنين [illegible] السياسي في الأمة والدولة والرعية [illegible]

---

(١) السيوطي (أسباب النزول) [illegible] ص ٧١ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م [illegible]

تظهر عندئذ التي تصبح عدواً! فقد صاروا في إطار الجماعة، واستحقوا صحبتهم للرسول والمؤمنين... فظل الرسول ﷺ محافظاً على مقتضيات هذه الجماعة، ومنعه من ثَمَّ مطالب بقتلهم على خطأ قتل الأصحاب!.

وفيما يرويه الصحابي جابر بن عبد الله «لما قسم رسول الله ﷺ غنائم هوازن بين الناس بالجعرانة، قام رجل من بني تميم فقال:

- اعدل يا محمد!

- فقال ﷺ: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟! لقد خبت وخسرت إن لم أعدل»!

- فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله: ألا أقوم فأقتل هذا المنافق؟!

- فقال ﷺ: «معاذ الله أن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه»!(1).

فحتى أمام «النفاق» بمعنى الكفر والطعن الباطن - وهو في الدرك الأسفل من النار - لأن النفاق أسوأ من صريح الكفر! - ومع ذلك يعتبره رسول الله ﷺ من «أصحابه» لأنه قد حافظ على الوحدة السياسية للأمة والدولة، وشارك في معاركها، وكان له كغيره - نصيب من غنائمها... فاستعاذ الرسول ﷺ بالله من أن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل من حافظ على الوحدة السياسية للأمة، حتى ولو كان قد فارق الإيمان الديني بالنفاق!

● بل لقد وسعت «وحدة الأمة الإسلامية» ألواناً من الاختلافات السياسية بلغت حد القتال بالأسلحة لأن فرقاء هذا القتال قد ظلوا على ولائهم للأمة "الواحدة"، فحافظوا على "الجامع السياسي"، وعلى ولائهم للدين الواحد"، فحافظوا على "الجامع الديني"، فكان قتالهم على "السلطان" لا على "الدين" وكان حقيقاً رغم القتال على ولاء الوحدة السياسية ووحدة الدين.

ولقد كان صراع «الفتنة الكبرى» - بين الراشدين - في هذا الإطار الذي

(1) رواه الإمام أحمد

وسعت فيه «وحدة الأمة» فرقها ومللها ونحلها وذلك لأن الصراع... فلم يكن فيه تكفير لمخرج لأى منهم من «الأمة» ولا من «الملة»، ولا من «الجماعة».

وفي موقعة «صفين» (٣٧هـ - ٦٥٧م)، التي مثلت قمة صراعات تلك الفتنة، يتحدث الإمام علي بن أبي طالب عن «الجامع الديني» الموحد للفرقاء المقتتلين، وكذلك «الجامع الدنيوي»، فيقول: «لقد التقينا، وربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء»[1]. فالدين واحد والجامع واحد و«الأمر واحد» والجامع... والخلاف في «دم عثمان» (رضي الله عنه)، فقط.

ثم يرد الإمام على شبهة الخوارج وتأويلهم الفاسد الذي كفروا به معاوية وأهل الشام، فيقول: «إنا والله ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء -(الخوارج) من التكفير والافتراق في الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة -(أي جماعة السياسة)- وإنهم لإخواننا في الدين، قبلتنا واحدة. ورأينا أنا على الحق دونهم»[2].

ثم يؤكد الإمام علي أن مصدر النزاع هو «الشبهات» ثمرة «التأويل» فهي لا تخرج من «أخوة الإسلام»، فيقول: «لقد أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عما سواها»[3]. وعندما سئل عن رأيه في «حرب» قتلى الفريقين؟ أجاب: «وإني أرجو ألا يُقتل أحد نقي قلبه، منا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة»[4].

---

(١) ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة) ج١٧ ص ١٤١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.

(٢) الباقلاني (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) ص ٢٣٧، ٢٣٨، تحقيق محمود محمد الخضيري، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

(٣) الإمام علي (نهج البلاغة) ص ١٤٧، ١٤٨ طبعة دار الشعب القاهرة.

(٤) الباقلاني (التمهيد) ص ٢٣٧.

[illegible] ورقاتها!!.

■ [illegible]

«الجامع» [illegible] في [illegible]

لقد اتفق المسلمون على «أصل» [illegible] «الإمامة»، وعدّوها «واجبًا [illegible]» [illegible] «الواجبات [illegible]» [illegible] بعد الاتفاق على هذا «الأصل الجامع» [illegible] «الموحّد» [illegible] و«الإمامة» من حيث [illegible] «الإمامة»، على «طريق الوجوب» [illegible]

[illegible]

وفي آفاق هذه الفروع حدثت وكثير [illegible] التي بلورت فرق المسلمين وتياراتهم السياسية، [illegible] السيوف!

ولا شك [illegible] في مواطن «الاجتهاد» [illegible] - أيضًا - على [illegible]

[illegible]

حجة الإسلام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ [illegible]

[illegible] بل من الفقهيات [illegible]

[illegible]

ثم يمضي أبو حامد ليحدد معايير [illegible] خاصة منها السياسة والإمامة [illegible] أنه لا تكفير في الفروع أصلاً. لا في مسألة واحدة،

(١) (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ١٣٤ [illegible]

وهي أن ينكر أصلاً دينياً عُلم من الرسول ﷺ بالتواتر، لكن، في بعضها تخطئة، كما في الفقهيات، وفي بعضها تبديع، كالخطأ المتعلق بالإمامة، وأحوال الصحابة، واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيء منه تكفيراً، فقد أنكر ابن كيسان[1] أصل وجوب الإمامة، ولا يلزم تكفيره... ولا يُلتفت إلى قوم يعظمون أمر الإمامة ويجعلون الإيمان بالإمام مقروناً بالإيمان بالله ورسوله، ولا إلى خصومهم المكفّرين لهم بمجرد مذهبهم في الإمامة، فكل ذلك إسراف، إذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول ﷺ أصلاً، ومهما - (متى) - وُجد تكذيب وجب التكفير وإن كان في الفروع... والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل»(٢).

[illegible] كما جاء به الرسول ﷺ هذه التعددية السياسية، التي [illegible]

■ [illegible] العمران الإنساني. فإن تعددية «المذاهب [illegible] [illegible] «الجامع الموحد» لهذه «التعددية الفقهية» هو «الشريعة الإلهية [illegible]». والتي وضع الفقهاء مذاهبهم في [illegible]

فالشريعة مثلت «وحدة» [illegible]

[illegible] (٢٩٩هـ/ ٩١٢م) وهو عبد [illegible]

[illegible] جعلت الإمامة في محمد ابن الحنفية

[illegible]

[illegible]

[illegible] النظر والتأمل»

ولتمييز «الفقه» عن «الشريعة» لا تُسمى الله ـ سبحانه وتعالى ـ «فقيها» [illegible] الفقيه «شارعاً»[1]

■ [illegible] هو «التصديق» [illegible] اتسع لتعددية أثمرها «التأويل» [illegible] يتأولون بقواعد التأويل ـ التي [illegible] التصديق الجامع» انفسحت أمامهم [illegible] «الإسلامي» [illegible]

[illegible] (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) [illegible]

إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية [illegible] في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه، أو [illegible]

أو غير ذلك [illegible]

[illegible] التأويلات المتعددة لما أخبر به الصادق» [illegible]

---

(١) الجرجاني (التعريفات) طبعة [illegible]

(٢) [illegible] ٣٢ [illegible] القاهرة سنة ١٩٨٣م

[illegible]

الوجود الذاتي: [illegible] الحس والعقل عنه صورة، فتسمى أخذه إدراكاً.

والوجود الحسي: الذي يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج [illegible] يختص به الحاس، ولا يشاركه غيره، وذلك كما يشاهد النائم، بل كما يشاهد المريض المتيقظ.

والوجود الخيالي: وهو صورة هذه المحسوسات إذا غابت عن الحس، وحدث [illegible] صورتها في الخيال

والوجود العقلي: [illegible]

والوجود الشبهي: وهو أن لا يكون نفس الشيء موجوداً، لا بصورته ولا بحقيقته، لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل، [illegible] يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته

وكل من نزّل قولاً من أقوال صاحب الشرْعَة (ﷺ) على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين، وإنما التكذيب: أن ينفي جميع هذه المعاني، ويزعم أن ما قاله لا معنى له، وإنما هو كذب محض، وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا، وذلك هو الكفر والزندقة، ولا يلزم كفر المتأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل. وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه؟ [illegible]»

[illegible] اتسعت آفاقها أمام «تيارات الفكر الإسلامي» [illegible]

وهكذا ظل «الجامع الإسلامي» [illegible]

[illegible]

متعددة ... وفي [illegible] ... وفي مذاهب متعددة ... وفي التيارات الفكرية [illegible]

[illegible]

[illegible]

واليوم الآخر، وخير الصديق عليه الصلاة والسلام.

* * *

بل إن «السبيل الإسلامية»، التي حددها الإسلام - والتي تميزت بها شريعته - في «حل المتناقضات» بين فرقاء التعددية وأقطاب الاختلاف، جاءت طبيعتها وغاياتها ومقاصدها تكرس قيم هذه «التعددية» عند المستوى الوسطي، الذي لا يذهب بها إلى «نفي الآخر» و«التنميط» ... ولا إلى «التشرذم» و«القطيعة» التي لا رابط ولا جامع يوحد بين فرقائها ... فلقد رفض الإسلام منهاج «الصراع» سبيلاً لحل المتناقضات بين فرقاء التعددية؛ لأن «الصراع» غاياته «الصرع» ... وإفناء ونفي الآخر، ومن ثم فهو ينفي التعددية ويلغيها ... [illegible] ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية﴾ [الحاقة: ٥-٨].

[illegible]

وبدلاً من «الصراع» سبيلاً لحل المتناقضات بين فرقاء التعددية، زكى الإسلام «سبيل التدافع» الذي لا يستهدف «نفي الآخر»، وإنما يستهدف «تعديل موقعه» من «المعايير الإسلامية الجامعة والضابطة والحاكمة»، فهو «حراك» لا «هلاك»، و«تعديل» في المواقع والمواقف لا «نفي وإفناء» للآخرين..

[illegible]

[illegible]

حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] [illegible] «التدافع» لا يعني [illegible] الآخر [illegible] وإنما تحويل [illegible] «الحراك» بواسطة «التدافع»، مع بقاء «تعددية الفرقاء المتمايزين».

[illegible] الإسلامية [illegible] «التدافع» [illegible]

وهذا يعني اقتران التقدم بالتعددية، [illegible] لا تدافع؛ لأنه مستحيل بدون وجود [illegible] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾ [البقرة: ٢٥١].

[illegible] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج: ٣٨-٤١] [illegible] «الصلح»!!

فهي - إذن - سنة إسلامية واضحة:

[illegible]
يغيب المعنى وتغيب الحكمة عن الطرف الآخر!

■ «فالشرائع» المتعددة لا تتأتى تعدديتها إلا في إطار «الدين الواحد» وبالنسبة إليه، وبالمقارنة معه..

■ و«الحضارات» المتعددة، لا تتأتى تعدديتها إلا في إطار «المشترك الإنساني العام» المتميز عن الخصوصيات الحضارية..

■ والتعددية داخل أية حضارة من الحضارات لا تتأتى إلا مع وجود مرجعية الوحدة والجامع الواحد، في هذه الحضارة.. فلو انتفت المرجعية الواحدة - والموحِّدة للحضارة - لتغير معنى «التعدد» في هذه الحضارة أيضًا!

فلا تعددية بدون «استقلال» و«تميز» الحضارات في العالم الذي نعيش فيه!.. ولا تعددية بغير حق الاختلاف لكل الفرقاء المختلفين في مواطن الاختلاف!.

[illegible]

وتلك هي مهمة فصول هذا الكتاب.



التعددية والاختلاف
من سنن الفطرة..
والقوانين التى لا تبديل لها ولا تحويل

الإسلام [illegible] طبيعة الإيمان به ـ سبحانه وتعالى ـ [illegible]

[illegible]
الإيمان الفطرى بخالق صانع، هو الله.

وفى الإسلام تطلع [illegible] الاختلاف [illegible]
الفطرة التى فطر الله الناس عليها [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
و[illegible] للعمران ـ هو المصدر الأول لالتماس موقف الإسلام من التعددية
والاختلاف [illegible] «فكرة حديثة أو طارئة» [illegible]
أو [illegible]، وإنما بإزاء «مبدأ إسلامى» أصيل [illegible] «جعل إلهى»، [illegible] «أزلية ـ
أبدية» قد فطر الله عليها جميع المخلوقات.. [illegible] يكون الناس نمطاً واحداً أو قالباً
فرداً، وإنما كانوا ولا يزالون مختلفين ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون
مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وقد كانت [illegible] أمة واحدة في [illegible] والشريعة، فلما حدث فيها الاختلاف [illegible] متعددة في الشرائع [illegible] متعددة [illegible] الرسالات، فكانت [illegible] ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) ﴾

[البقرة: ٢١٣].

وقد كانت [illegible] الأمة الواحدة [illegible] في عقائد وأصول الشرائع ﴿ وَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [illegible] الرسالات والرسل والأنبياء بتعدد الأمم [illegible] واحدة [illegible] متعددة، والكتب متعددة.. فكانت التعددية في الشرائع [illegible] واحدة [illegible] من خلال الكتب المتعددة [illegible] الشرائع المتعددة [illegible] الأمم المتعددة [illegible] اختلفت فيه هذه الأمم.. والاختلاف هنا طبيعي، وغير مذموم.. ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ فهو اختلاف في الشرائع [illegible] عطف في (فبعث) تحكي [illegible] مرحلة متعددة تالية لمرحلة الأمة الملة الواحدة.

أما الاختلاف الآخر - في داخل الأمة الواحدة، المخاطبة بالشريعة الخاتمة، وبعد مجيء كتابها بالبينات - فهو مغاير للاختلاف المحمود والطبيعي؛ لأنه اختلاف في الشريعة الواحدة الخاتمة، وليس اختلاف شرائع أمم الرسالات المتعددة في إطار وحدة الدين، ولذلك عطف (الواو) - الدالة على المغايرة للاختلاف الأول - ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾ [البقرة: ٢١٣] - فاختلاف الشرائع هو تنوع طبيعي في إطار جامع

(١) الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة) ج٤ ص٢٥١ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة [illegible] سنة ١٩٩٣م

الدين الواحد، أما الاختلاف في أصول الاعتقاد الديني أو أصول الشريعة الواحدة فإنه تشرذم وقطيعة، والخلاف الذي لا جامع لأطرافه وفرقائه.

[illegible] فالقدماء قد جعلوا هذا الاختلاف والتنوع علة في [illegible] «ولذلك خلقهم»[1]. والمحدثون زادوا هذه [illegible] الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ / [illegible] - ١٩٣٥ م) [illegible] خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم وشعورهم، وما يتبع ذلك من إراداتهم واختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك الدين والإيمان والطاعة والعصيان. فالاختلاف طبيعي في البشر، وفيه من الفوائد والمنافع العلمية والعملية ما لا تظهر مزايا نوعهم بدونه. وقد شرع الله لهم الدين لتكميل فطرتهم، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بكتاب الله الذي لا مجال فيه للاختلاف»[2].

وانتصر [illegible] الذي يقول: «إن اختلاف الطبائع المنتهية إلى اختلاف البنى أمر لا مناص منه في العالم الإنساني. ذلك أن التركيبات البدنية مختلفة في الأفراد، مما يؤدي إلى اختلاف الاستعدادات البدنية والروحية، وبانضمام اختلاف الأجواء والظروف إلى ذلك يظهر اختلاف السلائق والسنن والآداب والمقاصد والأعمال النوعية والشخصية في المجتمعات الإنسانية التي لولاها لم يعش المجتمع الإنساني»[3].

---

(١) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ٩ ص ١١٤، ١١٥.

(٢) (تفسير المنار) ج ١٢ ص ١٩، ٢٢. طبعة [illegible] بيروت. ولقد كان الفضل في جمع كثير من [illegible]

(٣) [illegible]

[illegible]

[illegible] وكيف يجتمعون على الإصغاء - (الرأى واحد).

وقد حكم عليهم فى الأزل بأنهم لا يزالون مختلفين [illegible] إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم[1]

[illegible]

[illegible] الإنسانية هو رابطة الائتلاف [illegible] يجوز أن يكون الناس مختلفين فى ظاهرهم .. ولا يختلفون فى باطنهم [illegible] فى الحكمة أن يكثروا ولا يختلفوا، وليس يجوز أيضاً أن [illegible][2]

[illegible] خلق كل شيء فقدره تقديرا [illegible] [3]

[illegible] ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور [illegible] [3]

[illegible] هو الحافز للتعدد والتنوع [illegible] انتصاراً من كل فريق [illegible] التعددية وهذا التنوع والاختلاف [illegible] لتنافس بين الأفراد والأمم والأفكار [illegible] أسناً، وموات لا حيوية فيه، [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible] القصور العوالى من رسائل [illegible] القاهرة مكتبة الخدمى [illegible]

(٢) أبو حيان التوحيدى (الإمتاع [illegible] الزين، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٤م

ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨)﴾ [المائدة: ٤٨]

[illegible] ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين [illegible] ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا [illegible] [الحج: ٤٠] [illegible] ١٣٢٦ ـ ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م [illegible] يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض [illegible]

[illegible] ولقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض [illegible] أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرماتها [illegible] وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان».

[illegible] ذلك وفق حاجات الأمم والأجيال [illegible] عما تدخله عليها الناس، حتى [illegible]

[illegible]

ويجوز الاختلاف في غير الجامع (أصول الشريعة) [illegible] وإن كان الاختلاف فيهم ضررًا، لأنه من صنع البشر، [illegible] يجب عليهم [illegible] أن يحتكموا فيه إلى الكتاب والسنة حتى يزول، ولا يجوز أن [illegible] عليه «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول» [النساء: 59](1)

فالتنوع والاختلاف الطبيعي [illegible] لا يكون في الأصول الجامعة [illegible] فإذا حدث الخلاف في الأصول الجامعة كان «تنازعًا» وليس «تنوعًا»، وعند الخلاف في [illegible] في موضع [illegible] في الجامع [illegible] الموحد! [illegible] الجامع الموحد!.

فلابد من «جامع» للتنوع، ومرجع للاختلاف [illegible] حتى تكون التعددية وسطًا عدلًا متوازنًا [illegible] في الجامع [illegible] الاختلاف [illegible] الناس [illegible] ومجتمعات [illegible](2).

* * *

ولقد كتب «الإمام» [illegible] الإسلامية [illegible] الاجتهاد [illegible] السيوطي (849-911 هـ / 1445-1505م) «فرض [illegible] في كل عصر [illegible] أن يقوم به طائفة من كل قطر»(3). فإن فريضة الاجتهاد هذه لا تأتي إلا مع التعدد والاختلاف في الاجتهادات.

(1) الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة) ج4 ص 407

(2) أبو حيان التوحيدي (المقابسات) ص 83. تحقيق محمد توفيق حسين. طبعة دار الآداب بيروت سنة 1989م.

(3) انظر (كتاب الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض) ص 97-116، طبعة بيروت سنة 1403هـ/ سنة 1983م

[illegible] الإسلام [illegible] معصومة في عصر [illegible] وفقه الكتاب وتشريع الأحكام [illegible] الاجتهاد [illegible] الإسلام [illegible] الاجتهاد [illegible] على «أولي الأمر» - العلماء - [illegible] الاجتهاد، الذي لا بد معه من التعددية في الاجتهادات: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾ [النساء: ٨٢، ٨٣]. . [illegible] المجتهدين لا بد وأن يثمر تعدد وتنوع واختلاف الاجتهادات [illegible]

[illegible] الاجتهاد [illegible] «من اجتهد برأيه فأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد»[1].

[illegible] الاجتهاد [illegible]

- «كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟»

- قال: «أقضي بكتاب الله».

- قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟»

- قال: «فبسنة رسول الله ﷺ».

- قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟»

- قال: «أجتهد رأيي ولا آلو».

[illegible]

ـ قال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسوله» .

[illegible] الاجتهاد يومئذ لم يكن خاصًا بالقاضى [illegible] معاذ بن جبل رضى الله عنه . . [illegible] أن تعدد القضاة الفقهاء ـ يومئذ ـ [illegible] جعل الاجتهادات متعددة، على النحو الذى [illegible] الشريع . [illegible] معاذ كان هناك فى [illegible] ، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، [illegible] والعلاء بن الحضرمى، ومعقل بن [illegible] وعتاب بن أسيد، وأبو موسى [illegible] [illegible](٢).

[illegible] الفاعلة ـ من قواعد الفكر الإسلامى ـ التجلى الأدق والأوضح لمبدإ التعددية فى الفكر [illegible] ـ فى حضارة الإسلام . .

[illegible] اجتهاده فقط، وإنما باعتباره «حكم الله فى حقه» . . و [illegible] الإمام شهاب الدين القرافى (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م): «وقد [illegible] الحكم [illegible] انعقاد الإجماع على أن كل مجتهد إذا غلب على ظنه حكم فهو حكم الله تعالى فى حقه، وحق من قلده» . .

[illegible]

(٢) المالكى، [illegible] الأعظمى طبعة القاهرة سنة ١٩٧٨م

(٣) القرافى (كتاب [illegible] تحقيق عبدالله إبراهيم صلاح طبعة [illegible] ١٩٩١م فى ذيل كتاب ([illegible] الإسلامى)

[illegible] "الاجتهاد الجماعي المؤسسي" [illegible] عصر النبوة، وفي حديث رسول الله ﷺ [illegible] علي بن أبي طالب أنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: [illegible] سنة؟ قال: «اجمعوا العالمين من المؤمنين، فاجعلوه شورى بينكم، ولا تقضوا فيه برأي واحد» [illegible] الاجتهاد الجماعي [illegible] يكن في الأمر كتاب ولا سنة.

[illegible] لقانون الحكم للمجتمع، وصفتها في الممارسة [illegible] «فعن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر [illegible] يقضي بينهم قضى، وإن لم يجد في الكتاب [illegible] سنة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: [illegible] أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ [illegible] فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به..»[2].

[illegible] بالشئون العامة والفروض الكفائية [illegible]

وفي خطاب عمر بن الخطاب إلى القاضي شريح بن الحارث الكندي (٧٨هـ/ ٦٩٧م) يقول له: «إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا تلتفت عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله، فانظر في سنة رسول الله ﷺ فاقض بها، [illegible] ما ليس في كتاب الله، ولم تكن فيه سنة رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس

---

(١) [illegible] ص ٩٥ طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧هـ/ سنة ١٩٨٨م

(٢) رواه الدارمي

فحدد له، [illegible]

[illegible]

فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر.

[illegible]

* * *

[illegible] الإسلامي ـ تلك المحاولات التي رادت [illegible] "الاجتهادات" [illegible] وهي محاولات وفدت [illegible] شروطه الحكم بالحق الإلهي، وقدسية قانون كسرى، [illegible] السماء الذي لا اجتهاد معه لبشر . . وقد نقلت هذه المحاولات إلى الحياة الإسلامية [illegible] في البلاط العباسي، على [illegible]

[illegible] وأمر في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ويعزم عليه، وينهى عن القضاء بخلافه، [illegible]

[illegible]

(١) [illegible] ص١٤٩ طبعة القاهرة سنة ١٣٤٢هـ.

(٢) [illegible] والنقل عن [illegible]

والتي تضم أقاليمها وولاياتها المتمايز من الأعراف والعادات، والمختلف من الاجتهادات، والمتعدد من مذاهب أئمة الإسلام..

ولما وُلّي المنصور، فكر في [illegible] ما أشار به ابن المقفع [illegible] فعرض هذا الرأي على الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ ٧١٢-٧٩٥م) مقترحًا اعتماد اجتهادات مالك، وكتاب (الموطأ) قانونًا واحدًا يحل محل التعددية الاجتهادية في أمصار دولة الإسلام.. لكن الإمام مالكًا - انطلاقًا من مكانة التعددية في الرؤية الإسلامية، ودورها في تزكية وتنمية الاجتهاد في الإسلام - رفض هذا الاقتراح - رغم ما فيه من انتخاب لاجتهاداته، وسيادة لمذهبه... فعندما قال له المنصور:

«لقد عزمت أن آمر بكتبك هذه التي صنعتها فتنسخ، ثم أبعث في كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوه إلى غيره»

كان جواب الإمام مالك [illegible] الرفض [illegible] توحيد الاجتهادات في فقه المعاملات - وهو علم الفروع - فقال للمنصور: **«يا أمير المؤمنين، لا تفعل هذا؛ فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وأتوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم».**

ويبدو أن هارون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ ٧٦٦-٨٠٩م) قد عاود الكرة مع مالك [illegible] المشورة في أن يعلق الموطأ على الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه!.. فعاد مالك لرفض ذلك، وقال للرشيد: **«لا تفعل؛ فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وكلٌّ سُنَّة مضت»** فاقتنع الرشيد برأي مالك، وأثنى عليه، فقال: «وفقك الله يا أبا عبد الله»[1]!

فاستمرت التعددية في فروع فقه المعاملات المستظلة بجامع مبادئ الشريعة وهو عدلها [illegible] وظلت محفوظة هذه التعددية في الاجتهادات [illegible] الإسلامية عبر تاريخ حضارتنا - تعطي للمذاهب الاجتهادية عطاءات الأمصار وخصوصيات الأقاليم في فقه الفروع [illegible] لم تعرف هذه الأمة القانون الموحد إلا بعد ذبول وضمور

---

(1) [illegible] جـ ١ ص ٤٤

وتوقف الاجتهاد في فقه المعاملات، وعندما وضعت الدولة العثمانية "مجلة الأحكام العدلية" سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م - وهي وقت متأخر جداً - عندما جمعت القواعد وتقنينها، ظلت الأبواب مفتوحة أمام تغيير القوانين المستمدة من هذه القواعد بتغير العادات والأعراف والمصالح في مختلف الأقاليم والولايات.

بل إن مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - الذي علَى من مقام "عمل أهل المدينة" حتى رأى ضرورة التزامه في كل أمصار المسلمين، باعتباره "السنة العملية" المروية عن الصحابة عصر النبوة.. نجد الليث بن سعد (٩٤ - ١٧٥هـ ٧١٣ - ٧٩١م) وهو من هو بين عباقرة فقهاء الإسلام يراجعه في هذا الرأي. ويكتب إليه صفحة مشرقة في الدفاع عن حق علماء الأمصار في تعددية الاجتهادات، حتى في الاختلاف مع "عمل أهل المدينة".. يكتب الليث إلى مالك فيقول:

".. وأما ما ذكرت من مُقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه، وما علّمهم الله منه، وأن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه، فكما ذكرت.

وأما ما ذكرت من قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبَعُوهُم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيم (١٠٠)﴾ [التوبة: ١٠٠] فإن كثيراً من السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد، واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة.. فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قُبضوا، لم يأمروهم بغيره، فلا تراه يجوز لأجناد المسلمين أن يُحْدِثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا في الفتيا في أشياء كثيرة.. ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله ﷺ - سعيد بن المسيب ونظراؤه - أشد الاختلاف، ثم اختلف الذين كانوا بعدهم فحَضَرْتَهم بالمدينة وغيرها، ورأسهم يومئذ ابن شهاب، وربيعة بن أبي عبدالرحمن، وكان من خلاف ربيعة لبعض ما قد مضى ما قد عرفتَ وحضرتَ.. ومن ذلك،

القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت أنه لم يزل يُقضى بالمدينة به، ولم يقض به أصحاب رسول الله ﷺ بالشام وبحمص ولا بمصر ولا بالعراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون أبوبكر وعمر وعثمان وعلى، ثم ولى عمر بن عبدالعزيز، وكان كما قد علمت فى إحياء السنن، والجد فى إقامة الدين، والإصابة فى الرأى والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه رُزيق بن الحكم:

إنك كنت تقضى بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق

فكتب إليه عمر بن عبدالعزيز:

إنا كنا نقضى بذلك بالمدينة، فوجدنا أهل الشام على غير ذلك، فلا نقضى إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين

ولم يجمع - (عمر بن عبد العزيز) - بين المغرب والعشاء قط ليلة المطر، والمطر يسكب عليه فى منزله الذى كان فيه بخناصرة[١] ساكنا - (وأهل المدينة يجمعون) - ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله، لم يجمع منهم إمام قط فى ليلة مطر، وفيهم أبوعبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل..."[٢]

[illegible] فى غير المدينة عن اجتهاداته فيها، فعمر بن عبدالعزيز [illegible] الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤هـ / ٧٦٧ - ٨٢٠م) [illegible] أصبح له بمصر مذهب جديد متميز عن المذهب القديم الذى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] آيات القرآن الكريم. [illegible] فقال: «إني أجد أهل العلم قديماً وحديثاً مختلفين في بعض أمورهم، فهل يسعهم ذلك؟» [illegible] الاختلاف من وجهين: أحدهما مُحَرَّم، ولا أقول ذلك في الآخر، فالاختلاف المُحَرَّم: كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيّناً، لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه. وما كان من ذلك يحتمل التأويل، ويُدْرَك قياساً، فذهب المتأوِّل أو القايس إلى معنى يحتمله الخبرُ أو القياس، وإن خالفه فيه غيره، لم أقل إنه يُضَيَّقُ عليه ضيق الخلاف في المنصوص، وبيّن فرق ما بين الاختلافين [illegible] قول الله في ذم التفرق [illegible] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فذمّ الاختلاف فيما جاءتهم به البينات»(٢).

[illegible] الشاطبي (٧٩٠هـ [illegible]) [illegible] «الافتراق في الدين» [illegible] «الاختلاف في أحكام الدين» وهو تعدد الاجتهادات الذي لا يؤدي [illegible] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

[illegible]

وهو اختلاف الذين في قلوبهم زيغ، الذين أشار إليهم القرآن الكريم في آية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب (٧)﴾ [آل عمران: ٧]

أما الاختلاف المشروع، الذي لا يمثل فرقة في الدين [illegible] فهو تعددية الاجتهادات في أحكام الدين [illegible] فلقد وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين، ولم يفترقوا، ولم يصيروا شيعا؛ لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد الرأي والاستنباط من الكتاب والسنة، فيما لم يجدوا فيه نصا، واختلفت في ذلك أقوالهم، فصاروا محمودين لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به [illegible][1].

فالتعددية والاختلاف والتنوع في إطار الجامع الموحد هو الطبيعي، بل والضروري لتلبية حاجات الواقع المتنوع والمتغير، والمتعددات [illegible] الأعراف والمصالح المتميزة، إلى الملائم من أحكام الدين.

وإذا كان ذلك جائزًا في أحكام الدين وفقه الفروع فإنه جائز -من باب أولى- في السياسات التي يتم بها تدبير شئون الاجتماع والعمران.. وإذا كانت وحدة الأمة وأخوة العقيدة قد وسعت حتى البغاة الذين احتكموا إلى العنف في تحقيق بغيهم، فتحدث عنهم القرآن باعتبارهم جزءًا من الأمة المؤمنة، ولم يجردهم من الإيمان ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩)﴾ [الحجرات: ٩].. فلقد وجدنا تصوغ هذه المبادئ في كلمات الإمام

---

(١) الموافقات، ج٤ ص ١٢١-١٢٤.

علي بن أبي طالب، [illegible] فقد سُئل عن خصومه في «موقعة الجمل»:

«أمشركون هم؟

ـ فقال: من الشرك فرّوا.

فسُئل:

ـ أمنافقون هم؟

فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا!

فسُئل:

ـ فمن هم إذن؟!.

ـ فقال: إخواننا، بغوا علينا!»[1].

وكان [illegible] من أهل [illegible]، في «الصفين» .. فتحدث عنهم فقال: «لقد التقينا، وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء[2]. إنا ـ والله ـ ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء ـ (الخوارج) ـ من التكفير والفراق في الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة .. وإنهم لإخواننا في الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أنا على الحق دونهم»[3]!

فالتعددية والاختلاف والتنوع لا تمثل افتراقا في الدين، طالما ظلت تحت جامع الإسلام، المتمثل في أصوله [illegible]، التي هي وضع إلهي، محكوم بالفطرة

---

(1) [illegible] طه جابر العلواني (أدب الاختلاف في الإسلام) ص ٦٧ [illegible]

[illegible]

(2) [illegible] ص ١٤١

(3) [illegible]

والضرورة . سواء أكانت هذه التعددية في فروع الأحكام [illegible]
[illegible] من السياسات .

فما علم من الدين بالضرورة فأجمعت عليه الأمة ، لا مجال فيه للاختلاف وذلك من مثل ما ضرب [illegible] : لست أقول ولا أحد من أهل العلم : هذا مُجتَمعٌ عليه ؛ إلا لما لا تلقى عالمًا أبدًا إلا قاله لك ، وحكاه عمن قبله ، كالظهر أربعٌ ، وكتحريم الخمر ، وما أشبه هذا[1]

[illegible]

[illegible] من فنون العلم الإسلامي ، قصده العلماء [illegible]



---

(١) (الرسالة) ص ٥٣٤

(٢) [illegible] ١٤١ [illegible] ١٤٠٧هـ سنة ١٩٨٧م

إلـه واحـد

لـه صفـات الكمـال.. والأسماء الحسنى

[illegible] حكم ومعاني والعلل والمقاصد المرجوة والكامنة والمبتغاة من وراء مجمل [illegible] الاعتقاد.

[illegible] كُنه الذات الإلهية وماهيتها وهويتها، [illegible] ثم فليس سوى نفي الشبه والمماثلة والتشبيه سبيلاً أمام الإنسان للاقتراب من التصور الأدق لهذه الوحدانية، وما لها من [illegible] الذات الإلهية [illegible] ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ قل هو الله أحد ۞ الله الصمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]

[illegible] البشرية الدقيقة التي تعبر عن هذه الحقيقة [illegible] «كل ما خطر على بالك، فالله ليس كذلك!».

بل إن هذا التصور الإسلامي يزيد هذا التوحيد تنزيهاً وتجريداً عندما يضع المقابلة بين التوحيد الخالص لله وبين التعددية فيما وفيمن عدا الله! فكل من عدا الله وجميع ما سواه قائم على التعددية والثنائية والازدواج والاجتماع والتركيب والاشتراك.. تعددية في كل عوالم المخلوقات، تحيا في ملكوت الألوهية الواحدة.. فقوام الأحياء- وكل ما في الكون أحياء بمعنى ما- مؤسس على قاعدة وفلسفة التعددية والازدواج ﴿من كل زوجين اثنين﴾ [هود: ٤٠، المؤمنون: ٢٧] وعلى التعددية والجماعية والارتفاق والتساند والتركب والتفاعل والاجتماع تقوم الحياة والتواصل في المخلوقات ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ [الأنعام: ٣٨] أما الخالق سبحانه وتعالى فهو واحد، الواحد المنزه عن الازدواج والاشتراك والتركب والتعدد، وعن المماثلة والتشبيه، وعن الحاجة والاجتماع.

* * *

وفي التصور الإسلامي، وفق تفاوت مدارك ومعارف الإنسان، تتعدد وتتدرج مراتب ودرجات هذا التوحيد!..

فهناك «وحدة» في حقيقة التوحيد للذات الإلهية.. وهناك تعددية في مراتب ونسب ودرجات المُدْرَك الإنساني من هذه «الحقيقة التوحيدية» الواحدة.

وعبر حجة الإسلام الغزالي [illegible] من تجربته الصوفية عن هذه المراتب: «فإن للتوحيد درجات..

أولى درجاته: قول «لا إله إلا الله» باللسان دون اعتقاد القلب، وكل المنافقين مشتركون في ذلك، ولهذا التوحيد بعض حرمة. فإن سعادة هذا العالم تحصل به، ويعصم ماله ودمه، ويأمن أهله وولده

الدرجة الثانية: أن يعتقد معنى هذه الكلمة على سبيل التقليد دون معرفة حقيقته، فجميع عوام الخلق قد انتهوا إلى هذه الدرجة.

الدرجة الثالثة: هي أن تكشف معنى هذه الكلمة (لا إله إلا الله) بنور البصيرة حتى تعرفها.. فهذه الدرجات الثلاث متفاوتة [illegible] (أي الصوفية) [illegible]

والثانية (صاحبها صاحب عقيدة) والثالثة (صاحبها صاحب معرفة) وليس أحد من هذه صاحب حالة [illegible] (من الصوفية) [illegible] الأقوال

الدرجة الرابعة: أن يكون مع معرفة صاحب حالة، بأن لا يكون له معبود إلا واحد. وكل من غلب عليه هواه فمعبوده هواه ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣].

الدرجة الخامسة: [illegible] التوحيد في [illegible] شهوة [illegible] بحيث لا يتحرك ولا يسكن إلا لله، ولا يتكلم إلا لله.

الدرجة السادسة: هي أن يخرج التوحيد صاحبه من [illegible]، ويخرجه [illegible] الحق تعالى، وينسى نفسه ولا يذكر سوى الحق تعالى، فيغيب عنه الخلق [illegible] ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: [illegible]]، [illegible] ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] [illegible] لأن [illegible] يكون فانيًا من الخلق. ولكن كمال التوحيد هو هذا، [illegible] في الحديث القدسي: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به».

[illegible]

فتوحيد الرجل الذي نفى معبودًا غيره يكون جزءًا لتوحيد الرجل الذي نفى موجودًا غيره؛ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] تعددت الأسماء الحسنى لهذه الذات.[3]

فوحدة الذات الإلهية في التصور الإسلامي تبلغ قمة التنزيه والتجريد، وتعددية درجات المُدْرَك الإنساني من هذه الحقيقة التوحيدية الواحدة [illegible] وكذلك تعدد صفات الكمال الإلهي، وأسمائه الحسنى [illegible] وأيضًا تعدد وسائل التقرب إلى الله الواحد [illegible] وتعدد حالات الذكر لله الواحد [illegible] [illegible] وتعدد أبواب الأعمال التي يتقرب بها العباد إلى المعبود الواحد. كلها - في التصور الإسلامي - مصادر للتعددية في إطار الوحدة، تزكي هذه الفلسفة في ثقافة الإسلام وحضارة المسلمين.

❊ ❊ ❊

(١) الغزالي [illegible] من رسائل حجة الإسلام [illegible] ١٩٧٢م.

(٢) الإمام محمد عبده [illegible] ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٣) [illegible]

خلقٌ واحد
وتعدديةٌ في المخلوقات

يتحدث القرآن الكريم عن الكون ـ بعوالمه المختلفة ـ [illegible] خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (١٠) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (١١) [illegible]

خلقٌ واحد لخالقٍ واحد

لكن عوالم هذا الخلق الواحد لا يعلم عددها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ [illegible] التعددية والتمايز والاختلاف هي عوالم وآيات إلهية تتنوع بها وتتمايز فيها كل وحدة من وحدات هذه المخلوقات..

فكل صنف من أصناف الأحياء المخلوقة يتنوع ويتعدد إلى أمم وجماعات، فتقوم التعددية في إطار هذا النوع من الأحياء، كما قامت التعددية في إطار الخلق الحي الذي خلقه الله. ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (٣٨)﴾ [الأنعام: ٣٨]

وهذه الأرض [illegible] والاختلاف [illegible] سبع [illegible] الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض

منهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا (١٢) ﴾ [الطلاق: ١٢].

وفي هذه الأرض تنوع وتعدد لا يعلم عدده إلا الله.. تنوع في الجبال الرواسي والأوتاد التي تختلف ألوانها.. وتنوع في الأنهار العذبة والمالحة.. تنوع في السبل التي تختلف وتمتد فتكون مجاري البحار ومجاري الأنهار.. وتنوع في قطع الأرض المتجاورات.. وتنوع في الثمرات التي تثمرها ذات الأرض الواحدة التي خلقها الله.. عالم من عوالم من التعددية والتنوع والاختلاف، تتحقق ثم تحقق نعم الإنسان عليها في إطار هذه الأرض ﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤) ﴾ [الرعد: ٣ـ٤] ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) ﴾ [النحل: ١٣] ففي هذه الأرض الواحدة عوالم عديدة من التعدد والتنوع.. «فيها قطع متجاورة بعضها بجوار بعض، وهي مختلفة التربة مع ذلك، فبعضها خصب، وبعضها جدب، وإن اتحدت التربة ففيها حدائق مملوءة بكروم العنب، وفيها زرع يحصد ونخيل مثمر، وهي مجتمعة ومتفرقة، ومع أنها تسقى بماء واحد يختلف طعمها.. وعلى سطح هذه الأرض خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ كثيرًا من أنواع الحيوان والنبات والجماد، وجعل في جوفها كثيرًا من المعادن المختلفة الألوان والأشكال والخواص، وإن في هذه العجائب لدلائل واضحة على قدرة الله لمن له عقل يفكر به..»(١).

ومثل الأرض ـ في التعددية، التنوع بإطار الوحدة ـ جاء خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ للسماء.. فهي سبع سموات.. وفيها ما لا يعلم عدده إلا الله من عوالم الكواكب والنجوم والمجرات ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء

(١) (المنتخب في تفسير القرآن) ص ٣٥٣، ٣٨٦. وضع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. طبعة القاهرة ١٩٨٦م.

فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩)﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (٦)﴾ [الصافات: ٦] ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (١٢)﴾ [فصلت: ١٢].

والشمس والقمر تتعدد مداراتهما والمدارات والمشارق والمغارب، وتتبين الشهور والسنة بكل موقع على سطح الأرض، وفي كل لحظة من اللحظات ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (٣٧) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (٤٠)﴾ [يس: ٣٧- ٤٠] ﴿إن إلهكم لواحد (٤) رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق (٥) إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (٦)﴾ [الصافات: ٤- ٦] عوالم من التعددية والتنوع والاختلاف في إطار السماء التي خلقها الله.

وهذا الماء الذي أنزله الله من السماء، منه العذب الفرات السائغ شرابه، ومنه الملح الأجاج، ومنه البحار والأنهار، وما سلكه منه في الأرض لتتفجر عيونًا وينابيع مع التنوع الذي يدركه علم الإنسان في الطعوم والخصائص ودرجات الحرارة والمكونات ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب (٢١)﴾ [الزمر: ٢١] ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢)﴾ [فاطر: ١٢] ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (٥٣)﴾ [الفرقان: ٥٣].

ومن هذا الماء الواحد تخرج الثمار والألوان والأصناف المتعددة والمتنوعة والمتمايزة والمختلفة من الثمرات ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا

[illegible]

[illegible] ٥٤] . [illegible] الله ـ سبحانه وتعالى ـ أ[illegible] السماء ماء، فأخرج به ثمرات مختلف [illegible] والدواب [illegible] أنه كذلك في الشكل والحجم واللون.. ثمرات مختلفات الألوان، يروى شجرها ماء واحد، وحبات من ألوان مختلفة يرجع أصلها إلى مادة واحدة، وهكذا [illegible] الله واحدة، لأن الأصل واحد والفروع مختلفة متشابهة، فالثمرات من ماء واحد، ونخيل من صهرة واحدة، وكذلك اختلاف الألوان والناس والدواب والأنعام لا يظهر في الصفات التي تشاهدها ولو فحصت [illegible] القوية، وإنما هي دقائق وأسرار تحتويها في داخلها (جيناتها) [illegible] وفي هذا متاع وفائدة للإنسان [illegible] بل إن ألوان الناس لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر، فكل فرد متميز [illegible] بين بني جنسه، بل متميز في توأمه الذي يشركه حملا واحدا في بطن واحد!

[illegible] برد شديد [illegible] وأخرى ﴿ريح عاصف﴾ [يونس: ٢٢] ـ [illegible] ﴿قاصفا من الريح﴾ [الإسراء: ٦٩] أي [illegible] ﴿الريح تجري بأمره رخاء﴾ [ص: ٣٦] [illegible] ﴿الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] ـ [illegible] ﴿بريح صرصر عاتية﴾ [الحاقة: ٦] ـ باردة، لها صوت شديد

---

(١) (المنتخب في تفسير القرآن) ص [illegible]

(٢) (في ظلال القرآن) ج [illegible] ص [illegible]

[illegible]

[illegible] يستبشرون ﴿٤٨﴾ [الروم: ٤٨]

[illegible] السموات والأرض ـ سبحانه وتعالى.

[illegible] حكيم [illegible] كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴿١٠٩﴾

[الكهف: ١٠٩]

* * *

[illegible] العديد من الأسباب القاطعة التي تمنع فعل الصيرورات في [illegible]

[illegible]

الإسلام [illegible] ... الأسباب في [illegible]

[illegible] الأسباب [illegible]

[illegible] الأسباب [illegible]

غير [illegible] الشفاء من غير مصاحبة [illegible]

الأسباب [illegible]

[illegible]

[illegible] الأسباب [illegible]

[illegible]

[illegible]

ولي الله الدهلوي (١١١٠ـ١١٧٦هـ/ ١٦٩٩ـ١٧٦٢م) في شرح [illegible]

[illegible] في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا [illegible] [الأحزاب: ٦٢]

«اعلم أن بعض أفعال الله يترتب على [illegible]

[illegible] رسول الله [illegible] «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب» [illegible]

[illegible] بن سلام: ما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى [illegible] «إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت» [illegible]

ولا أرى أحداً يشك في أن الإماتة تستند إلى الضرب بالسيف أو أكل السم، وأن خلق الولد في الرحم عقيب صب المني، وأن خلق الحبوب والأشجار يكون عقيب البذر والغرس والسقي. ولأجل هذه الاستطاعة جاء التكليف، والأمر والنهي، والجزاء بما عملوا. فتلك القوى منها خواص العناصر وطبائعها، ومنها الأحكام التي أودعها الله في كل صورة نوعية، ومنها أحوال عالم المثال والوجود المقضي به هناك قبل

[illegible] ص ٣١٥، ٣١٦ ضمن مجموعة «القصور العوالي من رسائل الإمام [illegible]

الوجود الأرضي ، ومنها أدعية الملأ الأعلى بجهدهم لمن هذّب نفسه أو سعى في صلاح الناس ، وعلى من خالف ذلك . ومنها الشرائع المكتوبة على بني آدم ، وتحقق الإيجاب والتحريم فإنهما سبب ثواب المطيع وعقاب العاصي . ومنها أن يقضي الله تعالى بشيء فيَخِرُّ ذلك الشيء شيئًا آخر ؛ لأنه لازمه في سنة الله ، ، وخَرْمُ نظام المرسوم غير مُرضي ، والأصل فيه قوله (ﷺ) : «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة» فكل ذلك نطقت به الأخبار وأوجبته ضرورة العقل . أما هيئات الكواكب فمن تأثيرها ما يكون ضروريًا ، كاختلاف الصيف والشتاء ، وطول النهار وقصره ، باختلاف أحوال الشمس ، وكاختلاف الجزر والمد باختلاف أحوال القمر . .»[1]

[illegible] الأسباب [illegible] في [illegible] تعددية الأسباب في [illegible] الأسباب [illegible] [illegible] التصور الإسلامي [illegible] الأسباب [illegible] تعدديته في ثقافة هذا الإنسان

* * *

[illegible] تعددية في رؤية [illegible] [illegible] من «القدم» ومن «الحُدوث» تفضي إلى تعددية في الحكم على هذا «العالم» الواحد ، باعتبار حظه من «القِدَم» أو «الحُدوث» .

[illegible] تعددية في [illegible] الرؤية قد [illegible] في [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] في [illegible] الإسلامية

[illegible] من زاوية [illegible] الأجرام العلوية التي لا يعتريها الكون والفساد . . بينما الذين قالوا بحدوثه قد نظروا إليه من زاوية شبهه بالمحدثات . . فالتعددية إنما هي [illegible] . والحقيقة أن هذا العالم ليس خالصًا في القدم ولا خالصًا في الحدوث!

(١) (حجة الله البالغة) ج١ ص ١٧

[illegible]

لأجرام العلوية وجد ما لا يكون، ولا يفسد، ولا [illegible] فحكم [illegible] فكان النظران صحيحين، من الجهتين المختلفتين.

[illegible]

[illegible] الطرفين، واختلفوا في الواسطة.

فأما الطرف الأول، فهو [illegible]

[illegible] محدثه

وأما الطرف المقابل لهذا فهو، [illegible]

[illegible]

وأما الصنف من الموجودات الذي بين هذين الطرفين فهو: [illegible] شيء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود [illegible]

[illegible]

---

(١) (المبسوطات) ص ٣٠١، ٣٠٢. والكون في اصطلاح [illegible] لم تكن حاصلة فيه، ويقابله الفساد [illegible] في اصطلاح المتكلمين فالكون هو الوجود [illegible] انظر (المعجم الفلسفي) وضع مجمع اللغة العربية.

[illegible]
علة [illegible][1].

[illegible] المتعددة ـ التي صارت في قضية قدمه أو حدوثه [illegible]
[illegible]
[illegible]
طرح الجمع الموحد لسمات وقسمات هذا الاختلاف.

* * *

(١) (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص ٤٠ - ٤٢

دينٌ واحد وتعددية في الشرائع والمناهج والسياسات

الدين [illegible] وضع إلهي ثابت، وجوهره: توحيد الألوهية، وإفرادها بالعبودية، وشكر نعمه بالعمل الصالح؛ إيمانًا بالبعث والحساب والجزاء على هذا العمل، بعد هذه الحياة..

[illegible]
الرسالات بآدم - عليه السلام - وحتى ختمها بمحمد ﷺ.

[illegible]
هذه الثوابت التي يتدين بها الإنسان [illegible] توحيد الألوهية وإخلاص العبودية لله وحده،
[illegible]

وفي إطار هذا الدين الإلهي الواحد، وعبر رسالات الرسل، وتغاير أمم الرسالات في الزمان والمكان والمصالح والعادات والأعراف ومستويات التطور ودرجات الارتقاء، تعددت الملل والشرائع، التي هي طرق ومعالم ومناهج يسلكها أهل كل رسالة وأمة كل ملة للتدين بالعقائد الثوابت لهذا الدين الإلهي الواحد

وعلى هذه الحقيقة [illegible]
جاءت بالشريعة الخاتمة والعالمية، واللبنة التي أكملت البناء القائم على ذات عقائد الدين

[illegible]

نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة: ٣]

[illegible] الشرائع والملل والرسالات.

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص ١١٤، ١١٥

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد

خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [المائدة: ٦٩]. وهؤلاء هم الذين ثبتوا على شريعتهم الكتابية ـ آمنوا بأن ما جاء به القرآن هو مصدق لحقيقة [illegible] وعيسى في [illegible]: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥] فهم نصارى، لكنهم مؤمنون [illegible] الإخلاص [illegible] ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٥] [illegible] «إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية، من يعمل خيراً فلن يكفره»(١) [illegible] ﷺ.

وفي تفسير [illegible] (الإمام محمد عبده، ١٢٦٥ ـ ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) [illegible] وهي دليل على أن دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء، وأن كل من أخذه بإذعان، وعمل فيه بإخلاص، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين. وفي هذا [illegible] والإخلاص في العمل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، [illegible]

---

(١) رواه الترمذي.

عن التفرقة بين الأمم والملل التي لم يكن يعترف فيها [illegible]
[illegible]
[illegible] وظاهر أن هذا في أهل الكتاب [illegible] على دينهم [illegible]
(الجلال) ـ (جلال الدين السيوطي) ـ وغيره الذين حملوا المدح على من أسلم منهم،
فإن المسلمين لا يُمدَحُون بوصف أهل الكتاب، وإنما يُمدحون بعنوان المؤمنين [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لله في جميع الأمم واحد، وإنما [illegible]
وأما الأصول فلا خلاف فيها، [illegible]
[illegible] بينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله
فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٦٤) [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible] وتعدد الشرائع ـ أجمع المسلمون حتى
[illegible]
[illegible] في كتابه المتميز (حجة الله البالغة) يقول [illegible]
[illegible] أصل الدين واحد والشرائع والمناهج مختلفة [illegible] أصل الدين واحد، اتفق
[illegible] الأنبياء عليهم السلام، وإنما الاختلاف في الشرائع والمناهج».

[illegible]
[illegible]

* * *

---

(١) (الأعمال الكاملة) ج٥ ص ٧١

(٢) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج٤ ص ٤٤، ٤٥

(٣) (حجة الله البالغة) ج١ ص٨٦

وبهذه التعددية في الشرائع والمناهج وظيفة فكرية وحضارية.. فالاختيار فيها ومنها محك ومعيار لتمييز أنماط الناس ومستوياتهم وفروقهم، فيه وبه يتمايزون ويصنفون وفق ما يختارون، وفي ذلك امتحان واختبار وابتلاء، لأن الاختيار اختبار وامتحان، ولولا التعدد في الشرائع والمناهج ما كان هناك مجال لهذا «الاختيار - الاختبار»، كما أن هذا «الاختيار» هو سبيل للتنافس والتسابق والتدافع بين الفرقاء الذين تمايزوا في الاختيار.. الأمر الذي جعل ويجعل لهذه التعددية وظيفة علاقتها وعروتها وثقى بالحرية، التي هي - في جوهرها - مشيئة واختيار.

[illegible] ولكن جعل لكل منكم شرعة ومنهاجا [illegible] ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات ﴾ [المائدة: ٤٨] [illegible] الحضارات المتعددة، ليقوم بين الفرقاء [illegible] الحياة إلى الواحدية والسكون والموات!..

[illegible] هكذا ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع [illegible] وسارعوا إلى عمل الخيرات[1].. لقد وكل الله اختيار [illegible] الناس [illegible] حكمة منه تعالى [illegible] وذلك من الاختيار في جميع ما آتاهم من العقل والنظر، فيظهر التفاضل بين أفراد نوع الإنسان [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) محمد الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير) ج٦ ص ٢٢٤ طبعة تونس ١٩٨٤م

[illegible] لعلى هدى [illegible]

[illegible] أو العصبة [illegible]

[illegible] [٨٤] .

[illegible]

[illegible] وهي [illegible]

[illegible] تحكمها . . »(٢) .

[illegible] الشاكلة والشخصية عند كل [illegible] من أفراد جنس الإنسان، بل ربما تعددت شاكلة الإنسان الواحد بتعدد الأطوار التي يمر بها [illegible] . الأمر الذي تتسع به [illegible] [illegible]

[illegible]

(٢) [illegible]

[illegible] ١٤٠[illegible]هـ/١٩٨١م.

[illegible]

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)﴾ [الليل: ٥، ٦]، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)﴾ [الليل: ٨، ٩] هاتان هما [illegible] لسعي وشتات المناهج وشتات الغايات..»(1).

فكما [illegible] وتتمايز سعيه في إطار جوامع المناهج والغايات التي يسلكها الناس ويقصدون إليها.

ولهذه التعددية ثمرات، فباختلاف المساعي تتفاوت الدرجات العلمية والاجتماعية والمالية - في الحياة الدنيا - وتتفاوت الدرجات في دار البقاء، وذلك تبعا [illegible] ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

[illegible]

* * *

وكما تعددت الشرائع في إطار وحدة الدين، تتعدد السياسات في إطار الشريعة الواحدة، وذلك بتنوع مصالح الأمم المتعددة وتغاير وقائع اجتماعها وعمرانها وأعرافها، بتغاير الزمان والمكان، - بعبارة الإمام الأصولي ابن برهان: أحمد بن علي بن برهان

---

(1) [illegible]

[illegible] (٤١٩ - ٥١٨هـ ١٠٨٧ - ١١٢٤م) [illegible]
[illegible]
[illegible]
يصلحهم، وإن كان ذلك مفسدة في حق غيرهم..»[1].

[illegible]
[illegible]
[illegible] (٦٩١ - ٧٥١هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠م): «
فهناك سياسة جزئية، بحسب المصلحة، تختلف باختلاف الأزمنة، وهناك شرائع عامة لازمة للأمة إلى يوم القيامة، أي شرائع كلية لا تتغير بتغير الأزمنة.. أما السياسات الجزئية التابعة للمصالح فتتقيد بها زمانا ومكانا.. على هذا اجتمع الفقهاء»[2].

[illegible]
[illegible]
[illegible]. ذلك أن السياسة - في الرؤية الإسلامية - لا تثبت «بثبات النصوص» ولا تتناهى «بتناهي هذه النصوص»؛ لأنها لا تنحصر فيما جاء به النص، وإنما تتسع لكل ما لا يخالف ما جاء به النص [illegible] (٤٣١ - ٥١٣هـ ١٠٤٠ - ١١١٩م) [illegible]
[illegible] ﷺ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أظهر

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

[illegible]

[illegible]

وتعدد شواكل الناس وتنوع مساعيهم، بتعدد الصفات [illegible] الإنسان.

وتعدد المناهج، بتعدد موضوعات العلوم، [illegible]

وتعدد الشرائع، بتعدد أمم الرسالات، عبر الزمان والمكان.

[illegible] من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام.

وفي هذا الميدان واحد من معالم التعددية في إطار الوحدة [illegible] الإسلام.

( ) المصدر السابق ص ١٧ ـ ١٩.

شريعة واحدة
وتعددية فى الأحكام والإفتاء

الشريعة [illegible]

[illegible]

[illegible] مستقبل الإنسانية، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

[illegible]

---

(١) الراغب الأصفهاني (المفردات في غريب القرآن) [illegible] الشريعة. طبعة دار التحرير. القاهرة و(الكليات) لأبي البقاء الكفوي.

محمداً ﷺ، فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20)﴾ [الجاثية: 18ـ20]

فلمحمد وأمته ـ العالمية ـ الخاتمة ـ شريعتها الإلهية المتميزة ـ بصائر وهدى ـ الواحدة لا الشرائع المتعددة... وغير هذه الآيات كثير من الآيات في القرآن الكريم الآيات المفصحة عن تكريس حقيقة حاكمية الشريعة الإسلامية، من مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105]، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ [الشورى: 10] ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)﴾ [النساء: 59] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)﴾ [النساء: 64، 65]

فلأمة الإسلام شريعة إلهية واحدة، ووحدة الحاكمية لأنها حاكمية الله وحاكميته في هذه الأمة الخاتمة.

لكن.. هل يعني حكم الله بحاكمية الشريعة الإسلامية الواحدة، انتفاء حاكمية البشرية في فقه الأحكام والفتاوى؟ أم أن وحدة الشريعة قد مثلت «الجامع الإلهي» في الشريعة، الذي يتسع لحاكميات بشرية، استخلفها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لتتعدد أحكامها وفتاواها بتعدد وتنوع المصالح والوقائع والعادات والأعراف، وما يقتضيه هذا التعدد والتنوع من تعددية في اجتهادات الحكام (القضاة) والمفتين؟.

إن تعدد الحاكميات البشرية في الأحكام واختلاف الاجتهادات الإنسانية في الفتاوى ـ وذلك في إطار كليات وحدود ومبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية الواحدة ـ حقيقة من حقائق الشرع الإسلامي التي لم يختلف عليها أحد من أهل العلم بالإسلام.

لكن لأن هذه القضية موضع رفض وإنكار من دعوة المتشددين، ومن قطاع محسوب على الصحوة الإسلامية ينكرون وجود حاكمية بشرية في إطار حاكمية الشريعة الإلهية، ومن ثم ينكرون تعددية الحاكميات الإسلامية في إطار الشريعة الواحدة، احتاجت هذه القضية إلى تأصيل وتفصيل..

لقد بدأت شبهات هذا الفريق في الثقافة الإسلامية بظهور الخوارج في معسكر علي بن أبي طالب ـ إبان الفتنة ـ عندما صاحوا: "لا حكم إلا لله"، وهم يقصدون إنكار التحكيم وتخطئة قبول التحكيم للبشر في النزاع الذي ثار بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان بن عفان ـ رضي الله عن الجميع ـ فأقاموا مناقضة بين حاكمية الله وحكمه وبين حاكمية الإنسان.. لكن الإمام علي بن أبي طالب قد جلا هذه الشبهة عندما ميز بين حكم الله وقضائه وشريعته، الذي لا شريك له فيه، وبين حاكمية البشر الذين استخلفهم الله في إقامة حاكميته ـ وخاصة في مناطق الظنيات والاجتهاد التي لم تحسمها النصوص قطعية الثبوت والدلالة ـ **لأن الحاكمية الإنسانية هنا ـ حتى وإن تعددت بتعدد الاجتهادات ـ هي مقتضى حكم الله باستخلاف الإنسان ليقيم حكم الله.**

جلا الإمام علي هذه الشبهة عندما رد على صيحة الخوارج، فقال: "إنها كلمة حق أريد بها باطل! نعم، إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله! وإنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر.."[1]!

فالإنسان حاكم، وله حاكمية الخليفة، وحاكميته هذه هي حكم إلهي بدونها لا يتحقق حكم الله في الاستخلاف!..

وفي عصرنا، حدثت وتجددت شبهة الخوارج بعد ما كتبه عنه بعض الغلاة، من هم الخوارج الجدد الذين تشبثوا بعبارات حاكمية الله عند أبي الأعلى المودودي (١٣٢١ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) وهو مفكر وضع نظرية في الحاكمية على أساس تحرير ينفي من حاكمية الله دون حاكمية الإنسان، ورفض إعطاء الخلافة والاستخلاف شيئاً من حاكميته في الأمور الاجتهادية.. فانتزع هؤلاء الغلاة عبارات المودودي من سياقها، وتجاهلوا عبارات أخرى كثيرة له تضبط فكره في هذا الموضوع!

---

(1) (نهج البلاغة) ص٦٥. طبعة دار الشعب. القاهرة

[illegible]

[illegible] تُنتزع جميع سلطات Powers الأمر والتشريع من أيدي البشر ـ منفردين ومجتمعين ـ ولا يؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه، أو يسن قانونًا لهم فينقادوا له ويتبعوه، فإن ذلك أمر مختص بالله وحده، لا يشركه فيه أحد غيره [illegible] والخصائص الأولية للدولة State الإسلامية [illegible] ثلاث

١ ـ ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية، فإن الحاكم الحقيقي هو الله، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده، والذين من دونه في هذه المعمورة إنما هم رعايا في سلطانه العظيم

٢ ـ ليس ـ لأحد ـ من دون الله ـ شيء من أمر التشريع، والمسلمون جميعًا ـ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ـ لا يستطيعون أن يشرعوا قانونًا

٣ ـ إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون الذي جاء به النبي من عند ربه.. مهما تغيرت الظروف والأحوال[1].

إن الإسلام يستعمل دائمًا لفظ الخلافة (Vicegerency) في الحديث عن الذين يقومون بتنفيذ القانون الإلهي في الأرض، بدل لفظ الحاكمية (Sovereignty) [illegible] [illegible] قبلهم [illegible] ولفظ «إله» [illegible] واصطلاح «الحاكمية» هما اسمان لحقيقة واحدة [illegible]!

[illegible] والاستخلاف لأي [illegible] في [illegible] وحتى في التنفيذ!!

[illegible]

---

[1] [illegible] ص٣١، ٣٢. ترجمة خليل حسن الإصلاحي. طبعة بيروت [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[illegible]

[illegible] حة من الله خليفته الإنسان.. ومن مثل قوله [illegible]

[illegible] إن الله قد خوّل للمسلمين ـ في الحكومة الإسلامية ـ حاكمية شعبية مقيدة [illegible] Sovereignty)[3].

[illegible] القرآن الكريم، ليس هو بكتاب الجزئيات، بل هو كتاب المبادئ والقواعد الكلية، ومهمته الحقيقية أن يعرض الأسس الفكرية والخلقية للنظام الإسلامي بوضوح، ثم يثبتها تثبيتاً قوياً بكلا الطريقتين: التدليل العقلي، والتحريض العاطفي. أما ما يتعلق بالصورة العملية للحياة الإسلامية فإنه لا يرشد الإنسان إليها بوضع قوانين وأنظمة تفصيلية.. بل إنه حدد الحدود الأساسية [illegible] فقط، وما لم يرد فيه نص شرعي ـ وهو المجال الأوسع ـ فلأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في سن الأنظمة التي تحقق مصلحة الأمة بالمشورة المتبادلة [illegible] على أن تكون منسجمة مع الإطار العام لأسس الشريعة»[5].

[illegible] في كل هذه الميادين تقوم الحاكمية الإنسانية التي قد تتعدد بتعدد

(١) المرجع السابق، ص ٨٢
(٢) المرجع السابق، ص ١٤
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] طبعة الكويت ١٩٧١م
(٥) (الإسلام والمدنية الحديثة) ص [illegible]

الاجتهادات، شريطة تحقيق حكم الإنسان المستخلف عن الله في إقامة العمران،
وتمييز حكمه عن [illegible] وهو ـ المودودي ـ قد تكفّل ـ عندما حدد
فكرته ـ بالرد على هؤلاء المعاصرين الذين استندوا ـ في نفي الحاكميات الإنسانية ـ إلى
نص من نصوصه [illegible] النصوص التي ضبطت
وتضمنت فكره [illegible] في هذا الموضوع

* * *

[illegible] الحكم الشرعي حتى عندما يرد في نص قطعي الدلالة [illegible]
[illegible] في فقه النص وفهمه، ومن ثم [illegible] الحكم من هذا النص
والتعددية في نظام الصياغة لهذا الحكم صياغة قانونية [illegible] وذلك فضلاً عن التعددية في
[illegible] الحكم [illegible] الحالات
[illegible] المصالح
والعادات والأعراف ومتغيرات الزمان والمكان.

[illegible]
[illegible] الأحكام [illegible]
تتسع فيها وأمامها الميادين والآفاق

[illegible]
الاجتهادات تتنوع [illegible]
التشريعية من الأحكام، [illegible] الاجتهادات في
الزمن الواحد، والواقع المتحد، [illegible]

وإذا كان الإنسان هو المستخلف عن الله في فقه حاكمية الشريعة الإلهية، ومن ثم في تقعيدها وتقنينها وتطبيقها.. حتى لقد قال الإمام ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ، ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م) عبارته الجامعة وكلمته البالغة، في تقرير حاكمية للإنسان المستخلف: «إن من حُكم الله أن يجعل الحكم لغير الله»[1] فإن وجود حاكميات

---

(١) ابن حزم [illegible]
[illegible]

بشرية متعددة، في إطار حاكمية الشريعة الإلهية الواحدة، وذلك تعدد الاجتهادات فيما يرد فيه الاجتهاد، هي إحدى حقائق الشرع الإلهي والفقه الإسلامي في هذا الميدان..

إن الإسلام لا يعرف [illegible] في [illegible] والإسلام عندما تحدث كتابه الكريم عن الصفوة المختصة بفقه [illegible] والاجتهاد في الشريعة، فتح [illegible] الصفوة لكل من [illegible] ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (122)﴾ [التوبة: 122] ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (82) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: 82، 83] [illegible] [illegible] والاختلاف والاجتهادات، فلا عصمة لغير الرسول ﷺ فيما بلغ عن الله!

وقد بدأ تاريخ هذه الحقيقة من حقائق التشريع الإسلامي والشريعة الإسلامية - فكرًا وتطبيقًا - منذ عصر النبوة، وفي ظلال الوحي، وبتوجيه من معصوم (ﷺ) فحتى في ذلك العصر لم يحتكر الوحي - وهو الذي ينزل بحاكمية الشريعة الإلهية الواحدة - الحاكمية، وإنما تقررت ومورست حاكمية الإنسان، المؤسسة على الاجتهاد، تحقيقًا لأمانة الاستخلاف التي حملها الإنسان [illegible] تقررت ومورست الحاكمية الإنسانية في ظلال توالي نزول وحي السماء!

[illegible] الحصون، وفاوضوا أهله على المعاهدات والصلح [illegible] وا تفصيل الحاكمية الإ[illegible] لتسود تلك المعاهدات ونصوص تلك المصالحات.. على النحو [illegible] في سنة الثورة في حروب العبرانيين [illegible] وصايا الرسول لأمراء الجيوش بالاجتهاد الذي يصوغ حكمهم هم، وحاكميتهم هم.. [illegible] روى في الحديث الشريف أنه ﷺ كان [illegible] «إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن

تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[1].

فهو أمر بالاجتهاد الذي يثمر حكمًا بشريًا وحاكمية بشرية ـ تتعدد بتعدد الحاكمين المجتهدين ... وأمر بالتمييز بين الحاكمية الإلهية الواحدة وبين الحاكميات البشرية المتعددة بتعدد الاجتهادات ... وبذلك ـ ومنذ ذلك التاريخ ـ تأسست في التشريع الإسلامي تعددية الحاكميات الإسلامية في إطار الشريعة الإلهية الواحدة.

* * *

وهذه التعددية في الحاكميات البشرية [illegible]

[illegible]

مصالح والمقاصد، والتي لم ترد فيها حدود [illegible]

[illegible]

الإلهية الواحدة [illegible]

المعاملات، وفي منظومة القيم [illegible]

[illegible] بالاجتهاد الإسلامي، [illegible] الفروع، فتعددت فيه حاكميات [illegible]

[illegible] ووجدنا الأمر مستقرًا على استبعاد الإمامة ـ الخلافة [illegible]

[illegible]

[illegible]

معيار الاختلاف فيها «الصواب» [illegible]

ورأينا حجة الإسلام الغزالي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ووجدنا إمام الحرمين [illegible]
الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد»[1]

ووجدنا عضد الدين الإيجي (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) والجرجاني [illegible]
[illegible]
[illegible]
١٠٨٦_١١٥٣م) مع كل هؤلاء الأئمة، فيقول: «إن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد»[3]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
حاكمية الشريعة الإلهية الواحدة.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تتعدد فيها الأحكام: الحاكمية، وبين الخاص بالثوابت، والتي تمثل فيها حاكمية الشريعة الإلهية الواحدة، فيقول: [illegible] الأحكام نوعان:

نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه

[illegible]

[illegible]

(٣) «نهاية الإقدام» ص ٤٧٨ [illegible]

(٤) «مقدمة» ص ١٦٨ طبعة [illegible]

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانًا وحالاً، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها - (وهي المساحة الأوسع في التشريع) - فإن الشرع ينوع فيها بحسب المصلحة.

وهذا باب واسع، اشتبه فيه على كثير من الناس الأحكام الثابتة اللازمة التي لا تتغير، بالتعزيرات التابعة للمصالح وجودًا وعدمًا [1].

فأغلب الأحكام الشرعية تتعدد فيها الاحتمالات!

[illegible] الثبات، والتغير - إلى قسمين:

أولهما: [illegible]

وثانيهما: المصلحة الثابتة على مدى الأيام، وهي في أبواب [illegible] والنص والإجماع فيها يقدمان على المصلحة[2].

[illegible]

* * *

[illegible]

وهذه الأحكام التي قد تتعدد بتعدد اجتهادات المجتهدين - [illegible] -
ليست معزولة عن مصدر [illegible] الشرع) [illegible]
[illegible] الأحكام [illegible]
التوصيف على المجتهدين فيها عصمة أو كهانة؛ لأنه [illegible]
حكم الله في حقهم، يجب التزامهم به!..

وإذا كان البعض يتردد فيتحرج من أن يعطى للبشر صفة «الإنشاء» للأحكام، مفضلا القول بأن الإنسان يشرّع «إنشاء»، أما منشئ الأحكام ومبتدئها فهو الله وحده.. فإن هذا التردد والتحرج لم يعرفه الأصوليون القدماء، الذين أدركوا دور الإنسان المجتهد في إنشاء وإنشاء الأحكام في إطار حاكمية الشريعة الإلهية ومبادئها وحدودها وقواعدها، [illegible] في هذا الإطار - «إنشاء» و«ابتداء» بحكم الاستخلاف الإلهي!

[illegible] في هذا [illegible]
[illegible] (٦٨٤هـ - ١٢٨٥م) في كتابه [illegible] الأحكام في تمييز
الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام) [illegible]
مثلت مشكلات فكرية.. وإجابات.. وذلك عندما قال:

«السؤال الأول: [illegible]؟

جوابه: إنه إنشاء إطلاق أو إلزام في مسائل الاجتهاد المتقارب فيما يقع فيه النزاع لمصالح الدنيا».

«السؤال الثاني: كيف [illegible] على
العبد؟ وهل ينشئ الأحكام إلا الله تعالى [illegible]
هذا المكان ويوضحه؟

جوابه: [illegible] الله تعالى قرر الواجبات والمندوبات [illegible] ومع ذلك قرر في أصل شريعته أن للمكلف أن ينشئ الوجوب فيما ليس واجبا في أصل الشرع فيتعلق (بالنذر) - أي مندوب شاء فيجعله واجبا عليه - وقرر الله - تعالى - الإنشاء للمكلف في صورة أخرى [illegible] وهي إنشاء الأسباب [illegible] وكل إنشاء سببيته إلى المكلف [illegible]

شيء مستثنى في المندوبات والواجبات والمحرمات والمكروهات والمباحات وما ليس فيه حكم شرعي البتة ... فيثبت السبب ويتعلق عليه الحكم، فدخول الدار مثلاً لم يجعله الشرع - في أصل الشريعة - سبباً لطلاق امرأة أحد ... ومن شاء جعله سبباً لذلك.

وقد تقرر أن الله تعالى جعل لكل مكلف - وإن كان عامياً جاهلاً - الإنشاء في الشريعة لغير ضرورة، فأولى أن يجعل الإنشاء للحكام (القضاة) - مع علمهم وجلالتهم - لضرورة درء العناد، ودفع الفساد ... وإطفاء الخصومة ... والدليل على ذلك هو الإجماع من الأئمة قاطبة أن حكم الله تعالى ما حكم به الحاكم في مسائل الاجتهاد وأن ذلك الحكم يجب اتباعه على جميع الأمة، ويحرم على كل أحد نقضه ... وهذا الشيء نشأ بعد حكم الحاكم لا قبله، لأن الواقعة كانت قبل هذا قابلة لجميع الأقوال، والأنواع للفتوى والمخالفات ولا معنى للإنشاء إلا هذا فقط».

«السؤال الثالث[١]: هل [illegible]

[illegible]

[illegible]

وإثبات الحاكم في الحكم بشيء من جزئيات ... واقتضاء الإبرام عليهم ما لم يقرره مستثنيه الذي هو القاضي الأصلي، فهو متبع مستثنيه من جهة أنه فوض له ذلك وقد امتثل، وغير متبع له من جهة أن الذي صدر منه من الإبرام لم يتقدم مثله في هذه الواقعة من مستثنيه، بل هو أصل فيه ... فالحاكم - مع الله - ممتثل في كونه فوض إليه ذلك، فيفعله بشروطه، وهو منشئ؛ لأن الذي حكم به تعيَّن، وتعيينه لم يكن مقرراً في الشريعة، وليس إنشاؤه لأجل الأدلة التي تُعتمد في الفتاوى؛ لأن الأدلة يجب فيها اتباع الراجح، وههنا له أن يحكم بأحد القولين المستويين على غير ترجيح ولا معرفة بأدلة القولين إجماعاً، بل الحاكم يتبع الحجاج، والمفتي يتبع الأدلة».

---

(١) [illegible] (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام) ص ٢٠، ٢٦، ٣٠ [illegible] حلب سنة ١٩٦٧م.

فحكام المجتهدون ـ (قضاة وفقهاء) [illegible] الأحكام الملزمة، والتى تُعد فى حقيقتها فى [illegible] من استخلفهم الله للاجتهاد والحكم فى إطار الشريعة [illegible] أحكامهم هذه اجتهادات غير معصومة، تتميز فى ذلك عن الشرع [illegible]

[illegible]

* * *

وهذه الحاكميات المتعددة التى تحدث عنها القرافى بالنسبة للأحكام ـ فى إطار [illegible] الإسلام..

صحيح أن «الشارع» بإطلاق هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولذلك يقرر الشاطبى أن المفتى هو «شارع» بالاستخلاف، من وجه من الوجوه هو «شارع» عندما يكون مستنبطًا للأحكام والفتاوى، لا مجرد ناقل ومبلغ، لأنه فى الاستنباط «شارع» بالاستخلاف عن الشارع بإطلاق وإذا كان الإفتاء النقلى لا تعددية فيه، فإن الإفتاء الاستنباطى فيه تعددية، فى إطار وحدة الشريعة الإلهية [illegible] وفيه «إنشاء للأحكام» [illegible] الشاطبى على هذه الحقيقة من حقائق الأصول الإسلامية، فيقول: «إن المفتى شارع من وجه. لأن ما يبلغه من الشريعة إما منقول عن صاحبها وإما مستنبط من المنقول، فالأول يكون فيه مبلغًا، والثانى يكون فيه قائمًا مقامه فى إنشاء الأحكام، وإنشاء الأحكام إنما هو للشارع، فإذا كان للمجتهد إنشاء الأحكام بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه، والعمل وفق ما قاله، وهذه هى الخلافة على التحقيق، بل القسم الذى هو فيه مبلغ لا بد من نظره فيه من جهة فهم المعانى من الألفاظ الشرعية، ومن جهة تحقيق مناطها وتنزيلها على الأحكام، وكلا الأمرين راجع إليه فيها، فقد قام مقام الشارع أيضًا فى هذا المعنى، وقد جاء فى الحديث: إن من قرأ القرآن فقد أُدرجت النبوة بين جنبيه»[1]

---

(١) (الموافقات) ج٤ ص ١٦٣

وإذا كان حكم الحاكم (القاضي) يقطع الخلاف في الأحكام الفرعية، لا يقطع الخلاف في القواعد الشرعية وأصول الفقه، فيظل (قائمًا متعددًا) تعدد الخلاف في القواعد والأصول... إذ لا القضاء في المدارك (الحجج والأدلة) وإنما القضاء في منازعات المصالح الدنيوية..»(1)..

وهكذا يظل باب التعددية مفتوحًا، حتى بعد صدور الفتاوى والأحكام... إذ لا قضاء في المدارك، ولا في القواعد الشرعية وأصول الفقه.. كما يقول القرافي.

هذا إلى ألوان أخرى من التعددية في الفتوى، وذلك من مثل:

«تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد..»(2).

وتغير الفتوى بحسب عادات وأعراف واصطلاحات بلاد المستفتي(3).

وتغير الفتوى بحسب مذهب المستفتي... غير مذهب المفتي(4).

وتغير الفتوى بحسب حال المستفتي ودرجته في الورع والتقوى... فإذا عرفت درجة المستفتي في الورع، فإنه يفتى بما يتناسب مع درجته، كما يحكى عن أحمد بن حنبل أن امرأة سألته عن الغزل في ضوء مشاعل السلطان؟ فسألها: من أنت؟ فقالت: أخت بشر الحافي (١٥٠ - ٢٢٧هـ ٧٦٧ - ٨٤١م) - وهو من أكابر الصوفية - فأفتاها أحمد بن حنبل بترك الغزل في ضوء مشاعل السلطان(5)... فالحلال في حق العامة قد يكون خلاف الأولى في حق الخاصة، وحسنات الأبرار سيئات المقربين!

إلى غير ذلك من ألوان التعددية في الإفتاء..

---

(١) (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام) ص٦٩

(٢) ابن القيم (إعلام الموقعين) ج٣ ص٣ - ٥٨ وهو عنوان باب عقده ...

(٣) (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام) ص٢٤٩

(٤) المصدر السابق ص٢٢١

(٥) (الموافقات) ج٤ ص١٦١، ١٦٢.

فهذه الأحكام متعددة بتعدد اجتهادات الحكام، في الحكومات النسبية والبشرية المتعددة - في إطار الحاكمية الواحدة للشريعة الإلهية - على النطاق الإسلامي المتعددة [illegible] حكم الله في حق [illegible]

«فإن الأمة مجمعة على أن المجتهد إذا أداه اجتهاده إلى حكم، فهو حكم الله في حقه وحق من قلده إذا قام به سببه.. ويقول لمن له أهلية الاجتهاد: حكم الله تعالى عليك أن تجتهد وتنظر في أدلة الشريعة ومصادرها ومواردها، فأي شيء غلب على ظنك فهو حكم الله تعالى في حقك وحق من قلدك»[1]!

وأخيراً، فهناك التعددية في مصادر تشريع الأحكام [illegible] «الكتاب» و«السنة» و«الإجماع» [illegible] ولكل مصدر مرتبته تنعكس على التعددية في فقه الأحكام.

ثم «الكتاب» منه المحكم ومنه المتشابه [illegible] و«السنة» منها ما جاء «بياناً» لما في «الكتاب»، ومنها ما شرعت وفق قواعد الكتاب ما لم يرد نصاً في «الكتاب»[2]. ومنها سنة «العبادة» ومنها سنة «العادة» [illegible] وهي التي دخلت في [illegible] الإلهي، والشريعة [illegible] في كل زمان ومكان [illegible] ومنها سنة غير تشريعية، وهي الاجتهادات [illegible] في المتغيرات الدنيوية قضاء في [illegible] أو سياسة [illegible] لتحكم الإمامة [illegible] والاقتصاد [illegible] وهو مبحث هام، [illegible] الأصول[3]

هكذا تعددت الأحكام والحاكمات في إطار الحاكمية الواحدة للشريعة الإلهية وتعددت الفتاوى والمذاهب وتنوعت [illegible] الشريعة الواحدة [illegible] وتغيرت المذاهب الفقهية، بل وتعددت الاجتهادات داخل المذهب الواحد، في العصر الواحد والمكان الواحد فضلاً عن تعددها عبر الزمان والمكان [illegible] التعددية [illegible] في اجتهادات المجتهد الواحد، عندما تختلف رؤاه أو الوقائع التي [illegible] عليها الأحكام.

كل هذه الألوان من التعددية - ومثلها كثير - في إطار الشريعة الإسلامية الواحدة، التي هي وضع إلهي ثابت، عبر الزمان والمكان!

(١) (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام) ص٢١٩، ٢٢٣.

(٢) الشافعي (الرسالة) ص ٢١، ٢٢، وابن القيم (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) ص ٧.

(٣) انظر (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام) ص٨٦-٩٦ و(حجة الله البالغة) ج١ ص ٢٢٨، ٢٢٩.

إيمان واحد .. وحقيقة واحدة وتعددية فى مراتب التصديق ومستويات الخطاب والمخاطبين

الإيمان: تصديق قلبي جازم، [illegible] [illegible] الإيمان هو تصديقه في جميع ما جاء به

[illegible] واحد، جميعاً من مصدر معصوم

لكن هذا الإيمان الواحد هو ميادين متعددة في سبل تحصيله [illegible] وفي مراتب التأويل ودرجات الوجود لحقائقه وعقائده [illegible] وفي مواضع وجود هذه الحقائق والعقائد وفي مراتب ودرجات قبول ورفض أهل الإيمان [illegible] متعددة قائمة في ميدان الإيمان الواحد..

[illegible] تحصيل الإيمان بالأدلة الكلامية [illegible]

[illegible] بين الإسلام و[illegible]

الوعظية والخطابية [illegible] وعن طريق السماع ممن حسن [illegible] الاعتقاد [illegible] هناك الإيمان [illegible]
يُبقى في القلب محفوظاً [illegible] يوافق الصانع

[illegible] في تحصيل الإيمان [illegible]
الأمر الذي يجعلنا [illegible] تعدديه [illegible]
ونعتبره حجة الإسلام الغزالي [illegible]
الإيمان إنما يحصل على ست مراتب

الأولى [illegible] ما يحصل بالبرهان المستقصى، المستوفى شروطه، [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الناجون

الثانية: أن يحصل بالأدلة الوهمية الكلامية [illegible]
لاشتهارها بين أكابر العلماء، وشناعة إنكارها، [illegible]
[illegible]
لا يشعر صاحبه بإمكان خلافه أصلا

الثالثة: أن يحصل التصديق بالأدلة الخطابية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] خلاف مقتضى [illegible]

الرابعة: التصديق لمجرد السماع ممن حَسُن الاعتقاد فيه [illegible]

[illegible]

المرتبة الخامسة: التصديق الذي يسبق إليه القلب عند سماع الشيء [illegible]

[illegible]

[illegible] ورئيس البلد، ثم ارتفع صوت [illegible]

أنه قد مات، اعتقد العامي جزمًا أنه مات.

المرتبة السادسة: [illegible] التصديق لمجرد موافقته لطبعه، لا من حسن اعتقاده في قائله، ولا من [illegible]

[illegible] على موت عدوه وقتله و[illegible] يصدق [illegible]

[illegible] جزمًا، ولو أخبر بذلك في حق صديقه [illegible]

[illegible](1)

وهكذا [illegible] وحدة الإيمان تتعدد [illegible] ومراتب و[illegible] للتصديق بهذا الإيمان الواحد [illegible]

الواحد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الموجود.

[illegible]

التصديق، حقيقته الاعتراف [illegible] الرسول عن وجوده، إلا أن للوجود خمس مراتب: ذاتي، وحسي، وخيالي، وعقلي، وشبهي [illegible] الرسول ﷺ عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة [illegible] تكذيب على الإطلاق.

أما الوجود الذاتي، فهو الوجود الحقيقي [illegible] الحس و[illegible] أخذه إدراكًا، وهذا كوجود [illegible]

---

(1) (إلجام العوام عن علم الكلام) ص ٢٩٤ - ٢٩٧

[illegible] سواه.

وأما الوجود الحسي: فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له [illegible]

[illegible] [مريم: ١٧]. فإن [illegible]

ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة [illegible]

من النار، والدائرة والخط مشاهدان، [illegible]

حسك، لأن الموجود في الخارج هي [illegible]

متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في [illegible]

واحدة.

وأما الوجود الخيالي، فهو [illegible]

وأما الوجود العقلي فهو [illegible]

وأما الوجود الشبهي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من ذلك ليس من [illegible]

[illegible]

فالإيمان واحد، وهو التصديق بجميع ما أخبر به الرسول ﷺ، وفي إطار التصديق الجازم بجميع ما أخبر به الرسول تتعدد مراتب التصديق، بتعدد صوره [illegible] الوجود الذاتي، فالوجود حسي، فالوجود الخيالي [illegible] العقلي، فالوجود الشبهي، وبذلك يكون [illegible]

كذلك، فإن العقل عندما يكون [illegible] شيء واحد، فإنه يكون [illegible] تعديه بالنسبة إلى مكان وجود هذا الشيء [illegible]، فللشيء الواحد وجود في الأعيان [illegible] وجود في الصحف التي يسطر [illegible] كالنار مثلاً، فإن لها وجوداً في [illegible]

* * *

(١) (مصر العربية بين الإسلام والعروبة) ص ٥ - ١١

(٢) (إلجام العوام عن علم الكلام) ص ٢٩٠

كذلك، قد تتعدد الحدود والتعريفات الموضوعة لحقيقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحقيقة واحدة، مع التعددية فى الحدود التى توضع.

[illegible]

[illegible]

الخواص[2] . وبتعبير اخر هناك أهل الموعظة، وأهل [illegible] أهل الحكمة . . وفى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والخواص ـ أهل الكياسة ـ

وخواص الخواص ـ أهل البصيرة [illegible] ابن رشد: أهل الأقاويل

الخطابية . . وأهل الجدل . . وأهل [illegible]

(1) (الإمتاع والمؤانسة) ج3 ص 113 ـ طبعة القاهرة سنة 1944م

(2) أبو حامد الغزالى (فيصل [illegible] الأنام فى رسائل حجة الإسلام الغزالى) ص 82

(3) [illegible]

[illegible]

متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية [illegible] في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية [illegible] طرق الدعاء إلى الله تعالى، وذلك صريح [illegible] ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [illegible][1]

[illegible] خطاب، باختلاف مستويات المخاطب.

وكما تعددت وتتعدد مستويات [illegible] الحقيقة الواحدة، كذلك تعددت وتتعدد مراتب العلماء، وذلك تبعًا لاختلاف النسبة التي يعلمونها من هذه الحقيقة [illegible]

[illegible] وتنبيهًا.

وبعبارة الإمام الشاطبي: «أهل العلم - في طلبه وتحصيله - على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: [illegible] الترغيب والترهيب...

(١) (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص٥، ٣٠، ٣١

والمرتبة الثانية: الواقفون منه على براهينه [illegible]

[illegible] كالوصف الثابت للإنسان، وإنما هو كالأشياء [illegible]

والمرتبة الثالثة [illegible] البديهية في المعقولات الأول، أو مقاربها [illegible] يُحتاج إليه، فهؤلاء لا يحلمهم العلم وأهواءهم إذ [illegible][1]

هكذا تعددت وتنوعت الاعتبارات في ميدان الحقيقة الواحدة .. وذلك باعتبار الأسماء والحدود ومراتب الخطاب ومستويات المخاطبين ومراتب العلماء .. فوجدنا أنفسنا بإزاء تعددية في إطار الوحدة .. كما وجدنا ذلك من قبل في ميدان الإيمان الواحد، الذي تعددت فيه مراتب التصديق.. ودرجات التصورات.. وحظوظ المؤمنين من مضمون الإيمان



---

(١) (الموافقات) ج١، ص٣٤، ٣٥

نزوع إنساني إلى المعرفة وتعددية في نظرياتها

[illegible]

[illegible] إلى المعرفة [illegible] مذاهب [illegible]

[illegible] المادة الذرية [illegible] في رؤيته للكون [illegible] الحياة، ونظرية المعرفة [illegible] التي [illegible] فيلسوف «ديموقريطس Democritos» في القرن الخامس قبل الميلاد. فرأت [illegible] المصدر الوحيد للمعرفة، ورأت الفكر انعكاساً لها وحدها، [illegible] انعكاساً لأوهام خوف من الظواهر المدببة والطبيعية المجهولة [illegible]

[illegible] عبر ذلك التاريخ

[illegible] كما لم تعترف للقلب والوجدان بحدس أو [illegible]

ومن هذا النوع، وعلى هذا الدرب في الفكر الشرقي [illegible]
في الديانات الوضعية غير السماوية في [illegible]
الهندية وما حولها.

[illegible]

[illegible] أنه لا طريق
للعلم سوى الحس [illegible]

[illegible]

[illegible] للسمنيين. فلما بعث بعد [illegible]
١٣١هـ/ ٦٩٩ ـ ٧٤٩م) بمقالة «السمنية» [illegible]
[illegible]

[illegible]
قدم كتاب كتب في تراثنا عن (مقالات [illegible]
البلخي (٣١٩هـ ـ ٩٣١م) [illegible]
[illegible]

[illegible]

ـ هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟

ـ فقال: لا.

[illegible]

ـ قال: لا.

[illegible] وإذا كان المعروف لا يخرج من ذلك [illegible] فقد دخل في المجهول [illegible]

فسكت جهم!!

[illegible] «الموقع محسوس» [illegible] لا تخرج عن المشاعر الخمسة» أي الحواس الخمسة! وإذا كان الله [illegible] «المشاعر الخمسة» فلا سبيل إلى معرفته [illegible] يخرج من «المعروف» ودخل ـ حسب مذهبهم ـ «في المجهول» [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مصادر المعرفة عند «الشمس» و«الطبيعة» و«الإيهام» [illegible]

[illegible] المعرفة الإشراقية ـ مصدرها [illegible] ضرب من الحدس الذي يربط [illegible] المعرفة بالجوهر النورانية»[1] [illegible] العقل أو التجربة [illegible]

---

[1] [illegible]

[illegible] بمذاهبها ومدارسها المتعددة. لتمثل [illegible] في المعرفة إلى الملكوت، وفي المعرفة [illegible] المعرفية التي تبلورت فيها هذه [illegible]

كانت الكنيسة الكاثوليكية، إبان هيمنتها على الحضارة الغربية ـ سواء في ظل «القيصرية» السماوية ـ التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية ـ أو في ظل «السماوية ـ القيصرية» عندما أصبح «ما لله» «لقيصر» أيضًا.. كانت هذه الكنيسة قد جعلت «اللاهوت» هو المصدر الوحيد للمعرفة، فقدست المعرفة وشبهت جمدتها ـ عندما جعلت لها قدسية الدين وثباته.. وبعزلها «الواقع» عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة، منعت «الشرعية» عن ثمرات معرفة هذا «الواقع»، ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة، و«الحرمان الديني» لمن يطلبون «المعرفة» خارج «اللاهوت»!..

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شأنًا سماويًا خالصًا، لا مكان فيه «للواقع» وأدوات إدراكه وتصوراته، فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي؛ لتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة، ولتجعل من التجربة الحسية ـ المذهب التجريبي بأنواعه ـ السبيل الوحيدة لتحصيل المعارف والعلوم!..

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية، الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب النزعات المادية الدهرية، ولدى أهل المذاهب الوضعية ـ مثل «السُّمَنِيَّة» التي أشرنا إلى توجهها ـ بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن «الدين وضع بشري»[1] وليس «وضعًا إلهيًا»، وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية «الوحي» كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية، واعتبرته ـ في أحسن الحالات، وأخف وألطف التعبيرات ـ ميتافيزيقا، وخيالات، إن جاز أن تكون تصورات مرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني، فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

[illegible] «إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث، حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة واقعية» [illegible] وهذه الأخيرة «الواقعية» هي التي [illegible] «الواقع» فيها المصدر الوحيد للمعرفة الحقة. [illegible] هو «ثمرة التجربة» [illegible]

وكما في «السمنة» [illegible]

من المعرفة. [illegible] المذهب الوضعي [illegible] (١٩٠٠ – ١٩٦٠) [illegible]

«الواقع» المحسوس هو الوهم [illegible]

[illegible] هو الواقعية المحسوسة. [illegible] إن المثل الأعلى لليقين محقق في العلوم التجريبية [illegible] ومن ثم فإنه يجب العدول عن كل بحث في العلل [illegible] مستمدة من الحس أو التجربة المباشرة، [illegible] أو الاستنباطي[2]. أما «مصدر الوحي» [illegible] مرحلة الطفولة التي مر بها العقل البشري، [illegible] عن «الميتافيزيقا»!!

[illegible] اللاهوتي في مصادر المعرفة وسبل تحصيلها [illegible] لقد جعلت الكنيسة المعرفة شأناً سماوياً خالصاً، لا علاقة لها «بالواقع» [illegible] فجاءت الوضعية لتجعلها شأناً أرضياً «وضعياً» خالصاً، لا علاقة لها بالوحي ولا بنبأ السماء!.

والأمر الذي يؤكد هذه [illegible] الوضعية المعرفية، والمتبني لها [illegible] [illegible] رآها مراحل ثلاثاً:

١ - المرحلة اللاهوتية [illegible] التقليدية، التي استغرقت فيها [illegible]

[illegible]

(٢) (القاموس الفلسفي) - وضع مجمع اللغة العربية - مادتي «الوضعية» و«التجريبية».

٢ ـ والمرحلة الميتافيزيقية: [illegible]
السلطة الدنيوية والسلطة الروحانية للهجوم.

٣ ـ والمرحلة الوضعية [illegible]
وتسود فيها المعرفة الوضعية، ويصبح الدين وضعياً أيضاً![1] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تفكر بشكل وضعي في مادة علم
الفلك أو الفيزياء، لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مادة السياسة أو الدين،
فالمنهج الوضعي ـ الذي نجح في علوم الطبيعة ـ يجب أن يمتد إلى كل أبعاد
التفكير»[2].

لأنه قد رأى كل أبعاد التفكير وكل ألوان المعارف، وكافة العلوم صادرة عن مصدر
واحد للمعرفة، هو «الواقع المحسوس» فكل المعارف «تجريبية»، ومن ثم يمكن
التعبير عنها «بلغة الفيزيقا»[3]!

هكذا بدأت وتبلورت «الوضعية» [illegible] وفلسفاتها التي
[illegible] في الفروع والتفاصيل والتخصصات [illegible] والوضعية المنطقية.. والتجريبية
[illegible]

[illegible] جاليليو (١٥٦٤ ـ
١٦٤٢م) [illegible]
[illegible]

[illegible]

---

(١) (الموسوعة الفلسفية المختصرة) ص٣٦٦، ٣٦٧. [illegible]
١٩٦٣م.

(٢) محمد أمزيان (منهج البحث الاجتماعي [illegible]
الإسلامي [illegible] ١٤١٣هـ [illegible]

(٣) (الموسوعة الفلسفية المختصرة) ص٤٦٧.

[illegible]

الخبر القديم من جديد!.

* * *

[illegible]

المعرفة [illegible] وحدها [illegible] المعرفة عند الخواص دون سواهم.. ولا هو أدنى طهره [illegible]

[illegible] والحواس [illegible] بإشراقات القلوب وحدس الوجدان [illegible]

هذه المعضلة المعرفية وسطوته الجامحة في مصادر المعرفة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في الأنفس والآفاق..

[illegible]

[illegible]

[illegible] لأولي الألباب (١٩٠) الذين يذكرون [illegible]

[illegible]

[illegible] في الآفاق

وفي أنفسهم [illegible] شهيد (٥٣) ألا

[illegible] محيط [illegible]

والوحي الإلهي ـ الكتاب والسنة [illegible]

[illegible]

الإنسانية وتزكيتها ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال: ٢]

هكذا يعتمد الإسلام للمعرفة مصدرين [illegible] التوازن الذي يحقق توازن الإنسان المعرفي في هذه الحياة

وفي سبيل المعرفة عند الإسلام [illegible] اعتمد هدايات أربع لتحصيل المعارف والعلوم والثقافات.. [illegible] العقل.. والنقل.. والتجربة [illegible] في كتاب الله المسطور [illegible] في كتاب الله المنظور، مع تفاوت دور كل هداية من هذه الهدايات [illegible] ووزن كل سبيل من هذه السبل، حسب طبيعة حقل المعرفة التي يكون الإنسان بصدد تحصيلها.

ففي العلوم الكونية: تتسع الآفاق أمام العقل والتجريب، وذلك دون أن يغيب النقل والوجدان عن المقاصد منها، والضبط لتطبيقاتها..

وفي علوم الشرع: تتسع الآفاق أمام العقل والنقل، وذلك دون أن تغيب التجربة عن تطوير الاستدلالات والبرهنات، أو يتخلف الوجدان عن إحياء هذه العلوم

وفي علوم التزكية للنفس والمجاهدات الروحية: تتسع الآفاق أمام النقل والوجدان، وذلك دون أن تغيب التجربة عن ربط هذه النفس الزكية بالواقع الذي نعيش فيه

وفي كل الحالات، وجميع الميادين، تظل هذه الهدايات جميعاً ـ ودائماً وأبداً منظومة متكاملة ومتفاعلة في تحصيل المعارف والعلوم في النسق الفكري للإسلام

لكن [illegible]

[illegible]

[illegible] كما هو حال الوضعية العربية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المعارف والعلوم.

وهي عندما تحقق هذا التوازن المعرفي الذي يحقق توازن ملكات إنسانها دائباً، وفي التفاعل البناء بسائر ميادين العمران الديني وشئون الحياة الأخرى، إنما تمثل طوق نجاة للإنسان المسلم من خطر ومخاطر الثنائيات [illegible]، تلك التي أشقت الإنسان العربي عندما أفضت عقلانيته إلى جفاف روحي وخواء معنوي أفقد الحياة [illegible] تعيثان دماراً لروحانيته وللطبيعة من حوله..

[illegible]

هذا الإنسان

[illegible]

[illegible] تضيف إليها «الدليل»، أي [illegible]

[illegible]

[illegible] إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل [illegible] فارجع إليهم الآن، وقل لهم: هل تفرقون بين الحي والميت؟! وبين العاقل والمجنون؟! فإنهم يفرقون بذلك، وإنه يُعرف بالدليل لا بغيره!

هنا ـ في هذا الجزء من هذا النص الذي كتبه واصل بن عطاء ـ يقدم واصل الإضافة الإسلامية في نظرية المعرفة [illegible] فهو لا ينكر المعرفة الحسية، ولكنه لا يقتصر عليها، وإنما يضيف إلى أدواتها ـ مشاعر الحواس الخمسة ـ يضيف «الدليل» [illegible] والدليل ليس حاسة مادية [illegible] وبه يدرك الإنسان المعارف والعلوم غير المادية، والتي لا تخضع لتجارب الحس والحواس.

والدليل لغةً: هو المرشد والمبيّن ـ واصطلاحاً[1] هو [illegible]

[illegible]

والدليل، ليس فقط الحاسة التي تدرك المحسوس ـ كما هو الحال في نظريات «المعرفة الحسية» ـ بل قد يكون لازم العلم بالمحسوس [illegible] والإدراك به ليس مباشراً، كما هو الإدراك بالحواس [illegible] ومثاله [illegible] ما يلزم من العلم بالمصنوع للبديع ـ وهو محسوس ـ العلم بوجود الصانع المبدع، وهو معلوم غير محسوس، لا تدركه الحواس!

لقد أضاف واصل بن عطاء «الدليل» إلى «الحواس الخمس»، فعبر عن الرفض الإسلامي للمعرفة الحسية، التي [illegible] لإدراك وسبل المعرفة عند الحواس الخمس وحدها..

[illegible] الوضعية والماديات [illegible] والمعرفة الحسية في هذا الميدان.

لقد طلب منه أن يقول لهم: «هل تفرقون بين الحي والميت؟ وبين العاقل والمجنون؟» [illegible] وإذ كان جوابهم ـ ولابد أن يكون ـ بـ «نعم» [illegible] لزمتهم الحجة؛ لأن هذه التفرقة لا سبيل إليها إلا بـ «الدليل» [illegible]! فـ«الحياة» ليست مادة تدركها الحواس و«الموت» ليس مادة [illegible] وكذلك «العقل» و«الجنون» [illegible].. جميعها ليست مادة محسوسة تدركها الحواس!..

(1) انظر: الجرجاني (التعريفات) و(المعجم الفلسفي) ـ وضع مجمع اللغة العربية ـ القاهرة.

[illegible] «العقل». فعل التعقل، وليس عضواً من أعضاء جسم [illegible]

[illegible] والذي [illegible]

[illegible] المعرفة عند الشاعر [illegible]

[illegible]

ـ ليس هذا من كلامك! فمن أين لك؟!

فقال: كتبت به إلى رجل من العلماء [illegible] مصر ـ يقال له واصل

فخرجوا إليه ـ (إلى واصل) فكلموه، فأجابوه إلى الإسلام!».[2].

[illegible]

(2) [illegible] عبدالجبار بن أحمد، والحاكم الجشمي (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) ص ٢٢٦ [illegible] سنة ١٩٧٢م

[illegible]

* * *

[illegible] معرفية وملحوظة في التراث الإسلامي [illegible] أبدعت هذا التراث. قد تختلف [illegible]

[illegible] بأحدهما معارف عالم الشهادة، [illegible]: المذهب البرهاني، والمذهب [illegible]

ولي الله الدهلوي يتحدث عن دلالة [illegible] لتجربة على أن في الإنسان ثلاث لطائف، هي: العقل، والقلب، والنفس. فالعقل هو الشيء الذي يدرك به الإنسان ما لا يدرك بالحواس. والقلب هو الشيء [illegible] والتي تعمل متكاملة [illegible] عن الإضافة الصوفية [illegible] والسر. فالروح هو وجه القلب [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible] في [illegible] وتكلمت في [illegible]
مصادر المعرفة، وسبل اكتسابها وتحصيلها.

[illegible] في المعرفة [illegible]
في عصرنا الحديث. فالإمام محمد عبده يتحدث عن «كتاب الكون»، [illegible]
[illegible] «الكتاب
الوحي» [illegible]
[illegible] كما يتحدث عن سبل المعرفة [illegible]
[illegible]
﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ [الفاتحة: ٦] فيقول عن هدايات «العقل» و«الفطرة»
و«التجربة» و«الوجدان»

[illegible] ولقد منح الله
تعالى الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته[1]

أولاها: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري، [illegible]

الثانية: هداية الحواس والمشاعر، [illegible]
[illegible] حواس
الحيوان وإلهامه يكملان له بعد [illegible]
بالتدريج في زمن غير قصير

الثالثة: هداية العقل: خلق [illegible]
والوجدان مما يكفي مع الحس [illegible]
والنمو، فحباه الله هداية هي أعلى من هداية [illegible]
تصحح غلط الحواس [illegible]
صغيراً، ويرى العود المستقيم في الماء معوجاً [illegible]
[illegible]

---

(١) (حجة الله البالغة) ج٢ ص٨٨

(٢) (الأعمال الكاملة) ج٤ ص [illegible]

الهداية الرابعة الدين [illegible] كما تغلط الحواس، وقد يهمل [illegible]

الهدايات مسالك الضلال، فيجعلها مسخرة [illegible] حتى [illegible]

الهلكة. فاحتاجوا إلى هداية [illegible]

[illegible]

[illegible]

إلى محمد بما يجب عليه لصاحب تلك السلطة، [illegible]

لهدايات وغيرها [illegible]

هذه الهداية الرابعة الدين وقد منحه الله تعالى إياها.

[illegible]

[illegible] هداية أخرى، وهي المعبر عنها بقوله تعالى

[illegible] [[illegible] ٩٠] [illegible]

سبق ذكره [illegible] تفضل الله به على جميع أفراد [illegible]

والمراد بها عنايتهم وتوفيقهم [illegible]

[illegible]

والضلال في فهم الدين، وفي استعمال الحواس والعقل [illegible]

[illegible] ٦]

[illegible]

[illegible]

كل شيء سواه»[1]

(١) الأعمال الكاملة [illegible]

[illegible]

[illegible] ١٣٢١ – ١٣٩٠ [illegible]

[illegible] ١٩٠٩ – ١٩١٠ [illegible] «المتصلة بالمادة، والمتصلة بما وراءها» [illegible]

[illegible] فالمدركات الغريزية [illegible] المدركات الحسية [illegible] المدركات العقلية [illegible] لعبة الآتية من طريق الوحي [illegible] متعددة متساندة. [illegible] بعض ما يقصر عن الإحاطة به أحد هاتيك الطرق، يمكن أن يصل به طريق آخر منها، [illegible] الخارق للعادة، وهو طريق الوحي [illegible] الإنسان، وعقيدته، وحسه المادي، وعواطفه الغريزية، كلها متحدة متعاونة، [illegible]

هكذا وجدنا الموقف الإنساني إزاء [illegible] التي مثلت وتمثل نزوعاً إنسانياً دائماً لتحصيل العلم الكسبي، [illegible] على الإدراك والتصور، والتعرف للموجود[2] والمعلوم

[illegible] الإسلامي، ونشط سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

(2) [illegible] العلم الإنساني عن العلم الإلهي، المتصف بالإحاطة، [illegible]

[illegible] الأجناس . .

[illegible] الأمم والحضارات . .

ومن هذه المذاهب فى نظريات المعرفة

ـ المذهب المادى الوضعى [illegible] محسوس . . ووسيلته العقل الإنسانى والتجربة بالحواس . .

ـ والمذهب الإشراقى الباطنى [illegible]

ـ والمذهب الإسلامى . [illegible] اكتسابها ، فجمعت بين العقل والنقل والتجربة والوجدان .

فكان ذلك فى الإسلام واحدا من ميادين التعددية ـ فى نظريات المعرفة ـ فى إطار الوحدة فى النزوع الإنسانى إلى المعرفة .

* * *

إنسانية واحدة وتعددية في الأمم والشعوب والقبائل والأجناس

في منظور [illegible] الإنسانية، أنها بدأت [illegible] خلقه الله سبحانه وتعالى ـ وسواه ونفخ فيه من روحه ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون (28) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (29)﴾ [الحجر: 28، 29]. [illegible] ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (30)﴾ [البقرة: 30] [illegible] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (1)﴾ [النساء: 1]

وفي إطار هذه الوحدة تعددت وتمايزت واختلفت الأجناس والألوان والأمم والشعوب والقبائل والألسنة واللغات والخصوصيات والحضارات [illegible] الألوان والأنواع من التعددية في إطار النسبة الواحدة، والبشرية التي يرجع إليها وينتسب الجميع.

ففي إطار الإنسانية الواحدة يتميز كل إنسان بنبرة لسانه ونغمات صوته، وذبذبات نطقه وبصمة بنانه ـ بل وعينه ونَفَسه ـ عن سائر إخوته من بني الإنسان! . .

وفي إطار البشرية الواحدة تتميز الأمم بالشعوب التي ترسم على خرائطها دوائر القوميات. كما تتميز في هذا الإطار الألوان والأجناس

وهذه التعددية في إطار الإنسانية الواحدة هي ـ في [illegible] في الخلق، لا تبديل لها ولا تحويل . . [illegible] الجامع، لا [illegible] الطرف [illegible] ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم: ٢٢]

[illegible] ـ فإن المراد بهذا الاختلاف [illegible] في شكل [illegible] لا تشبه صوتان من [illegible] والاختلاف في [illegible] الإنسانية ـ لكل بنان! . .

وبعبارة الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ/ ١٠٧٥ ـ ١١٤٤م) [illegible] والاختلاف آية من آيات الله في «أجناس النطق، حتى لا تكاد تسمع [illegible] في همس واحد، ولا جهارة، ولا حدة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكنة، ولا نظم ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق [illegible] والألوان وتنويعها»(٢) أما إذا كان الاختلاف [illegible] حدود دوائر الأمم والقوميات ـ فإن أمر هذا [illegible] لاختلاف في الألسنة عند كل فرد من الأفراد

* * *

[illegible] (فرائد اللحجب) ج٣ ص٢٨١ انظر (أصول العلوم الإنسانية من [illegible]) ص ٢٢

(٢) (الكشاف) ج٣ ص٢١٨ طبعة القاهرة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

[illegible]

[illegible] ١٣]

وإذا كان هذا التمايز والاختلاف بين الجماعات والشعوب والقبائل، هو تنوع في [illegible] قد جعل حكمته في التعارف بين [illegible] مؤسس لفلسفة إسلامية ترفض التعصب للعنصر والجنس وعنصرية الأجناس، وتنكر دعوى احتكار الفضائل في أمة بعينها دون الأمم الأخرى، وترى الفضائل والرذائل مشاعا بين كل الأمم والشعوب، تتفاوت فيها بالكسب والتدافع والاستباق، فتتعدد مواريثها منها، وتتفاوت أرصدتها فيها، دون أن تكون حظوظها منها طبعًا وجبلة يستعصيان على التعديل والتغيير.

ولقد صبغت هذه الفلسفة -في التعددية والتنوع بين الأمم والشعوب في إطار الجامع الإنساني- طبعت الثقافة الإسلامية بطابع الوسطية لدى تراوح ما بين الخصوصيات التي تتميز بها وفيها الأمم والشعوب، وما بين شيوع الفضائل والرذائل في سائر الأمم والشعوب، فكان الاعتراف بالخصائص والمميزات، دون إنكار خصائص ومميزات الآخرين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثم إن هذه الفضائل المذكورة ـ فى هذه الأمم المشهورة ـ ليست لكل واحد من أفرادها، بل هى الشائعة فيها، ثم فى جملتها من هو عار عن جميعها، وموسوم بأضدادها فقد بان بهذا الكشف أن الأمم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة، واختيار الفكرة..

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالجبلة الأولى، وبالاختيار الثانى

[illegible]

[illegible] جـ١ ص ٧٣، ٧٥، ٨١، ٨٩.

[illegible] الإسلامية [illegible] الجامع [illegible]

والاختلاف [illegible]

[illegible]

[illegible] في حكمة [illegible]

الاشتراك [illegible] فلا تفاوت لم يكن اشتراك [illegible]

تقاسمًا، فصار ما من أجله يفترقون [illegible]

مشتركون»(1).

فهي تعددية في إطار الوحدة [illegible] الاختلاف [illegible] في

الإطار الإنساني العام.

[illegible] والتعدد والاختلاف [illegible]

[illegible] الاختلاف ﴿وخلقكم

أزواجًا﴾ [illegible] [النبأ: 8] [illegible]

[illegible] الإسلامي [illegible] وشعوب وقبائل

وألسنة [illegible] تتنوع وتتمايز وتتعدد وتختلف في الإطار الإنساني

الجامع.

بل إن هذه الفلسفة الإسلامية في التعدد في إطار الوحدة لا تقف عند عالم الإنسان،

وإنما تتجاوزه لتشمل [illegible] من

قبلكم من الجن والإنس [illegible] [الأعراف: 38] [illegible]

كما تتوزع بين الإسلام [illegible] ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا﴾

[الجن: [illegible]] ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا *

وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ [الجن: [illegible]]

[illegible] في إطار الوحدة

والاختلاف في إطار الجامع الموحد [illegible] الإسلامي

---

(1) المصدر السابق ج1 ص 211

أمـــة واحدة
وتعددية فى الملـل .. والأقـوام..
والمذاهـب والأحـزاب

[illegible] وصعتها ـ ونصعها. هذه المعاجم [illegible] عن غيرها من الأمم الأخرى

[illegible] الفكرى المادى [illegible] «أمة» حتى لتعتبر «السوق» و«الحياة الاقتصادية المشتركة» [illegible] إلخ .. «فلسوق» [illegible] «للدين»؟!

[illegible] فى التحديد والضبط [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ومضمون هذه المعاجم والقواميس «العربية»، وهو أيضا [illegible]
وراء إشاعة هذه المضامين في هذه التعريف [illegible]
[illegible]
ووصفها...

[illegible]

(١) قاموس [illegible]
(٢) المعجم [illegible]

[illegible]

وشيوع هذا المفهوم - الذي يطابق بين «الأمة» و«الدولة» - في قواميس ومعاجم الأمم التي مرت بها القهر الاستعماري الغربي، أو مصالح (القسمة) لصيقة ببعض العشائر والعائلات والطبقات، وهي التي أثمرت ظاهرة «ملوك الطوائف» الذين صنعهم وبرعاهم الاستعمار وهيمنة الحضارة الغربية. إن شيوع هذا المفهوم يسهم ولا شك في تشكيك هذه الأمم بوحدتها، فيفقدها الاتجاه الموحد نحو استكمال وحدتها كأمة، ونحو إقامة الدولة الواحدة التي ترسخ وحدة الأمة وتنمي سماتها وقسماتها... وهذه المفاهيم الغربية - عندما توظف خارج إطارها وتزرع في غير أرضها - تتحول في الإطار غيرها من أدوات القهر والأسلحة التي صنعها ويصنعها الاستعمار... وفي هذا الإطار، وتحت هذا الضوء يجب أن نرى قيمة ومرامي ونتائج دعوى الذين يستخدمون المفاهيم الغربية عن «الأمة» لينكروا وحدة المسلمين كأمة!

* * *

[illegible] الدائم» [illegible] تعرف «الأمة» [illegible] مشتركة، كوحدة الأصل واللغة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حديثة في تعريف [illegible]

[illegible] مع [illegible] الإسلامي في تعريف الأمة [illegible]

[illegible]

حدود «الجماعة»، فاعتبر «الجماعة» [illegible] يربطها رابط ويجمعها جامع [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلامي [illegible]

الإسلامية [illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible]

«الأمة» بوحدة المسلمين كأمة واحدة، ذات [illegible]. وقيام التنوع في إطار هذه الأمة الواحدة.

مفهوم الأمة في أصول العربية

[illegible] (١٠٨ [illegible]) في كتابه [illegible] في غريب [illegible] «الأمة» [illegible] كل جماعة يجمعهم [illegible] زمان واحد، أو مكان واحد، سواء أكان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا [illegible] جماعات؛ سواء أكان هذا الجامع طبيعيًا و [illegible] في [illegible] لأنها جماعات (أمم) الحيوان [illegible] (الأمم) الإنسانية ـ أو كانت جوامع [illegible].(١)

[illegible]

---

(١) (المفردات في غريب القرآن) ص ٢٣.

(٢) انظر (لسان العرب) [illegible] طبعة الهند ١٨٩٦م.

والسنة النبوية الشريفة والشعر العربي - وهي دواوين اللغة العربية ومصادرها الحقيقية - فنكشف عن صلة هذا المضمون لهذا المصطلح في اللغة العربية.

فالأمة: هي الجماعة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وهي الجماعة والجنس من كل حي، ولو لم يكن بشرًا ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]. وهي الجماعة من الناس في تعاقب الزمان أجيالًا وقرونًا ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد: ٣٠]. وهي الأمة - أي الجماعة - كل نبي - أي من أرسل إليهم - الذين آمنوا منهم، والذين ظلوا على كفرهم، فهم جميعًا أمة الدعوة، ويجمعهم جامع الدعوة والإجابة. والذين آمنوا منهم هم أمة الإجابة، يجمعهم جامع الإيمان ورابطة الإجابة. ثم هي الفرد إذا قام مقام الأمة وكان إمامًا للجماعة، كالرجل الذي لا نظير له، والمعلم الجامع للخير ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]. والمنفرد بدين الحق رغم عموم الوثنية والضلال «يُبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده»(١).

كما يطلق المصطلح - مصطلح «الأمة» - على الدين والملة كجامع يجمع جماعة فيجعلها أمة ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾ [الزخرف: ٢٣] وعلى السنة والطريقة بهذا المعنى. وكذلك على الحين والزمن، كرابط جامع بين المعاشين لهذا الحين والزمان ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود: ٨]. وأخيرًا يطلق هذا المصطلح - «الأمة» - على «المملكة»، كرابط سياسي يجمع الرعية برابطة الدولة.

وعلى هذا الدرب سار (معجم ألفاظ القرآن الكريم) - عندما عرض للمواضع التي ورد فيها مصطلح «الأمة»، فذكر من معاني «الأمة»: أنها كل جماعة يجمعهم أمر ما، والجماعة ... و«الأمة»: الدين ... والحين ... والأمة: الرجل الجامع للخير، والإمام ...

(١) [illegible]

[illegible]

[illegible] الأرض [illegible]

[illegible] [الأنعام: ٣٨]. والجامع في كل منها: النظام [illegible]

[illegible]

[illegible]

استخدام هذا المصطلح - مصطلح «الأ[illegible]

[illegible]. ففيها نجد أحاديث الرسول ﷺ «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»

وجامعها: رباط الإجابة للدعوة المحمدية [illegible] «صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية» [illegible]

و «لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله، لا يضرها من خالفها»[3]. [illegible]

[illegible] «النمل أمة من الأمم» [illegible]

«ولولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها» [illegible]

[illegible]

[illegible]

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي [illegible]

ذلك هو المضمون الذي اجتمعت عليه أصول العربية، وساد في حضارتنا الإسلامية..

فهل لهذه المرونة التي رفضت التحديد والتقييد، والتي تركت الباب مفتوحاً مرتبطاً بمصالح الجماعة، وكذلك الحدود الجامعة ذاتها [illegible] وبعض ألوان التنوع في داخلها [illegible] هل لهذا المنهج المتميز، وهذه الخصوصية العربية الإسلامية دلالة حضارية في ميدان التمايز الحضاري والخصوصيات القومية، يمكن رصدها عندما تكون المقارنة بين الأمم والحضارات؟! [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأمة الواحدة؟!

● أمة تتجه نحو العالمية

في الحضارة الغربية ساد مصطلح «الأمة» في مرحلة تبلورت فيها القوميات، على أنقاض الرابطة اللاهوتية النصرانية الجامعة [illegible] فكان الاستقلال والانسلاخ هو طابع المرحلة. ثم كان الطابع الصراعي الذي تولد من تناقضات المصالح والسياسة عاملاً هاماً في تأجيج العصبية القومية، فكان البحث في إطار الفكر القومي الغربي عن الفواصل والفروق وعوامل التمايز بين الأمم والقوميات [illegible] وراء الوصف والتحديد للسمات والشروط الجامعة المانعة في تعريف «الأمة»، ذلك «روح التميز»، الذي صار وثيق الصلة بروح «المغايرة» القومية، وشحذ هو حدة الوعي القومي كي يدفع كل أمة إلى [illegible] في حلبة الصراع على المصالح والأقاليم، داخل أوروبا أولاً، وخارجها بعد ذلك [illegible] في العالم الجديد أو القديم طلباً لمصادر الثروة، والأيدي العاملة الرخيصة، وتحقيقاً للهيمنة والاحتواء.

[illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible] الاختلاف ليست للأسباب الغربية،

من وعي [illegible] ... مضمون مصطلح «الأمة» تغيراً كبيراً.

فالطور العربي الإسلامي لحضارتنا، الذي تبلور على أرض [illegible] منذ بعثة الإسلام، والذي عاشته هذه الأمة، كامتداد متطور لمواريثها الحضارية والفكرية التي سبقت ظهور الإسلام.. هذا الطور العربي الإسلامي لم يكن طور انسلاخ عن رباط أشمل، ولا استقلال عن كيان أكبر، ولا بحث عن العوامل المميزة، والفواصل والحواجز والفروق.. وإنما كان ـ على العكس من ذلك ـ طور جمع وتأليف للفكر الحي المتوقد الذي جاء به الإسلام مع المواريث الفكرية والحضارية التي وجدها العرب المسلمون في البلاد التي دخلت في عالم الإسلام.. وللجماعة العربية المسلمة التي انطلقت من شبه الجزيرة مع الشعوب التي توحدت في إطار الدولة العربية الإسلامية الجامعة.. فلم يكن همّ هذه الحضارة وجماعتها البشرية ـ ومن ثم لغتها العربية ـ البحث عما يميز ويحدد ويفصل ويفرق، ضناً للاستقلال القومي عن كيان أوسع ورابطة أشمل، وإنما كان همها هو البحث عن عوامل التأليف لأمة أكبر وجامعة أشمل، وحضارة أوسع.. ولذلك، فلقد وقفت هذه الحضارة ـ ولغتها ـ بمضمون ومفهوم معنى «الأمة» عند مضمون الرباط الجامع للجماعة، أياً كان هذا الرباط، وذلك حتى يظل الباب مفتوحاً للتأليف والاستيعاب، وحتى تمتد مساحة تأثير وفعالية «النواة الإسلامية» فتشمل دائرة حضارتها كل الجماعات التي تدخل دائرة حضارة الإسلام، حتى ولو لم تتدين بدين الإسلام.. فكان هذا التوجه بمثابة العملة ذات الوجهين: الأفق المتسع، دائماً وأبداً، للاستيعاب.. ووجه التنوع والتعددية في إطار هذه الأمة!

[illegible] ... الإسلامية ... الإسلامي ... [illegible]

«الأمة» وتقويتها، وشدّ محركه، وروق الاستعداد والتوجه للتأليف، ورفض عصبية الانغلاق وتعصب الاستعلاء على غيرها من جماعات «الأمة» الحضارية.

لقد كان التوجه للاتحاد والتداخل - لا للاستقلال والعصبية - وكان الحفاظ على أن «الخصوصيات» إنما هي متميزة دائمة ومستمرة، لا تتميع ولا تنمحي أمام السمات الحضارية الأخرى - كما حدث وكان من ذلك حضارة العرب مع غيرها من حضارات - وكان للإحياء والتجديد والتطوير والاستفادة مما هو نافع وصالح للإحياء والتجديد والاستفادة من المواريث الفكرية والحضارية على اختلاف مواطنها ومنابعها وألوانها..

به نطق التمييز والتوجه المتميز، ثم هذا التميز لشهود «الأمة» في الحضارة العربية الإسلامية عنه في غيرها من الحضارات، وعنه في الحضارة العربية على وجه الخصوص.

■ ففي قريش بمكة نزل الوحي الإلهي على المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ، برسالة الإسلام، فكانت «الجماعة العربية» الإسلامية - التي بلغ ذروة في نشأتها العربية والقمة في تحولها - كانت بها البوادر الأولى «للاتحاد» الذي شارك أعظمها في التوحيد «القومي» للجماعة المشتركة العربية، التي كانت الوثنية المتعددة الآلهة قد فرقت بين شراذمها، فزرعتها القبائل في الجاهلية، وذلك دون أن تلغي هذه الجامعة القومية العربية سيادة قريش، ولا تمحو الاستمرارات القبلية أو تعتدي على واقعها. ولقد كانت هذه الظاهرة التوحيدية توحيدًا «تأليفيًا» يعانق التمييز، ووحدة لا تنكر التعددية، حتى عدت من معجزات الإسلام التي نسبها الله - سبحانه - في القرآن الإسلامي الجامع ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾ [الأنفال: ٦٣].

ولم يقف هذا الوليد الحضاري لتحقيق «الأمة» نسيجه عند حدود القبائل العربية، فلقد كانت مرحلة تجاوزها التأثير التوحيدي لدى بني قريش، لتنطلق به على نحو أكبر في دائرة أوسع، هي دائرة وحدة «القبائل» و«الشعوب» بمعيار «التعارف» في إطار «التعارف» الذي لا يلغي التمايز، ولا يجور على الخصوصيات، وإن أتاح الفرص

[illegible]

[illegible] خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل

لتعارفوا [illegible] عليم خبير (١٣)﴾ [الحجرات [illegible]

[illegible]

[illegible]

إنها أمة «دائمة التحقق».. بل إن ديمومة هذا التحقق [illegible]

[illegible] التي أرادها لها الله!..

[illegible] بواسطة «التعارف» الذي هو استشعار [illegible]

[illegible]

[illegible]

■ وفي الدين: بدأ الرسول ﷺ بحمل أمة الدعوة الأ[illegible] [illegible]

[illegible] (١)

[illegible]

[الأنبياء: ٥] وقرأنه [illegible]

[illegible]

و[illegible] في [illegible] الأنواع والتعدد في اللبنات والمكونات

■ وفي الأدوية: [illegible]

[illegible] صنعت ثوبها من نسيج [illegible]

[illegible]

[illegible] العروبة الحضارية [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible] دولة المدينة [illegible] أن [illegible] تحت قيادة [illegible] عليه
الصلاة والسلام [illegible] العروبة الحضارية [illegible] دستور [illegible] في
التاريخ ومصادره [illegible] [illegible]
في هذه الدولة، فإذا هي جميعًا «قبائل عربية». وفي هذا «الدستور» وجدنا التمييز
[illegible] على
[illegible] من المهاجرين
والأنصار [illegible] وهم مع القطاعات العربية المتهودة [illegible] المدينة
يكونون «أمة واحدة» .. أمة السياسة والرعية [illegible]
[illegible] الشعوب
الأخرى والقوميات الأخرى.

وعن هذه الحقيقة حول مفهوم الأمة في [illegible]
«دستور» دولة المدينة:

«هذا كتاب من محمد النبي [illegible] بين المؤمنين والمسلمين من قريش [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على المؤمنين [illegible]
[illegible] الذي قبلهم [illegible]

الصحيفة مع [illegible] من هو [illegible] هذه الصحيفة، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده، فإن مردّه إلى الله وإلى محمد رسول الله».

[illegible] الدستور [illegible] الأمة [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] وجاهد معهم [illegible]

[illegible]

[illegible] بالمدينة .. أي اليهود العرب ـ الأميين ـ لا العبرانيين :

﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾ [البقرة: ٧٨]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] «أمة الدين» وإنما تجاورتها، دون أن تسقطها .. لقد انداحت الدائرة دون أن تهمل المركز أو تتخلى عن الوحدة بأي حال من الأحوال .. فالمنطلق قائم وفاعل وقائد، والمرجعية في الأمة ـ المتعددة الشرائع الدينية ـ هي للشريعة الخاتمة للشرائع الإلهية، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ـ وأيضًا ـ فالاستشراف للآفاق الأوسع والأبعد دائم؛ لأنها أمة الاستيعاب والإضافة والاستلهام والتمثل، وليست أمة الانسلاخ والتشرذم والجمود والسدود والتعصب والعدوان على الأغيار

• والتعددية في الشرائع

[illegible] الإسلام [illegible]

[illegible] الوحدة قامت وعاشت

وتعايشت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
تقسم الحديثة.

[illegible]
والملة في إطار المرجعية الإسلامية للدو[illegible]
[illegible] ﷺ «الأنبياء إخوة لعلات (أمهات متعددات) - دينهم واحد، وأمهاتهم شتى» [illegible] هذا المعنى الذي تحيا [illegible]
[illegible]
فيهم [illegible]
ولم يرون الإثم!

ومع اتساع الدولة والأمة كانت هذه التعدد[illegible]
في المدرسة والتصنيف. فكتب [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible] وأن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح، حيث كانوا [illegible] وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا [illegible] أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي، وأن أدخلهم في ذمتي وميثاقي وأماني»

[illegible]

[illegible]

وضعت في الممارسة والتطبيق.. ولم يكن ذلك بالأمر الغريب، فهذه الأمة العلمية

[illegible]

[illegible] ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم

ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾

[هود: ١١٨، ١١٩] ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة

ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم

فيه تختلفون﴾ [المائدة: ٤٨].

فالأمة العلمية قد تأسست على التعددية [illegible]

[illegible] «التحقق الدائم»، والاستيعاب المستمر [illegible]

في إطار من الأطر الجامعة للأمة: وحدة العقيدة.. ووحدة [illegible]

[illegible]

ليست في بناء الوحدة والتوحيد..

بل إن هذه التعددية في «الملل».. والشرائع» لم [illegible]

السماوية.. من اليهود والنصارى.. [illegible]

[illegible] ديانات وضعية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون [illegible]

هادوا [illegible] وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة [illegible]

الإنجيل فيه هدى ونور [illegible] وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما

أنزل الله فأولئك هم الفاسقون [illegible] مصدقا لما بين يديه من

الكتاب ومهيمناً عليه [illegible] لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ [المائدة: ٤٤ - ٤٨]

[illegible] الكريم أمام هذه الحقيقة، قالوا - معبرين عن هذا الباب من أبواب «التعددية» و«التنوع» في إطار «الوحدة» - قالوا: «إن الشرعة والشريعة هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة. [illegible] لأهلها، والإنجيل لأهله، وهذا في الشرائع والعبادات، والأصل [illegible] لا خلاف فيه ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ [illegible]

فكانت المرة الأولى التي تأتي فيها شريعة سماوية لا تنكر [illegible] تقر تعدد السبل والمناهج والطرق - «الشرائع» [illegible] على التوحيد في الألوهية والإيمان بالبعث والعمل [illegible] «التعددية»، [illegible] الغنى والثراء في ميدان الحضارة [illegible] «الأمة الحضارية» [illegible] القرآن الكريم يرون في هذه التعددية «الحكمة» الإلهية [illegible] من وراء خلقه - سبحانه وتعالى - [illegible] ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] [illegible] ٦٥٠ - ٦٩٥هـ / [illegible] «أمة واحدة» [illegible] مكي [illegible] ٣٢٤ [illegible] ١١١ [illegible] ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ بحتمية بقاء الناس على شرائع شتى» [illegible] ٢١٠ - ٢٢٤هـ / [illegible] ٨٣٩م [illegible] ١٢٦هـ / ٧٤٤م [illegible] ﴿ولذلك خلقهم﴾ [illegible] «الإشارة للاختلاف، أي وللاختلاف خلقهم» [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ١٤٩٣هـ ١٩٩٠م [illegible]
الأقـوين عندنا أن شريعة من قبلنا هي شريعة [illegible] عليه السلام ـ ما لم يظهر نسخه»[1].

[illegible]

❁ ❁ ❁

• والتعددية في الأقوام

[illegible]

لأقوام الأخرى [illegible] فالملل المتعددة ترسم حدود الدوائر الدينية المتعددة في [illegible] اللغات ترسم حدود الدوائر القومية المتعددة في إطار وحدة أمة الإسلام [illegible] والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات [illegible] [illegible ٢٢]

فقبل الإسلام، كانت المعايير [illegible] ومفهومها [illegible] فجاء الإسلام ليرفض [illegible] «دعوها فإنها منتنة»[2] [illegible] قومه مظلومين، لكن العصبية [illegible] لأسمع: يا رسول الله [illegible]

[illegible] «لا، ولكن العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم»[3].

---

(١) د. رضوان السيد «الأمة والجماعة والسلطة» طبعة [illegible] ١٩٨[illegible]م [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

وبدأ من هنا تخلص العروبة من العصبية الجاهلية، وبدلاً من الإطار العرقي والنسبي للعروبة الجاهلية، أعطى الإسلام العروبة مضموناً حضارياً، وحدد لأمتها معياراً فكرياً وثقافياً.. فحين بعث النبي ﷺ في الناس، خلال بعثته، كان فيهم من يتكلم على الذين [illegible] بعده، ومن أصلاب غير عربية مثل بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي — رغم تفوقهم في الاستعراب درجة تفوق العربي المحض، وعلى الرغم من سيرته الإسلامية، ورغم تخلصهم من الانتماء للعربية، وإخلاصهم [illegible] في مجتمعهم الإسلامي عندما أنكر بعض العرب عليهم استعرابهم حضارياً وفكرياً وولاءً وانتماءً، تصدى رسول الله ﷺ لهذه الشبهة الجاهلية المعروفة، فخطب، ودعا الناس وخطبهم، فقال: «... أيها الناس، ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي..»(1)

فمنذ ذلك التاريخ، ووفقاً لهذا المعيار الحضاري والثقافي الذي حدده الإسلام للعروبة، اتسعت دائرة الأمة العربية وجماعتها العربية لتضم — وعلى قدم المساواة — كل الذين تعربوا بالفكر والحضارة والانتماء والولاء، مع الذين انحدروا من أصلاب عربية صريحة.. فكما أصبح معنى الأمة ومفهومها يتسع لعرب من عرب مسلمين وغير مسلمين من أهل الملل الأخرى، أصبح — كذلك — يتسع لعرب حضارة وثقافة من ذوي الأصول العرقية غير العربية.. فاتسع أفق الاستعراب للأمة في اتجاه العالمية واكتسبت التعددية في إطارها..

وعملاً بهذا المعيار الحضاري، الذي يصحح مفهوم «الأمة» ويوسع دائرة جماعتها، نهضت «الدولة» لتنظيم الجماعة [illegible] الأمم التي دخلت حظيرة الإسلام في ظلها من أكثر من عرق.. فلقد كانت الدولة الأولى في كيان الأمة [illegible] كانت حدودها مقصورة على شبه جزيرة العرب، [illegible] عرفت بعد.. لقد اتسع نطاقها، وتعددت مكوناتها في الوقت ذاته.. وقامت لهذا تنظيم الجماعة [illegible] في صورة الدولة، من مثل

(1) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج٢ ص ١٩٨ طبعة دمشق

«مولى لقوم منهم» [illegible] «الولاء لُحمة كلُحمة النسب»[1] [illegible] فلم تعد أرحام الولادة النسبية هي فقط أرحام الجنس والعرق، وإنما غدت العروبة الحضارية والفكرية والثقافية رحمًا جديدًا تولد منه الأمة والجماعة ميلادًا جديدًا، وفق هذا المعيار الحضاري الجديد!..

وبعد عصر الرسول ﷺ [illegible] المنهاج الإسلامي [illegible] فالمد الذي بدأ من قريش فألف بين القبائل على اختلاف دينها، ودمج فيها كل من استعرب حضاريًا، على اختلاف أصولهم العرقية [illegible] هذا المد قد امتد - بالفتوحات الإسلامية - إلى ما هو أبعد من القبائل، عندما ضمت الدولة «الشعوب» من أهل العراق وفارس والشام ومصر وغيرها من البلاد المتحضرة، التي تجاوزت طور البداوة، فكان سكانها «شعوبًا» لا «قبائل» [illegible] فبدأت مرحلة جديدة وطور جديد في مفهوم الأمة، اتخذت الدولة له المعيار القرآني، معيار «التعارف» الذي يعني التفاعل القائم في إطار الوحدة التي لا تنكر ولا تتجاهل التعددية والتنوع والتمايزات.. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ⑬﴾ [الحجرات: ١٣]

وعندما نجم قرن الشعوبية، التي تحتقر كل ما هو عربي [illegible] معرفة إلى هدف مستور هو الكيد للإسلام.. وعندما استغرقت الشعوبية [illegible] [illegible] الأمة [illegible] ينهضون لإحياء النهج الإسلامي [illegible] [illegible] المؤلفات - لتذكير الناس بالمعيار الحضاري لمفهوم الأمة [illegible] [illegible] ولا المعتق [illegible] عمرو بن بحر [illegible] ١٦٣ - ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ - ٨٦٩م) في مقدمة [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود والدارمي.

[illegible]

[illegible] ثياب الحزم[1]

[illegible]

والثقافة واللغة والشمائل، على [illegible]

عليه السلام [illegible]

[illegible] ففي الفكر الإسلامي ذي

النضج والنزوع العالمي، والمفتوح لاستيعاب موروث القديم والإبداع الجديد، تتمثل

رحم جديدة ستظل دائمة الولادة لآفاق جديدة تتسع بها دائرة الأمة، ويرحب بها

مفهومها كما امتدت بأهلها البصائر والأبصار إلى الجديد من الآفاق

[illegible] فتق لهاته[2]

بالعربية مبينة، ثم فطره على الفصاحة، وسلخ طباعه من صبغ العجم [illegible] تلك

التسوية، وصاغه تلك الصياغة، ثم حببه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم وشمائلهم،

وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها [illegible] فكان أحق بذلك النسب، وأولى

بشرف ذلك الحسب، وإن العرب لما كانت واحدة، فاستووا في التربية، وفي اللغة،

والشمائل والهمة، وفي الأنف والحمية، وفي الأخلاق والسجية، فسُكبوا سبكاً

واحداً، وكان القالب واحداً، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط [illegible]

[illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[illegible]
بني إسحاق، وهو أخو إسماعيل [illegible] وجادوا بذلك ـ في جميع الدهر ـ لبني قحطان [illegible] هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة . [illegible][1]..

[illegible]
[illegible]
[illegible] عملة واحدة ذات وجهين : الوحدة، القائمة على مرونة المعايير، و[illegible] التعددية في إطار هذه الوحدة.

[illegible] معارفها، وانفتح واسعًا باب استيعابها للقديم [illegible] «الدولة» مؤكدة ـ دائمًا وأبدًا ـ أهميتها [illegible]
[illegible] لتهيمن عليها [illegible]
الجماعات التي تدخل إلى دائرة [illegible]
[illegible]

وكما احتضنت وحدة هذه الأمة تعددية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إنما تعني الوحدة الجامعة لتعددية هذه [illegible] العادات والأعراف، ومن ثم فقه [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(1) [illegible] ج ١ ص ٢٩ ـ ٣١، ١١ ـ ١٤.

ولقد عبر الإمام محمد عبده عن هذه الجنسية حين قال: إن الإسلام لا يعرف في أدواره هذه الجنسية التي تختلف [illegible] الإسلام، [illegible] المسلم في البلاد الإسلامية هو المحل الذي ينوي الإقامة فيه، ويتخذ فيه طريقة كسب معيشته، ويبقى فيه مع أهله، ولا ينظر إلى مولده، ولا إلى البلد الذي نشأ فيه، ولا [illegible] هو بلده الأول، ولا [illegible] الأحكام [illegible]. وإنما بلده ووطنه الذي يجري عليه عرفه وينفذ فيه حكمه هو البلد الذي انتقل إليه واستقر فيه، [illegible] [illegible] من الحقوق [illegible] [illegible] شيء [illegible]

أما الجنسية المعبر عنها عند غير المسلمين «بالكبيتولاسيون» Capitulation فليست معروفة عند المسلمين، ولا لها أحكام تجري عليهم، لا في خاصتهم ولا في عامتهم وإنما الجنسية عند الأمم الأوروبية تشبه ما كان يسمى عند العرب عصبية، [illegible] أهل قبيلة واحدة أو عدة قبائل بنسب أو حلف يكون من حق ذلك الارتباط أن ينصر كل [illegible] يفتخرون بها على غيرهم

[illegible] الإسلام [illegible] في الحقوق [illegible] بالاختلاف في أصناف البشرية كالعربي والهندي والرومي والشامي والمصري والتونسي والمراكشي مما لا دخل له في اختلاف الأحكام والمعاملات بوجه من الوجوه، فمن كان مصريًا وسكن في بلاد المغرب وأقام بها جرت عليه أحكام بلاد المغرب، ولا ينظر إلى أصله المصري بوجه من الوجوه. وأما حقوق الامتيازات المعبر عنها «بالكبيتولاسيون» فلا يوجد شيء منها بين الحكومات الإسلامية قاطبة، هذا ما تقضي به الشريعة الإسلامية على اختلاف مذاهبها، لا جنسية في الإسلام، ولا امتياز في الحقوق بين مسلم ومسلم، والبلد الذي يقيم فيه المسلم من بلاد المسلمين هو بلده، وللأحكام عليه السلطان دون أحكام غيره»

( ) الأعمال الكاملة [illegible]

فدار الإسلام، تتمايز أوطانها و [illegible]

[illegible]

• والتعددية في الطبقات الاجتماعية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والتضليل و [illegible] والإفساد

الفرق بين غني يؤدي صاحبه الحقوق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
«المتوازن» و«الصارخ» من ألوان [illegible] الذي ساد ويسود حياة الناس.

[illegible]
«رساله» تتقدم» على الأمة، وليس على طبقة بعينها، فهو [illegible]
طبقة من الطبقات.

[illegible]
إلغاء التعددية الطبقية. أو يسعى إلى ذلك على الأقل. فإن النموذج الإسلامي
[illegible] عند حد «الوسط - العدل - المتوازن»، فلا يؤدى
[illegible] فتعيش المتعددة
[illegible]

[illegible] تمايز الطبقات
الاجتماعية في إطار وحدة الأمة، واحتضان الأمة للطبقات الاجتماعية المتعددة، والمتساندة في الوقت ذاته.

[illegible]
الطبقات - بإطار جامع الأمة الواحدة [illegible]
الأمة لا غنى لواحدة [illegible]
[illegible] «واعلم أن

الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عُمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة. فالجنود حصون الرعية وسبل الأمن، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج لهم من الخراج، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، ولا قوام لهم جميعًا إلا بالتجار وذوي الصناعات[1].

فنحن أمام تعددية في [illegible]
هذا المجتمع، دونما صراع ينفي الوحدة [illegible]

• وتعددية المذاهب.. والفرق

المذهب: مجموعة [illegible]

[illegible]

[illegible] فكانت في «المقالات» [illegible] والعلاقة بالأصول، وليست [illegible]

[illegible]

[illegible]

فالإمامة، أى السياسة . . والدولة [illegible] والخلافة، هي من الفروع [illegible]

[illegible]

ومباحث «الذات والصفات» الإلهية [illegible]، لا علاقة لها بجوهر الاعتقاد . . ولقد عكست [illegible] لتنزيه أو التشبيه، والتجريد أو [illegible] ظواهر النصوص . .

في هذا الإطار، عرف المسلمون تنوع المذاهب [illegible] في فرق علم الكلام . .

❊ ❊ ❊

[illegible] وحدة الشريعة الإسلامية [illegible]

١ ـ أبو سعيد، الحسن البصرى» (٢١ ـ ١١٠هـ/ ٦٤٢ ـ ٧٢٨م).

٢ ـ أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ ـ ١٥٠هـ/ ٦٩٩ ـ ٧٦٧م)

٣ ـ الأوزاعي [illegible] بن عمرو بن محمد (٨٨ ـ ١٥٧هـ/ ٧٠٧ ـ ٧٧٤م)

٤ ـ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري [illegible]

٥ ـ الليث بن سعد (٩٤ ـ ١٧٥هـ/ ٧١٣ ـ ٧٩١م)

٦ ـ مالك بن أنس الأصبحى (٩٣ ـ ١٧٩هـ/ ٧١٢ ـ ٧٩٥م).

٧ ـ سفيان بن عيينة (١٠٧ ـ ١٩٨هـ/ ٧٢٥ ـ ٨١٤م)

٨ ـ الشافعي: محمد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ/ ٧٦٧ ـ ٨٢٠م)

٩ ـ أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ/ [illegible])

١٠ ـ الظاهري: داود بن على الأصفهاني [illegible] (٢٠١ ـ ٢٧٠هـ/ [illegible])

١١ ـ الطبري: محمد بن جرير (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ/ ٨٣٩ ـ ٩٢٣م).

١٢ ـ زيد بن علي بن الحسين (٧٩ ـ ١٢٢هـ/ ٦٩٨ ـ ٧٤٠م)

١٣ ـ الصادق. جعفر بن محمد (٨٠ ـ ١٤٨هـ/ ٦٩٩ ـ ٧٦٥م).

١٤ ـ عبدالله بن إباض (٨٦هـ/ ٧٠٥م).

[illegible] من تعلديه مناهج النظر والاستنباط [illegible] هناك ـ مع [illegible]

[illegible] الفقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس، ثم يطابق [illegible] فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفًا للواقع.

وفي [illegible] الاجتهادات، التي تبلورت مذاهب متفتحة، [illegible] هذا الذي نحن فيه رأي، لا نجبر أحدًا عليه [illegible] أحسن ما قدرنا عليه، ومن جاءنا بشيء أحسن منه قبلناه [illegible]

[illegible]

وعلى سبيل المثال.

● منهج النظر عند أبي حنيفة [illegible]
بكتاب الله، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة
[illegible]
[illegible] من شئت من [illegible] وأدع من شئت منهم. لا أخرج عن قولهم إلى قول
غيرهم، [illegible] ولا أقدم القياس على النص؛ لأن النص لا
[illegible] فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم[1]، والشعبي[2]، [illegible][3]
والحسن[4]، وعطاء[5]، وسعيد بن المسيب[6]، فقوم اجتهدوا. [illegible]
وليس بين الله وبين أحد من خلقه قرابة[7]..

● أما قواعد النظر عند الإمام مالك [illegible]
في: الأخذ بنص القرآن الكريم، ثم بظاهره [illegible]
[illegible]
العلة. ومع هذه الأصول الخمسة للتعامل مع [illegible]
[illegible] وبعد هذه الأصول [illegible]
[illegible] ثم الاستحسان. [illegible]
[illegible]
المخالف، ثم الاستصحاب. ثم شرع من [illegible]

● وفي مذهب الإمام الشافعي: كان [illegible] قواعد النظر وأصول المنهج.
فالأصل: القرآن والسنة [illegible] فإن لم يكن [illegible] اتصل الحديث برسول الله

---

(1) إبراهيم النخعي (٤٦ - [illegible]
(2) الشعبي [illegible]
(3) محمد [illegible]
(4) الحسن البصري [illegible]
والمذاهب.
(5) عطاء بن رباح (٢٧ - ١١٤هـ/ ٦٤٧ - ٧٣٢م) تابعي من أجلاء [illegible]
(6) سعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤هـ/ ٦٣٤ - ٧١٣م) [illegible]
(7) [illegible] العلواني (أصول [illegible]

[illegible]
على ظاهره، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهر [illegible]
[illegible]
ولا يقاس أصل على أصل.. ولا يقال للأصل: لم؟ [illegible]
فإذا صح قياسه على الأصل صح، وقامت به الحجة.

● وقواعد مذهب الإمام أحمد بن حنبل، هي:

أولاً: النصوص: من القرآن والسنة، فإذا وجدها لم يلتفت [illegible]
[illegible]
[illegible]

ثانيًا: [illegible]
[illegible]

ثالثًا: [illegible] إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج
عن [illegible] والسنة حكى الخلاف ولم يجزم
[illegible]

رابعًا: [illegible]
[illegible]

خامسًا: [illegible]
[illegible]

سادسًا: يأخذ بسد الذرائع

● أما أبرز أصول المذهب الظاهري فهي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بعمل بالمرسل والمنقطع، خلافًا [illegible] ولا [illegible]

ولا يحل لأحد [illegible] ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾

[الأنعام: ٣٨] [illegible] ولا

يحل لأحد [illegible]

[illegible] وعلى كل [illegible] عليه من الاجتهاد..»[1].

وهكذا [illegible]

[illegible] والاختلاف [illegible] للأحكام من

هذه الأصول، [illegible] التشريع [illegible] ولهذا

[illegible] الشريعة الإسلامية، واختلافًا

[illegible] الاجتهادات [illegible]

«إن المذاهب فروع الأديان، والأديان أصول المذاهب، فإذا ساغ الاختلاف في الأديان - (أي التعددية في الشرائع) وهي الأصول - فلم لا يسوغ في المذاهب، وهي الفروع؟!.. ولما كانت المذاهب نتائج الآراء، والآراء ثمرات العقول، والعقول منائح الله للعباد، وهذه النتائج مختلفة، بالصفاء والكدر، وبالكمال والنقص، وبالقلة والكثرة، وبالخفاء والوضوح، وجب أن يجري الأمر فيها على منهج الأديان في الاختلاف والافتراق، وإن كانت تلك مربوطة بالنبوة، وما دام الناس على فطر كثيرة، وعادات حسنة وقبيحة ومناشئ محمودة ومذمومة، وملاحظات قريبة وبعيدة، فلا بد من الاختلاف في كل ما يُختارُ ويُجتنب، ولا يجوز في الحكمة أن يقع الاتفاق فيما جرى مجرى المذاهب والأديان..»[2]

وإن هذه هي حقيقة التعددية في المذاهب الفقهية [illegible]

أصحابها في إطار التنوع والتكامل [illegible] الرحمة والغنى والثراء، وليس في إطار التضاد

[illegible] على الناس [illegible] كل منهم إمامًا لغيره، ومأمومًا لسواه،

[illegible]

[illegible] لا مذهب [illegible]

---

(1) (أدب الاختلاف في الإسلام) ص ٩٣ - ٩٩

(2) [illegible]

(3) [illegible]

فالإمام أحمد بن حنبل، من أعلام صناعة الرواية للأحاديث.. وعليه تتلمذ الشافعي في الرواية، ويقول له: «أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب إليه، كوفيًا أو بصريًا أو شاميًا..»[1] الراوي لهذه الأخبار.

والشافعي إمام في فقه الحديث، وعلم الدراية.. وابن حنبل يعترف له بذلك، ويتحدث عن فضله عليه في هذا الفقه فيقول: «لولا الشافعي ما عرفت فقه الحديث.. كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس.. فانظر هل لهذين من خلف؟ أو منهما عوض؟!»[2].

وعن أبي حنيفة، وفقهه، يقول الشافعي: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة!».. كما يقول عن الإمام مالك: «مالك بن أنس معلمي، وعنه أخذت العلم، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم!»..

وكثيرة هي عبارات التقدير والإجلال التي امتلأ بها تراثنا، في ثناء مالك على أبي حنيفة.. وثناء أبي حنيفة على مالك[3]..

ولم يقف هذا المنهاج عند الأئمة المؤسسين للمذاهب، وإنما كان قسمة مطردة ومنهاجًا شائعًا لدى كل العلماء المجتهدين في كل المذاهب الفقهية.. لم يتخلف إلا عند المقلدين في عصور الجمود!..

فالقرافي (٦٤٨هـ - ١٢٨٥م) المالكي، يعتمد على علماء الشافعية، كما يعتمد على علماء المالكية.. ولا يقف في كتبه عند آراء المالكية وحدهم، وإنما يعلن هذا المنهج في تأليفه، فيقول: «وقد آثرت التنبيه على مذاهب المخالفين لنا من الأئمة الثلاثة، ومأخذهم في كثير من المسائل، تكميلاً للفائدة، ومزيدًا في الاطلاع، فإن الحق ليس محصورًا في جهة، فيعلم الفقيه أي المذهبين أقرب للتقوى، وأعلق بالسبب الأقوى..».

---

(١) (حجة الله البالغة) ج ١ ص [illegible].
(٢) (الرسالة) ـ مقدمة المحقق ص ١، ٣.
(٣) (أدب الاختلاف في الإسلام) ص ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨.

[illegible]

[illegible] ٤٩ ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨ـ١٣٥١م)، [illegible]
ومع ذلك [illegible]

[illegible] ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢ـ١٢٢٨م [illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible] ١٨٤، ٢١٩، ٢٧٧، [illegible] ١٩٥١م.

(٢) المرجع السابق ص ١١٣، ١١٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٧، ١٠٨.

(٤) [illegible] ١٣٣ [illegible] ١٩١٧م

وكذلك كان الحال مع الفرق الكلامية ـ التى برئت من الغلو، الذى افترض بفراض الغلاة ـ فلقد تمايزت هذه [illegible] الفرق الكلامية فى المقالات والنظريات، التى مثلت أطرًا جامعة، ومناهج فى النظر

[illegible] ٤٢٩، ٥٤٨هـ، [illegible] ١١٥٣م) [illegible] «القاعدة والقانون» [illegible] الفرق وتعدادها.. وذلك عندما قال:

«اعلم أن لأصحاب [illegible] على قانون مستند إلى نص، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود. [illegible] على منهج واحد فى تعديد الفرق

[illegible] «مسألة» [illegible] «أصول وقواعد» [illegible] «مقالة»، ويُعد صاحبه «صاحب مقالة».

[illegible] لأحاديث [illegible] المقالات [illegible] فى أربع قواعد، هى الأصول الكبار

[illegible] (الإسلامى) ص ٣٦١ ـ ٣٨١ طبعة [illegible]

(القاعدة الأولى): الصفات والتوحيد فيها، وهي تشتمل على مسائل الصفات الأزلية، إثباتاً عند جماعة، ونفياً عند جماعة، وبيان صفات الذات وصفات الفعل، وما يجب لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل، وفيها الخلاف بين الأشعرية والكرامية، والمجسمة، والمعتزلة.

(القاعدة الثانية): القدر والعدل، وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر، والجبر والكسب، في إرادة الخير والشر، والمقدور والمعلوم، إثباتاً عند جماعة، ونفياً عند جماعة، وفيها الخلاف بين القدرية، والنجارية، والجبرية، والأشعرية، والكرامية.

(القاعدة الثالثة): الوعد والوعيد، والأسماء والأحكام، وهي تشتمل على مسائل الإيمان والتوبة والوعيد والإرجاء والتكفير والتضليل، إثباتاً على وجه عند جماعة، ونفياً عند جماعة، وفيها الخلاف بين المرجئة، والوعيدية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية.

(القاعدة الرابعة): السمع والعقل، والرسالة والإمامة، وهي تشتمل على مسائل: التحسين والتقبيح، والصلاح والأصلح، واللطف، والعصمة في النبوة، وشرائط الإمامة نصاً عند جماعة، وإجماعاً عند جماعة، وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص، وكيفية إثباتها على مذهب من قال بالإجماع، والخلاف فيها بين الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والكرامية، والأشعرية.

فإذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه «القواعد» عددنا مقالته «مذهباً» وجماعته «فرقة»، وإن وجدنا واحداً انفرد «بمسألة» فلا نجعل مقالته «مذهباً» وجماعته «فرقة»، بل نجعله مندرجاً تحت واحد ممن وافق سواها مقالته، ورددنا باقي مقالته إلى الفروع التي لا تعد مذهباً مفرداً، فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية.

وإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف، تبينت أقسام الفرق، وانحصرت كبارها في أربع، بعد أن تداخل بعضها في بعض. كبار الفرق الإسلامية أربع: القدرية، والصفاتية، والخوارج، والشيعة...»[1].

(١) الملل والنحل ج١ ص ٩ ـ ١٣، طبعة القاهرة ١٣٢١هـ.

[illegible] ورصد الاختلافات في
[illegible]

[illegible] الأشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ / ٨٧٣ ـ ٩٣٦م) [illegible]
[illegible]
[illegible] علماء الإسلام قد جمعوا تعدد الفرق وتنوعها
واختلافها فيما في إطار الإسلام وأمته الواحدة . فهو اختلاف تنوع، يعكس فطرة
الإنسان في الاختلاف.

[illegible]
[illegible]، ويستشهد على ذلك بأن الحديث الذي أشار إلى الافتراق قد حدد أن الناجية
[illegible]
[illegible] «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا
على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون
في النار، وواحدة في الجنة» [illegible] «ستفترق أمتي على نيف وسبعين
فرقة، الناجية منها واحدة» [illegible] «الهالكة منها واحدة» [illegible]
رابعة «كلها في الجنة إلا الزنادقة»[1]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] «معنى الناجية هي التي
لا تُعرض على النار، ولا تحتاج إلى شفاعة» ويمكن أن تكون الروايات كلها
صحيحة، فتكون الهالكة واحدة، وهي التي تخلد في النار، وتكون الناجية واحدة،
وهي التي تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة . وتبقى الفرق كلهم بين هاتين
الدرجتين، فمنهم من يعذب بالحساب فقط، ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف

---

[1] [illegible]

بالشفاعة، ومنهم من يدخل النار ثم يخرج، على قدر خطاياهم في عقائدهم وبدعتهم، وعلى كثرة معاصيهم وقلتها، فالهالكة المخلدة في النار من هذه الأمة هي فرقة واحدة، وهي التي كذّبت وجوّزت الكذب على رسول الله ﷺ بالمصلحة» أي زعمت أنه قد كذب، لكن لمصلحة الناس!.

[illegible]

ثم يعرض [illegible] لأن اختلافات هذه الفرق المصدقة [illegible] الإسلامي، فيقول: «اعلم أن للفرق في هذا مبالغات وتعصبات فربما انتهى بعض الطوائف إلى تكفير كل فرقة سوى الفرقة التي يعتزي إليها ... والفرق كلها يُصَدّقون، ولا يُجَوّزون الكذب على رسول الله ﷺ لمصلحة أو غير مصلحة، ولا يشتغلون بالتعليل لمصلحة الكذب، بل بالتأويل ... والمخطئون في التأويل أمرهم في محل الاجتهاد». (أي أن تأويلهم الخطأ هو اجتهاد خاطئ)

والذي ينبغي أن يميل المحصّل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك

(١) الفيصل [illegible]

محجمة من دم مسلم. . وهذه الفرق منقسمون إلى مسرفين وغلاة، وإلى مقتصدين بالإضافة إليهم. . والتكفير يثير الفتن والأحقاد، وأكثر الخائضين فيه إنما يحركهم التعصب واتباع الهوى دون النظر للدين، ودليل المنع من تكفيرهم أن الثابت عندنا بالنص تكفير المكذِّب للرسول، وهؤلاء ليسوا مكذبين أصلاً، ولم يثبت لنا أن الخطأ في التأويل موجب للتكفير، فلا بد من دليل عليه، وثبت أن العصمة مستفادة من قول: لا إله إلا الله، قطعًا، فلا يُدفع ذلك إلا بقاطع. والوصية: أن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله، غير مناقضين لها، والمناقضة: تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ، بعذر أو غير عذر، فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه.

وأما القانون: فهو أن تعلم أن النظريات قسمان. قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع. وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر، وما عداه فروع، واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً، إلا في مسألة واحدة وهي أن ينكر أصلاً دينيًا عُلم من الرسول (ﷺ) بالتواتر. لكن في بعضها تخطئة، كما في الفقهيات، وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالإمامة وأحوال الصحابة. واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيء منه تكفيرًا. والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل.»[1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[2] [illegible] ص ١٥ ، ١٧

[illegible]

[illegible] صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول، وإن كل [illegible]

[illegible] أهل [illegible]

[illegible]

■ وتعددية فى الأحزاب السياسية:

[illegible] البشرى والعمران الإنسانى، [illegible] التى وقفت فيها الشريعة عند المبادئ والقواعد والكليات [illegible] «الفروع» و«المتغيرات» وليست من «الأصول» [illegible] الإسلام الغزالى: «فإن نظرية الإمامة ليست [illegible] فيها، بل من الفقهيات - (الفروع) -[3] [illegible] قواعد، وقسم يتعلق بالفروع [illegible] بها - (أى فى جماع الدولة والسياسة) - لا يوجب شىء منه [illegible]

[illegible] «الاعتقاد»[4] وعبارة عضد الدين الإيجى، والشريف الجرجانى [illegible] من أصول الديانات والعقائد، بل هى من الفروع [illegible]

---

(١) [illegible] موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، جـ١ ص ٥٠ طبعة القاهرة الأولى.

(٢) (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص [illegible]

(٣) (فيصل التفرقة بين [illegible]) ص [illegible]

(٤) (الإرشاد) ص ٤١٠

(٥) (شرح المواقف) جـ٣ ص ٢٦١

الشيعة [illegible] «إن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد [illegible]

[illegible]

المفوضة إلى نظر الخلق

وإذا كانت السياسة من «الدين».. فهي مما يرد ويجوز فيها الاختلاف، باختلاف [illegible] والتدبير

[illegible] «الشرائع العامة» [illegible] «السياسة جزئية» [illegible] (أي بالمصالح) ـ زماناً ومكاناً ..[3] [illegible] على هذه [illegible] «الجمع العلماء في الجملة..»[4]

وإذا كانت التعددية في الفقه الإسلامي قد وسعتها وحدة الشريعة الإسلامية، فازدهرت المذاهب الفقهية الإسلامية، وتعددت اجتهاداتها في فروع العبادات والمعاملات.. فإن التعددية في فروع المعاملات الإسلامية، ومتغيراتها الدنيوية لابد وأن تسعها كليات السياسة الشرعية، خاصة وأن أغلب أمور السياسة الشرعية إنما تقوم على الموازنة بين المصالح والمفاسد، وللاجتهاد في هذه الموازنات مجال كبير.. فكما وسعت التعددية «المذاهب الفقهية»، لابد وأن تسع «الأحزاب السياسية»، التي تميزت وتتميز بها حياتنا المعاصرة والحديثة بشكل ملحوظ.

* * *

(1) [illegible]

(2) (المقدمة) ص ١٦٨

(3) (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) ص ٢٥ـ٢٧

(4) المرجع السابق ص ٢٧

و"الأحزاب السياسية" المعاصرة هي "جمعيات منظمة" في ميادين الإصلاح للمعاملات" الاجتماعية في شئون العمران الإنساني .. والقريب منها عرفت حضارتنا الإسلامية "المذاهب الفقهية" في مقابل التعددية في الاجتهادات" في ميادين "فقه المعاملات" .. بل وفي ظل علم الاجتماع الديني في تراث الإسلام قد صنفت "السياسة الشرعية" تكتب بها العامة.. الأحزاب السياسية المعاصرة، وعرف الإسلام في عقائده وشرائعه الثابتة .. السنة بها مرجعية مشروعية في النهضة والتغيير، كما قدم تعددية سياسية يسعها الإسلام، كما وسع التعددية الفقهية التي تحدثت عنها

ذلك أن "الحزب السياسي" في الاصطلاح المعاصر يطلق على "مجموعة من المواطنين، يؤمنون بأهداف سياسية وفكرية مشتركة، وينظمون أنفسهم بغية تحقيق أهدافهم وبرامجهم، ويسيرون التي يرونها محققة لهذه الأهداف، كما يهدف إلى الوصول إلى السلطة في المجتمع الذي يعيشون فيه.."[1].

بل إن مصطلح "الحزب" غير غريب عن التراث الديني والحضاري للإسلام، ولا هو بالوافد والطارئ على حضارتنا الإسلامية .. فلقد ذكرته وفي السنة النبوية الشريفة عدة مرات، بل وأعطى المعنى الذكر ووحده، بل وأعطى الإيجابي الممدوح لنفس التعبير مع مصطلح "الحزب"، كما عرف هو المضمون والمقصد والعداء الذي يعني "حزب الشيطان"، وكما أطلق القرآن الكريم على المشركين وصف "الأحزاب".. ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢] فقد أطلق المصطلح "الحزب" على المجتمعين على المنهاج الإلهي: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦]

ولقد كان المسلمون -في صدر الإسلام- يُسَمَّوْنَ -أحيانًا- "حزب محمد" .. وفي الحديث الشريف يروي أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قوله: "يَقْدُمُ عليكم أقوام هم أرق منكم قلوبًا". قال: فقدم الأشعريون، فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون:

---

(1) موسوعة السياسة، مادة الحزب السياسي

غداً نلقى الأحبة .. محمداً وحزبه!! [1]

بل إن السيرة النبوية التي جاءت فيها (الأحزاب) قد تحدثت عن "الأحزاب"، وإن الحديث عن نساء النبي ﷺ، ورضي عنهن [illegible] الذي جاء في صحيح البخاري [illegible] "الحزب" على الجماعتين في إطار [illegible] فعن عائشة رضي الله عنها: "أن نساء رسول الله كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ"..

فمصطلح "الحزب" ليس غريبًا على تراث الإسلام.. وليس سلبي المعنى بإطلاق وتعميم.

وإذا نحن نظرنا في الحضارة الإسلامية التي مثلت العصر [illegible] لحضارة الإسلام فإننا سنجد أن "الفرق" الإسلامية قد نشأت نشأة سياسية. وكانت [illegible] وتنظيمات سياسية.. وكانت السياسة واحدة من أبرز مهامها واهتماماتها.. فهي كانت "أحزابًا" سياسية، ذات مناهج فكرية متميزة، وذات سبل متميزة في الإصلاح الفكري والسياسي.. [illegible] مع المذاهب الفقهية [illegible] تيارات فكرية تمثلت في أئمة [illegible] العلماء [illegible] الاجتهاد [illegible] وقد [illegible] ولم [illegible] ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وفي العصر الحديث عرفت بلاد الأحزاب والجماعات والجمعيات [illegible] عرفتها الإسلامية، [illegible] علماء الفقه الإسلامية وعلماء [illegible] الإسلامي، الذين تصدوا [illegible] للغزوة الاستعمارية الغربية على بلاد الإسلام.. وهم قد [illegible] هذه الأحزاب والجماعات [illegible] في "الفرق" [illegible] الغربية، [illegible] قد [illegible] (الحزب) [illegible] الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) قد أنشأ [illegible] مصر [illegible] في [illegible] القرن التاسع عشر [illegible] الحزب الوطني الحر [illegible] جمعية العروة الوثقى [illegible] (١٢٧٠ ـ ١٣٢٠هـ ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢م) [illegible] في [illegible] التاسع عشر [illegible]

(١) رواه الإمام أحمد

[illegible]

[illegible]

تجارب الغرب الأوروبى فى التنظيم الحزبى [1]

فعلى حين عاشت الحضارة الغربية .. فى بعض [illegible] حديثة .. تنكر التعددية [illegible] بل وحتى التعددية [illegible] داخل [illegible] .. تميزت الحضارة الإسلامية بالإيمان بالتعددية، كسنة من سنن الله فى [illegible] و [illegible] و [illegible] ، وتجسد [illegible] فى الممارسة والتطبيق [illegible] هذا الأمر .. وهو [illegible] على [illegible] التى فرض الله [illegible] على [illegible] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. و [illegible] الأمة الجماعة [illegible] التى [illegible] لهذه الفريضة [illegible] الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران [illegible]] [illegible] هذا الأمر .. [illegible] على [illegible] لا [illegible] الانقطاع الذى أحدثه [illegible] الحضارى .. الانقطاع بين [illegible] وبين [illegible] الصحيحة لهذه التعددية فى تاريخ الإسلام [illegible] بين التعددية فى الفروع [illegible] وهى المشروعة [illegible] وبين الافتراق فى الأصول [illegible] من الدين بالضرورة .. وهى التى لا تعددية فيها ولا خلاف ولا افتراق.

[illegible] الأمة الجماعة التى فرض الله عليها أن [illegible] نجاح العمل السياسى [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] أخص من الجماعة، فهى [illegible] أفرادها [illegible] كالأعضاء فى بنية الشخص [illegible] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فكان عضواً فى «الحزب الوطنى الحر» [illegible]. ولذلك

[illegible]
ص ٦٦١ ـ ٦٦٥

(٢) الأعمال الكاملة ج٥ ص ٥٩

[illegible]

[illegible] حاكمين على جمهور الأمة بالهلاك!

[illegible] أهل الجمود والتقليد هؤلاء، إلا أن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الافتراق من أي نوع كان، والاختلاف على أي أساس كان لا يصدق طبعة الإسلام [illegible] في شيء [illegible] [الأنعام: ١٥٩] وقد ظن بعضهم أن تقييد التفرقة بالدين يقتضي جواز الافتراق في السياسة وغيرها من الأمور الدنيوية، بل وفي المسائل الفقهية الفرعية أيضًا، وذلك لأن المراد عندهم بالدين هو العقيدة والأركان الأساسية فقط، وقد غلا بعضهم في ذلك حتى قالوا: إن الاختلاف في الفروع والأمور الدنيوية رحمة [illegible]. وهذا ظن فاسد [illegible] فالاختلاف في الدين كما يصدق ويراد به الاختلاف في العقيدة والشريعة، كذلك يراد به افتراق أهل دين واحد أيا كان أساس هذا الافتراق. قال الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٤٦] فلم يقيد التنازع بشيء ليشمل جميع أنواعه[2]!

[illegible] القاهرة سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

(٢) [illegible] في الإسلام، ص ٨٥

[illegible]

على هذا [illegible] أن رسول الله ﷺ عندما خالف [illegible]، وحتى بعد أن تبين صواب التأبير وخطأ تركه، قد قال لأصحابه - من أهل المدينة - [illegible] هذا الاختلاف إذا حدث في إطار «الرأي» فهو مشروع، [illegible] في إطار «الوحي» حتى يكون [illegible] ومحرمًا. [illegible] «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»[1] [illegible] والبلاغ عن الله يجب السمع والطاعة

[illegible] يؤجر صاحبه حتى لو أخطأ!..

[illegible] الذي هو من صفات المشركين؟!

[illegible] بها صاحب هذا الادعاء؟!

[illegible]؟!

[illegible] للأئمة: الغزالي.. والجويني.. والإيجي.. و[illegible] خلدون عن التعددية.. فهلا قرأ ما كتبه الإمام [illegible] (١١١٠-١١٧٦هـ/ ١٦٩٩-١٧٦٢م) عن سنة الله في الاختلاف في الفروع والمناهج «إن أصل الدين واحد، والشرائع والمناهج مختلفة.. و[illegible] الخاصة التي [illegible]

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه والإمام أحمد

[illegible]

[illegible] من أي نوع كان، ممنوع شرعًا..»(٣)!

[illegible]

[illegible] التعاون على شيء لا يقتضي تنظيمًا (دونه) ينفرد به المتعاونون عن غيرهم [illegible]

[illegible] الحقوق والواجبات؟ [illegible] وألا يقتضي التعاون على التصنيع تنظيم تعليم فني وتقني وقطاعات متخصصة في هذه التقنيات، فكرًا وممارسة، ومؤسسات لها تنظيماتها [illegible]، والتي ينفرد بها أهلها؟!..

[illegible] ص ٨٦، ٨٧.

[illegible]

فمن الذى قال: «إن التعاون على شىء لا يقتضى تنظيمًا إدا [illegible] من غيرهم» - غير صاحب هذا الادعاء ؟!!

وصاحب هذه الدعوى لا يميز بين «التقدم لقيادة الجماعة» [illegible]

[illegible]

[illegible] «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»[1] . والحديث القائل: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية»[2]

ثم يوظف هذا الحديث فى غير موضعه الذى مثَّل ملابسات [illegible]

[illegible]

أساسًا للولاء والبراء»[3] !

و[illegible] ليت صاحب هذه الدعوى فقه أن مصطلح «الأمير» فى الحديث النبوى يراد به «أمير الجيش والقتال» الذى لا مجال لمخالفته ساعة الحرب، بل ولا حتى [illegible] مشورته إلا بعد المعركة [illegible] وأن المراد «بالخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة» العودة عن الإيمان إلى الكفر [illegible] والجاهلية، وليس تعدد الاجتهادات

[illegible]

[illegible]

[illegible] فى إطار الولاء للدين، شىء آخر.. فلأولى الأرحام - فى [illegible]

[illegible] .. وللأهل ولاء وانتماء داخل الجماعة - [illegible]

[illegible]

[illegible]

جامع الإسلام، وفى داخله - وعلى درجات سلمه - تتعدد درجات سلم الانتماءات

[illegible]

تناقضات..

---

(1) رواه مسلم

(2) رواه مسلم

(3) «الأحزاب السياسية فى الإسلام» ص ٤٥

وصاحب هذه الدعوى ـ التى تُحرِّم [illegible] الاختلاف ، بإطلاق ـ يُحرم ويُحرِّم الأحزاب السياسية لأنها [illegible] الحكومة من أهلها» . «فالإمارة والحكم أمانة من الله فى أعناق [illegible]».

ونحن نسأل صاحب هذا الرأى الغريب والعجيب :

هل الإمارة والحكم [illegible] الحكام والأمراء خاصة؟ . أم هى أمانة فى أعناق الأمة صاحبة الحق فى [illegible]؟

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض [illegible] الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين [illegible] [٢٥١] [illegible]

[illegible]

[illegible] ، فهل يحرم عليها أن [illegible] تقيم الآليات والمؤسسات والجماعات التى تحقق التسابق والتدافع فى حمل أمانة الحكم والعدل بين الناس؟!

[illegible] كانت ممارسة «فردية» [illegible] الإسلام جعل الشورى أساس

[illegible]

نظامه الاجتماعى والسياسى، وأعطى الحرية الكاملة لكل فرد من أفراده فى إبداء الرأى والنقد والمعارضة»[1]..

ونحن نسأل:

فماذا لو اجتمع الأفراد [illegible] آراؤهم فى منهاج تدبير الدولة وليجتمع على إقامة مؤسسة سياسية تجمع جهودهم الفردية [illegible] نبيحها لهم متفرقين؟!..

[illegible] «الإفتاء» [illegible] فى «العلم السياسى» تنظيمًا وتفعيلاً [illegible] فى هذا الميدان؟! [illegible] وتشابكت الاجتماع السياسى المعاصر [illegible] إقامة [illegible] المعروف والأمر به، ومعرفة المنكر [illegible] يجوز ذلك، باسم دين هو الدين [illegible] والصيام، خاص بالفرد المقصر وحده؟!.. دين [illegible] عليها عندما تؤدى فى الجماعة والاجتماع؟!

[illegible] والتنظيم لهذه الاجتهادات المتعددة، وذلك فى إطار

[1] [illegible]

... شيخ الإسلام ابن تيمية عن جماعة من الناس يسمون حزباً، ويتخذون لهم رأساً، ويدعون إلى بعض الأشياء».. ؟ فقال:

«وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب ـ أي تصير حزباً ـ فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان»[1].

جماعات إسلامية في البلدان الإسلامية، لاحتضان الشباب وتربيتهم على الإسلام، من إيجابيات هذا العصر؟».

ـ فأجاب: «وجود هذه الجماعات الإسلامية فيه خير للمسلمين، وعلى كل جماعة من الجماعات الإسلامية ـ «التبليغ»، «اتحاد الطلبة المسلمين»، «الإخوان المسلمين»، «الشبان المسلمين»، «أنصار السنة المحمدية»، «الجمعية الشرعية» .. إلخ ـ أن تتعاون مع الأخرى فيما اتفقوا عليه من الحق، وأن تتفاهم معها فيما اختلفوا، عسى الله أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل، وعلى كل طائفة من هذه الجماعات أن تنصح للأخرى، فتثني عليها بما فيها من خير، وترشدها إلى ما فيها من خطإ في الأحكام أو انحراف في العقيدة أو الأخلاق، أو تقصير في العلم أو البلاغ، قصداً للإصلاح، وطلب لاستدراك ما فات، لا ذماً لها وتعييراً، عسى أن تستجيب لما دعيت إليه فتستكمل نقصها وتصلح شأنها، وتجتمع القلوب على الحق وتنهض بنصرته»[1].

هكذا [illegible] مشروعية [illegible]

[illegible] نظام جمهورها في تنوع قومي، [illegible] بالنسبة لغير المسلمين [illegible] والشريعة والحضارة والدار [illegible] منشوراً. فالاختلاف في [illegible] للتدافع والاستباق على [illegible] الإصلاح.

[illegible] كل الجماعات التي منحت ولاءها ومحضت [illegible] وبهذا الموقف الاستيعابي، الذي يجعل [illegible] حرصت هذه الأمة على التعايش [illegible] الاختلاف في

---

(1) د. عبد الرحيم [illegible] ص ٦٠، ٦١ طبعة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م [illegible]

[illegible] "التنوع" [illegible]
[illegible]

وصدق الله العظيم [illegible] والاختلاف":

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [النساء: ١]

﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ [الحجرات: ١٣]

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [الروم: ٢٢]

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٩٢]

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [المائدة: ٤٨]

﴿لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه﴾ [الحج: ٦٧]

﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤]

﴿إن سعيكم لشتى﴾ [الليل: ٤]

[illegible] والحيواني.. المادي منه والفكري.. الإنساني منه والنباتي..

[illegible] التعددية والتنوع والاختلاف في إطار جوامع الوحدة والائتلاف.. ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً؟

• التعددية بين الواقع والمثال

لكن [illegible] تطبيقات وممارسات حضارتنا الإسلامية للتعددية قد [illegible]

[illegible]

إنما يجب أن نميز ـ في هذا الموضوع ـ بين «المثال» وبين «الواقع»... فالمبادئ الدينية، والصيغ الفكرية، والنظريات الفلسفية هي «مثل»... والمثل ـ عادة ـ تستعصي على كامل التحقق والتطبيق، وإلا فرغت حياة الإنسان من «المثل»، وأصبحت جحيماً لا يطاق، أو مواتاً لا أمل فيه ولا رجاء... فوجود «المثل» ـ الذي لم يطبق بعد ـ هو الذي يبعث الحيوية والأمل والرجاء في حياة الإنسان بوجود «مهام» في «جدول أعمال» هذه الحياة... تتطلب السعي لتحقيقها، والاستباق على طريق الخيرات فيها... فالتطبيق و«الواقع» لا يمكن أن يرقى إلى درجة «المثال»، ولا أن يستنفد كل «المثل»!... تلك قاعدة عامة في كل الديانات والفلسفات والحضارات على مر التاريخ.

لكن... بقدر ما يكون «المثال» سامياً، وبقدر ما يكون ديناً، تتحول مقاصد تطبيقه وإقامته المهمة الدنيوية، إلى حيث تصبح هذه الإقامة للمثال الديني قربة إلى الله، وشرطاً لسعادة الدار الآخرة، التي هي خير وأبقى، بقدر ما يعين ذلك على أن يكون التطبيق و«الواقع» أقرب إلى السمو، وأكثر تعلقاً «بالمثال»

ولقد كان هذا هو حال التعددية وتطبيقاتها في حضارة الإسلام.

[illegible] إلى اختلاف اللغات والأقوام [illegible] «دعوة وأمة» [illegible]

وكانت الاضطهادات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بأن الحملات الصليبية على بلادنا بعثت النصرانية العربية [illegible]

(١٢٤٣ ـ ١٢٧٠م) عام ١٢٤٥م بعثة إلى عاصمة الدولة [illegible]

[illegible] وكانت بعثته تتريه [illegible]

[illegible]

[illegible] بطائفة النصارى النساطرة الذين [illegible]

[illegible]

---

(١) د. محمد عمارة: معارك العرب ضد الغزاة ص١١٦ ـ ١١٨ طبعة دمشق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

في دمشق [illegible] - وكما يقول المقريزي (٧٦٦ - ٨٤٥هـ / ١٣٦٥ - ١٤٤١م) عُمدة مؤرخي العصر -

«واستطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانًا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم، فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب، وصاروا يمرون به في الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون به ويخطبون في الثناء على دينهم، وقالوا جهرًا: ظهر الدين الصحيح دين المسيح، وخربوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم، فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو - وهو كَتْبُغا - فأهانهم وضرب بعضهم، وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم» (١).

وكان طبيعيًا أن تكون لهذه الخيانات التي جاءت للوطن [illegible] في ساعات العسرة ولحظات الحرج والشدة - والتي أصابت [illegible] [illegible] ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) [illegible]

وكذلك صنعت الغواية الاستعمارية [illegible] باحتلال الصليبيين للقدس سنة ١٠٩٩م. [illegible] «مكسيموس مونروند» - في موكب الصليب [illegible] أنشيد الخلاص من الأسر» [١] [illegible] من أيدي غير المؤمنين» (٣).

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

[illegible] لأمن الوطن والأمة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أما على جبهة الحكام الذين كان ظلمهم لبعض أبناء الملل والطوائف غير المسلمة جزءًا من الظلم الذي عم الرعية كلها [illegible] المتوكل العباسي (٢٣٣ـ٢٤٧هـ/ [illegible] ٨٦١م) [illegible] هذا النوع من الحكام، [illegible] المعتزلة، وأغلق تيارات الفكر [illegible] ونفاهم إلى جزيرة «دهلك». [illegible] الحقوق الاقتصادية، ومنع عنهم العطاء [illegible]

[illegible]

[illegible] ردود الأفعال ضد المظالم [illegible] أما كانت الدولة تسترضي الجماهير الغاضبة [illegible] وتكسب [illegible]

[illegible] ردود أفعال، عهد «العزيز [illegible]» (٣٦٥ـ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ـ٩٩٦م) [illegible] مراسيم ضد أهل الكتاب في عهد ابنه [illegible] الحاكم بأمر الله (٣٧٥ـ٤١١هـ/ ٩٨٥ـ١٠٢١م)، فزوجة العزيز بالله كانت [illegible]

(١) القاضي عبدالجبار بن أحمد (المغني [illegible]) [illegible]
تونس ١٩٧٢م [illegible] (المختصر) ج٣ ص ٢٧١، ٣٩ طبعة دار [illegible]

[illegible] لأجتها «ست الملك»! نفوذ واسع في شئون [illegible] وكان لها أخوان من رجال الدين النصراني ـ «أرسانيوس» مطران الملكية في [illegible]

[illegible] ووزارة الشام اليهودي [illegible] (منشا)!.. فعمت مظالمهم [illegible] ردود الأفعال ضد هذه [illegible] النصارى واليهود، وأذل [illegible] بالذي أعز اليهود بمنشا، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك ـ (الحاكم بأمر الله العزيز)! ألا كشفت ظلامتي؟![1] [illegible]

[illegible] ابن كثير.

[illegible]

تنصّر، فالتنصر دين حق ... عليه زماننا هذا يدلّ

وقل بثلاثة عزّوا وجلّوا ... وعطّل ما سواهم فهو عطل

فيعقوب الوزير أب وهذا ال ... عزيز ابن وروح القدس فضل!

أما نفوذ سيطرة اليهود فيعبر عنها الشاعر المصري الحسن بن [illegible]

(1) «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» ص ٣٩٧، تحقيق د. جمال [illegible] ١٩٦٧م وابن كثير (البداية والنهاية) ج١١ ص ٣٢٠

يهـود هـذا الزمـان قـد بلغـوا ... غـاية آمالهـم وقـد ملكـوا

[illegible] فيهم والمال عندهم ... ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إني نصحت لكم ... تهودوا فقد تهود الفلك[1]

[illegible]

يقول الشاعر ابن الخلال:

إذا حكم النصارى في الفروج ... وغالوا في البغال وفي السروج

وذلت دولة الإسلام طرا ... وصار الأمر في أيدي العلوج

فقل للأعور الدجال هذا ... زمانك إن عزمت على الخروج[2]

فالقضية لم تكن تناقضاً بين الإسلام [illegible] الملل الأخرى، ولا عداء من المسلمين لأبناء هذه الملل [illegible] لدينه، وإن كان [illegible] أغلبية الأمة المظلومة، الباحثة عن العدل، ولكن [illegible] أبناء الملل غير الإسلامية، احتكارهم حكم [illegible] معاملاتهم مع هذه الأغلبية.

[illegible] الأغلبية أملاً في تهدئة [illegible] والنشوء، وليست زيادة تعداد المسلمين أحياناً من الناس [illegible]

---

1 [illegible] ١٩٦٧م.

2 [illegible] ص ٢٢

ويحكي المقريزي في تاريخ سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) موقف جمهور المسلمين [illegible] من اعتناق بعض الكتاب والحماة النصارى الإسلام .. ذلك الإسلام الذي لم يترك أثراً [illegible] يحكي المقريزي [illegible]

أسلم الكافرون بالسيف قهراً ... وإذا ما خلوا فهم مجرمون

سلموا من رواح مال وروح ... فهم سالمون، لا مسلمون !

فهو «إسلام» [illegible] المال والروح»!..

[illegible] نصرانيتهم أو يهوديتهم بحال من الأحوال [illegible] والشعراء بالمقامات [illegible] «لقد كان النصارى هم الذين يحكمون في بلاد الإسلام»(١) [illegible] بين الطوائف والملل، [illegible] إن أكثر الفتن التي وقعت بين النصارى والمسلمين نشأت من تجبر المتصرفين الأقباط..»(٣)!

وردود الأفعال هذه هي التي تمثلت في مراسيم الحاكم بأمر الله [illegible] خلف أباه العزيز [illegible] النصارى واحدة من [illegible] عنهم وعوضهم عن المظالم التي [illegible]

---

(١) المصدر السابق ج٣ [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) المرجع السابق [illegible]

[illegible] من احته السيده الملك!!..

* * *

وفي ضوء هذه الحقائق التاريخية نفهم التحليل الموضوعي الذي كتبه الباحث اللبناني «جورج قرم» [illegible] المسلمين وأبناء الملل والطوائف غير المسلمة. [illegible]

«ويلاحظ أن فترات التوتر أو الاضطهاد لغير المسلمين في الحضارة الإسلامية كانت قصيرة، وكان يحكمها ثلاثة عوامل:

الأول: هو مزاج الخلفاء الشخصي، فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا في عهد المتوكل، الخليفة العباسي الميال بطبعه إلى التعصب والقسوة، وفي عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، الذي غالى في التصوف حتى أضاع رشده!

العامل الثاني: هو تردي الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية لسواد المسلمين، والظلم الذي يمارسه بعض الذميين الشاغلين لمناصب إدارية عالية، فلا يعسر أن ندرك صلتهم المباشرة بالاضطهادات التي وقعت في عدد من الأمصار.

أما العامل الثالث: فهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبي في البلدان الإسلامية، وقيام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة. إن الحكام الأجانب - بمن فيهم الإنجليز - لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب، وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضًا، حيث أظهرت أبحاث «حب» و«بوليك» كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين في دمشق ١٨٦٠م، وبين الموارنة والدروز في جبال لبنان ١٨٤٠م و١٨٦٠م. ونهاية الحملات الصليبية قد أعقبتها في أماكن عديدة أعمال ثأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية، ولا سيما الأرمن، التي تعاونت مع الغازي..

بل به كثيراً ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامي ـ حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح ـ سبباً في نشوب القلاقل الطائفية. فعلاوة على غلو الموظفين الذميين في الاستئثار، وفي مراعاتهم وتحيزهم ـ إلى حد المصادرة أحياناً ـ لأبناء دينهم، ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة»[1]

* * *

أما ما اشتهر من مطاردة الدولة العباسية للزندقة، وخاصة على عهد المهدي العباسي (١٥٨ـ١٦٩هـ ٧٧٥ـ٧٨٥م)، فإنه لم يكن اضطهاداً للديانات الفارسية القديمة ـ فلقد عومل أهلها معاملة أهل الكتاب ـ ولا كان ضيق صدر بالتعددية في الملل والشرائع؛ لأن هذه الزندقة ـ التي طاردتها الدولة ـ كانت ستاراً دينياً لمخططات شعوبية سياسية، استهدفت الإسلام ـ وليست الحرية الدينية ـ واستهدفت عروبة الدولة، وطمعت في الثأر من الإسلام ودولته، [illegible] دولة الفرس، وذهب بعرش الأكاسرة القدماء.. فكان موقف المهدي العباسي ـ كموقف ابنه الرشيد (١٤٩ـ١٩٣هـ/ ٧٦٦ـ٨٠٩م) من البرمكية ـ دفاعاً مشروعاً عن الدولة وفكريتها وهويتها، أكثر منه ضيق صدر بالتعددية في الملل والمذاهب.. ويشهد على ذلك أن مطاردة الزندقة لم تؤد إلى أي تضييق على أي من أتباع الديانات والملل والمذاهب التي كانت قائمة في ذلك التاريخ!

أما الضيّق بالمذاهب الفلسفية [illegible] فإنه كان من ثمرات عصور [illegible] العقلانية الإسلامية [illegible] والاجتهاد الإسلامي!.. فكانت [illegible] الإسلامي في التعددية والتنوع والاختلاف، [illegible] «التضييق» لهذا المثال!

وحتى في [illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[illegible]
أو حقوق الإنسان يجوز تخطيها أو [illegible]

ويقول «أرنولد»: "ولذا من الحق أن نقول إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد معادلًا لها في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة، وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة لمبادئ التعصب وعدم التسامح"(١).

[illegible]

* * *

(١) (الدعوة إلى الإسلام)، ص ٧٢٩، ٧٣٠.

تحضُّر إنسانى
وتعددية فى الحضارات الإنسانية

[illegible] كما صنع الكثيرون فى قواميس المفاهيم العربية عن تعريف الحضارة، فهى ذات حيثية متميزة فى القضية التى أفردنا لها هذا الكتاب.. قضية التعددية، ومنها تعددية مفاهيم المصطلح الواحد [illegible] الأنساق الفكرية، وتمايز الحضارات.

فالحضارة فى الاصطلاح العربى هى [illegible] الحضارة [illegible] [illegible] إحداث تراكم فى التمدن، الذى يتهذب به الواقع المادى [illegible] التى تتهذب بها النفس الإنسانية - تقوم الحضارة والعمران..

فالحضارة هى [illegible] الذى يتمدن [illegible] ومدى [illegible] الثقافة التى تتهذب بها النفس الإنسانية وهى [illegible] ثمرة للحضور والاستقرار فى [illegible]

وفى القرآن الكريم: ﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣)﴾ [الأعراف: ١٦٣].. وفى الحديث الشريف، وكما فى الشعر العربى [illegible] فهى الحديث: «لا يَبِعْ حاضرٌ لباد»، أى لا يكن ساكن الحاضرة سمسارًا للبائع الآتى من البادية [illegible] [illegible] ١٣١ هـ

[illegible] الحضارة [illegible]

وللمتنبي (٣٠٣ـ٣٥٤هـ/ ٩١٥ـ٩٦٥م)

[illegible]

وله ـ أيضاً ـ في المقابلة [illegible] الحسن لدى نساء الحضارة في الحواضر [illegible] البدويات في [illegible]

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب

حُسْن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حُسْن غير مجلوب

[illegible] هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ [هود: ٦١]

﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [illegible]

[illegible] بين مضامين المصطلحين [illegible] العمران ـ الذي هو التقدم وا[illegible] العمران! ـ فالحضارة ـ عند [illegible] والأشرفية [illegible]

(١) انظر في ذلك: ابن منظور ([illegible]

هكذا عرف [illegible] «الحضارة» بأنها «أحوال عادية، زائدة على الضروري من أحوال العمران [illegible] هي من [illegible] العمر [illegible] في العمران والدولة [illegible] وذلك [illegible] يجيء من قبل الدولة، ثم فيمن تعلّق بهم..»[1]!

[illegible] اشتهر باسم «العمران» في تراثنا القديم، اشتهر باسم «الحضارة» في تراثنا الحديث. [illegible] بها جماع التمدن والثقافة، والتراكم العمراني الذي يتزين به الواقع المادي والنفس الإنسانية، وبه يرتقي الإنسان بواقعه، ويسهم الواقع المتمدن في ارتقاء الإنسان المدني المتمدن، في الميادين العديدة: الدينية، والخلقية والجمالية، والعلمية والاقتصادية، والسياسية.. إلى آخر ميادين الارتقاء في العمران.

* * *

[illegible]

جميعها -من كل الأجناس والألوان- [illegible] دائمًا وأبدًا إلى الأمام [illegible] يستدل الإنسان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لأنهم انطلقوا إلى الاحتكار [illegible] «الأوطان الحضارية» هي الأكثر [illegible] في جملة الأمم والشعوب، من تلك التي تمثل «الحدود السياسية» [illegible]

---

(1) (المقدمة) ص ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥.

فتميّز اليابان كحضارة ذات هوية خاصة [illegible]
حقيقة لا يختلف عليها الباحثون، فضلاً [illegible]

[illegible]

وكذلك الحال بالنسبة للصين، كحضارة متميزة [illegible]

[illegible]

[illegible]

لكن جدلاً كثيراً، وخلافاً كبيراً تشهده [illegible]
الإجابة على هذا السؤال وحدة الحضارة عامة؟ [illegible]
[illegible]
[illegible]
حديث عن العلاقة الحضارية [illegible]
ونعتها بـ «العالمية» و«الإنسانية» [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

ذلك أن حضارات الشرق الأقصى هي [illegible]
تاريخها إمكانات العطاء والتأثير [illegible]

[illegible]

[illegible] المنافسات بين الحضارة الغربية وبين حضارات الشرق [illegible] العرب والإسلام حضارية وشاملة [illegible]

* * *

[illegible] الحضرية عالميًا، وتمايز الحضارات بتميز ثقافاتها - يعودون [illegible] الصراع بين الحضارات، ويدعون [illegible] بحضارة الإسلام!.

ولعل المفكر الأمريكي «صامويل. ب. هانتجتون»[2] [illegible] الحضارات كأمر

---

(١) انظر على سبيل المثال: [illegible] أجراه معها الباحث [illegible]

(٢) أستاذ في السياسة والاستراتيجية [illegible] هارفارد الأمريكية - وهو يهودي الديانة.

[illegible]
هذه التعددية من أرض الواقع الحضاري!!

ويرى «هنتنجتون» تمايز الحضارات بتمايز الثقافات «فالحضارة هي كيان ثقافي وليس ثمة حضارة عالمية، بل عالم من الحضارات المختلفة.. وفي العالم سبع أو ثمان حضارات كبرى: الحضارة الغربية، والصينية الكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والأرثوذكسية السلافية، والأمريكية اللاتينية، وربما الأفريقية. وهي حضارات تتمايز عن بعضها البعض باللغة والتاريخ والثقافة والعادات، وأهم من ذلك الدين، وأبناء هذه الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان، والفرد والجماعة، والمواطن والدولة، والآباء والأبناء، والزوج والزوجة، وكذلك آراء متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات، والحرية، والسلطة، والمساواة والتنظيم الهرمي، وهذه الاختلافات هي نتاج قرون، ولن تختفي في القريب العاجل؛ إذ إنها أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديولوجية السياسية والنظم السياسية».

وذكر صامويل. ب. هنتنجتون» بعد هذا التحديد [illegible] العلاقة بين مختلف الحضارات [illegible] أولاً، ومع الحضارة الصينية [illegible] «حتمية [illegible]» [illegible] الحضارات، لكنه يقول «بالحتمية الواقعية» لهذا [illegible]

فعنده «أن الصراع على طول خط الحدود بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام وعلى كلا الجانبين يُنظَرُ إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات».

والغرب المصارع للإسلام ـ عند «هانتجتون» ـ هو الغرب الثقافي، الشامل للمعسكر الذي كان شيوعيًا بحكم المسيحية بأرثوذكسيتها السلافية وكاثوليكيته [illegible]، «فالدين يقوي إحياء الهويات العرقية. ويعمد تحريك مخاوف الروس فيما يتعلق بأمر حدودهم الحيوية» مع المسلمين[1]..

وعلى نفس [illegible] العلاقة [illegible] الصراع [illegible] «هانتجتون» [illegible] «الحتمية الواقعية» ـ عنده ـ هي للصراع بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية [illegible] «فإن البؤرة المركزية للصراع في المستقبل القريب سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والآسيوية العديدة»!

ولأن هذا الصراع [illegible] تقسيم مراحل الصراع المستقبلي إلى مرحلتين

الأولى [illegible] المدى القصير ـ وفيها ينصح «هانتجتون» الغرب بتوحيد عالمه الحضاري، وتجييش كل أدوات الصراع ـ من آلة الحرب، إلى الاقتصاد، إلى السياسة، إلى الثقافة، إلى القيم، إلى المؤسسات الدولية ـ وتركيز الصراع ضد الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.. فيقول: إنه «على المدى القصير من مصلحة الغرب أن يعزز تعاونًا أكبر وتوحيدًا في نطاق حضارته، وعلى وجه الخصوص بين مكونيها الأوروبي والأمريكي الشمالي، وأن يدمج مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية في الغرب، وهي مجتمعات ذات ثقافة قريبة من ثقافة الغرب، وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ويحافظ عليها، وأن يحول دون تصعيد الصراعات المحلية بين الحضارات إلى حروب كبرى بين الحضارات، وأن يحد من توسع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية، وأن يخفف من تقليص القدرات العسكرية الغربية، ويحافظ على التفوق العسكري في شرق وجنوب غرب آسيا، وأن يستغل الخلافات والصراعات العربية في الحضارات الأخرى، وأن يقوي المؤسسات الدولية التي تعكس وتروّج المصالح والقيم الغربية وتضفي عليها الشرعية، وأن يروّج لاشتراك الدول غير الغربية في هذه المؤسسات»[4].

[illegible]

[illegible]

٢ـ [illegible]

٣ـ [illegible]

٤ـ [illegible]

[illegible]

[illegible] الغربي ضد الحضارات غير الغربية [illegible]

[illegible] أما على المدى الأطول فسيكون اتخاذ إجراءات أخرى أمراً مطلوباً [illegible] الحضارة الغربية هي حضارة غربية وحديثة معاً. وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تكون حديثة دون أن تصبح غربية. وحتى يومنا هذا، لم ينجح في هذا المسعى إلا اليابان. وسوف تواصل

الحضارات غير الغربية محاولاتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والمكنات والأسلحة، التي تمثل جزءاً من كون الحضارة حديثة. كذلك ستحاول تلك الحضارات أن توائم هذه الحداثة مع ثقافتها وقيمها التقليدية. أما قوتها الاقتصادية والعسكرية فسوف تزيد بالنسبة للغرب، ومن ثم يتوجب على الغرب على نحو متزايد أن يحتوي تلك الحضارات الحديثة غير الغربية، التي تقترب قوتها من قوة الغرب، لكن قيمها ومصالحها تختلف إلى حد كبير عن قيم ومصالح الغرب، وسوف يستلزم ذلك من الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه فيما يتعلق بهذه الحضارات..."[1]!!!..

هكذا يتصور «هانتنجتون» مستقبل العالم حضارياً.

[illegible] وحدته، وتجنيده لكل إمكاناته. [illegible] للحضارات غير الغربية، ينجز مهمة المرحلة القصيرة والأولى من هذا الصراع، كسر شوكة الحضارة [illegible]

✲ ✲ ✲

[illegible]

---

[1] [illegible] ذي الحجة سنة ١٤١٦هـ/ مارس إبريل سنة ١٩٩٦م ص ٨٤ - ٩٠. وانظر في دراسة [illegible] مع؟ أم صراع؟] - نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٨م

«التدافع الحضاري» [illegible] «التعايش السلمي» وبين «الصراع» [illegible] صحته ويتبناه.. لو أنه تبنى هذا المنهاج لأصاب وأجاد

لكن الرجل - وهو واحد من مفكري الحضارة العربية - [illegible] «فلسفة الصراع» [illegible] «الرواية العربية» [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الغربية لإبادة البنى الحضارية للأمم غير الغربية [illegible]

[illegible]

[illegible] الحضارات!.

ولأننا بإزاء «فلسفة صراعية» مثلت وتمثل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

العالم، وفي المقدمة منه [illegible] الإسلامي [illegible]

[illegible] حلف الأطلنطي [illegible]

تقبل «النموذج الحضاري الغربي»

فعندما يسأله مراسل «اليوم» [illegible]

[illegible]

[illegible]

«[illegible] لأن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي»

فلما عاد مراسل «النيوزويك» ليسأله:

ـ وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟

قال: «ينبغى [illegible]، لكى يصبح النموذج الغربى أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين فى مختلف أنحاء العالم، وإذا فشلنا فى تعميم ذلك النموذج الغربى فإن العالم سيصبح مكاناً فى منتهى الخطورة»[1].

[illegible] «[illegible] الإسلامى». إذا لم «يتم تعميم وقبول النموذج الحضارى الغربى»!

* [illegible] الأصولى [illegible] الأصولى [illegible] الإسلامية قد أصبحت الآن هى التهديد للعرب، كما كانت [illegible][2].

* [illegible] الأمريكى [illegible] [١٩١٣ ـ ١٩٩٤م] وهو مفكر إستراتيجى مرموق ـ يخير العالم الإسلامى بين النموذج الغربى العلمانى ـ كما تجسده تركيا العلمانية، وهو النموذج الذى يلحق العالم الإسلامى ويربطه بالغرب سياسة واقتصاداً [illegible] النموذج الإسلامى [illegible] النموذج الغربى [illegible]

(أ) الخيار القومى فى النهضة [illegible] «وهم الوحدة العربية».

(ب) وخيار «الأصوليين الإسلاميين المصممين على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة، عن طريق بعث الماضى، وتطبيق الشريعة الإسلامية، والمناداة بأن الإسلام دين ودولة، واتخاذ الماضى هداية للمستقبل»..

---

(١) صحيفة (الأهرام) المصرية ـ عدد ١٧ يوليو ١٩٩٠م ـ مقال الأستاذ فهمى هويدى [illegible] «النيوزويك» [illegible] سنة ١٩٩٠م.

(٢) [illegible] «[illegible]» ـ الأمريكية ـ فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٩٥م.

ودعا ... يكون ... السياسة الأمريكية والعربية إلى أن تلعب «دوراً رئيسياً» في تحديد الخيار الذى تختاره الشعوب المسلمة»!.. وهو «خيار» [illegible]

(ج) المقدم [illegible] ربط المسلمين [illegible] (الغرب) ... من الناحية السياسية والاقتصادية [illegible] ... إذا لم ينجح الغرب في دفع المسلمين إلى هذا «الخيار» الحضاري الغربي![1].

[illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلام ... يعد ... الأول للحرب العربية، لا لشيء إلا ... كحضارة [illegible] ... الخضوع للنموذج الحضاري الغربي. [illegible] على العلمانية الغربية [illegible]

«يتساءل أوروبيون كثيرون عما إذا كان يمكن جعل الإسلام يقبل قواعد المجتمع [illegible]؟» [illegible] الاجتماعي [illegible] رافضاً لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر؟

[illegible] ... لكن ... الإسلام

---

(1) ... ديكسون (عرضة السائحة) ص ٢٨. [illegible] سنة ١٩٩٢م

[illegible] ولم [illegible] من هذا [illegible] أي علمنة في عالم الإسلام [illegible] إن الإسلام مقاوم للعلمنة، في ظل مختلف النظم السياسية [illegible] وسيطرته الآن على المؤمنين به أقوى مما كانت من مائة سنة، ولقد مكنت التقاليد المحلية الإسلامية للعالم الإسلامي من الإفلات من محاكاة الغرب، تلك المحاكاة التي تقضي بوضع شيء على النموذج الغربي، فسمح الإيمان المحلي بالإصلاح، دون علمنة!

■ إن الإسلام هو الثقافة الوحيدة القادرة على أن [illegible] وتحقيق [illegible] الغرب [illegible] ولذلك فإنه من بين الثقافات الموجودة في الحروب هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة"[1]!!

[illegible] الذي تحدث عن التميز الحضاري للإسلام والمسلمين [illegible]

[illegible] ويشن عليه الحملة [illegible] أولوية الإسلام في الصراع الحضاري الغربي ضد الحضارات عبر العر[illegible]

[illegible] للممارسات الدامية والتطـ[illegible]

[illegible] الخبراء [illegible] الاستراتيجيين [illegible]

لإقناع الأمة بشيء ما لا يصح أن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في ظل [illegible] وقهر الاستعمار [illegible] ١٩٣٦م [illegible] ومصر ومعاهدة سنة ١٩٣٨م [illegible] «لقد التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوروبا، وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال - (سنة ١٩٣٦م) - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - (سنة ١٩٣٨م) - إلا التزامًا صريحًا قاطعًا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع؟ ولو أننا هممنا الآن أن نعود أدراجنا وأن نحيي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلًا [illegible] لأننا عاهدنا أوروبا على أن نسير سيرتها ونجري معها في طريق الحضارة الحديثة» [illegible]

وبدلًا من أن يرفض [illegible] أن تساير أوروبا [illegible] في الحكم [illegible] التشريع [illegible] جماع النموذج الحضاري الغربي [illegible] لطريق الغربي - بدلًا من الطريق الإسلامي - هو أمر طبيعي، مدعوى أن الحضارة [illegible] لحضارة واحد لا تعددية [illegible] الأمريكي. وكتب [illegible]

- [illegible]
- وحضارة الرومان، وما فيها من سياسة وفقه
- والمسيحية، وما فيها من دعوة [illegible]

[illegible] والفن والسياسة والفقه والشرائع [illegible] والأوروبي» فقال: «لقد كانت مصر دائمًا جزءًا من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية، على اختلاف فروعها وألوانها [illegible]»

[illegible]

[illegible]

لأن القرآن «جاء مهيمنًا ومصدقًا لما في الإنجيل» [1]. فأهدر الرجل التمايز الحضاري [illegible] وأهدر تميز الإسلام في الشريعة عن [illegible] قبله الأولى..

[illegible]

[illegible] إن السبيل واضحة بينة مستقيمة لا لبس فيها ولا عوج ولا التواء، هي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقتهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحَب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب [1].

[illegible] ألزمهم هذا الالتزام بمقتضى هذه المعاهدات!!..

[illegible] والتحضر والار[illegible]

[illegible]

[illegible] ج١ ص٣١، ٤٥

[illegible]

[illegible]

[illegible] مصطلح استعمله العرب والمسلمون [illegible] إلى ما يحمله من مضمون، [illegible] لمطلق»[1]! أما معاجمنا الحديثة [illegible] تسمى أيضًا «وحدة الذات».»[2] [illegible] إن الهوية الحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري، والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية القومية طابعًا تتميز به عن الشخصيات القومية الأخرى.

[illegible] ومن ثم تشهد لما نحن بصدده من التعددية الحضارية، [illegible]

* فالعروبة: بالمعنى الحضاري [illegible] غدت هوية حضارية لهذه الجماعة البشرية [illegible] الإسلامي، والتي أصبح ولاؤها [illegible] فقد استمرت في هذا الولاء والانتماء للعروبة

---

[1] [illegible]

[2] (المعجم الفلسفي) وضع مجمع اللغة العربية [illegible]

[illegible]
[illegible]
هذه المسألة.

[illegible]

فكما دخلت شعوب البلاد - بعد الفتح العربي الإسلامي - [illegible]
بالتعريب، كذلك عدت هذه المواريث الحضارية [illegible]
[illegible]
عند حدود أركانه ونطاق [illegible]
الدين [illegible] كما جاءت علوم هذه الحضا[رة] [illegible]
أي للأمة متعددة في الشرائع الدينية [illegible]
المأثرة الحضارية التي انداحت من حول [illegible]
الإسهامات [illegible]
[illegible]
بعدتهم - في التدين - [illegible]

فعروبة البشر [illegible] لسمات الثوابت التي غدت جزءاً
من «الهوية» - أي الجوهر [illegible] غيرها من الأمم والحضارات.

وجدير بالذكر والتنويه أن هذه العروبة ليست خصوصية للأمة العربية بمعنى
القومي، وإنما هي لازمة من لوازم الإسلام. فهي عروبة [illegible]، التي يستحيل على

المسلم من أي جنس أو لون أو قومية أن يفقه القرآن العربي المعجز، فيبلغ في فقهه مرتبة الاجتهاد والتشريع دون أن يكون عربي اللغة، كما يستحيل على هذا المسلم - من أي لون أو جنس أو قومية - أن يفقه علوم الشريعة الإسلامية، وفي مقدمتها الحديث النبوي الشريف وعلومه، ومدونات الفقه الإسلامي، وأصوله، والفقه عربي اللغة، دون أن يكون هذا الفقيه عربي الفكر واللغة والثقافة.. فإذا لم تكن العروبة شرطًا في التدين بالعقيدة الإسلامية - العالمية - فإنها شرط التعمق في الإسلام والبلوغ في شريعته مبلغ الاجتهاد والتشريع.. فأهل الاجتهاد والحل والعقد في المجتمع الإسلامي - أي السلطة التشريعية - وأهل الإمامة - أي قمة السلطة التنفيذية - وأهل الحكم بما أنزل الله - أي السلطة القضائية - لا بد أن يكونوا من الذين بلغوا في العربية وعلومها المرتبة التي تتيح لهم فقه القرآن والسنة ومصادر التشريع.. أي أن «الدولة الإسلامية» لا بد وأن تكون عربية اللغة والفكر والثقافة، بصرف النظر عن لغة وقومية الرعية والعامة والجمهور ومن هنا جاء ارتباط الإسلام بالعروبة الحضارية، وصارت [illegible] بانتشاره، ولم يعارض في ذلك سوى الشعوبيين [illegible] وحدهم فلقد قام الدليل على عدائهم للإسلام أيضًا

تلك هي العروبة الوثيقة الصلة بالإسلام [illegible] السبيل إلى تجسيد [illegible] الإسلامية.. وهي - كما أسلفنا [illegible] - العروبة الحضارية التي [illegible] الإسلام.. وليست [illegible] الإسلام!..

وإذا كان «عموم» العروبة في الأمة - كجماعة [illegible] [illegible] في المستقبل، كما كانت في ماضيها وحاضرها!.. فهذا البعض قد يحلو له النظر إلى «العروبة» كمجرد قسمة من قسمات «البناء الفكري الفوقي»، الذي يصيبه التطور والتغيير عندما يتطور ويتغير «البناء المادي» [illegible]

بعض "الفكر" [illegible]

وستطيعها ..

[illegible] أو نظرة متأملة للتحديات التي جوبهت بها عروبة الأمة وعروبة حضارتها عبر تاريخها الملئ بالتحديات، مستجمعا على يقين من أن «العروبة» هي «هوية» [illegible] وليست مجرد «اسم موقت» يتغير بما يصيب «أبناء المدى التحتي» من تطور وتغيير..

[illegible]

[illegible] (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) وحتى [illegible]

[illegible]

ثم جاء الاستعمار الغربي وهيمن على مقد[illegible]

[illegible]

في محاولات غربية أخرى [illegible]

«والتغريب» فكر الأمة.. وصحبت [illegible] تشريع كما صحبها الحرف اللاتيني مرة، واستبدال العاميات بها مرة ثانية.. وتحجيم تدريسها حتى في كل [illegible] وتهميشها في مدارس التعليم الأجنبي، التي كانت تتخرج فيها صفوة النخب ورجال الإدارة العليا.. [illegible] هذه المحاولات، وأشباهها، التي [illegible] شواهد على ما جابهته العروبة في تلك الأحقاب المتطاولة والقرون المتعاقبة من تحديات..

لكن «العروبة» رغم هذه التحديات ـ التي تمثل عوامل وتحولات قامت في أرض الواقع ـ قد ظلت صامدة شامخة مستعصية على التحرك من موقعها الحصين. فليست هي إذن «البناء الفوقي» الذي يصيبه التغير بتغير الظروف.. وإنما هي «جوهر ثابت»، كما هي «عام وشامل» له صفة «الاستمرار».. إنها «هوية»، وليست مجرد «تراث»!..

* والتدين: هو الآخر قسمة من القسمات الجوهرية والثوابت التي تكون جزءًا من «الهوية» لهذه الأمة.. ونحن لا نقطع ولا نزعم أن [illegible] الأمم الأخرى.. لكننا نقول: [illegible] كثيرة لها في [illegible]..

أولهما: عمق [illegible] الإسلامية وحدها، [illegible] ولقد عرفت هذه الأمة [illegible] «طقوسه» ومظاهره [illegible] روح [illegible] في كل صغيرة وكبيرة من [illegible] هذه الأمة [illegible] في [illegible] ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] [illegible] الإنسان هي مواصلة الشعائر العبادية التي [illegible] من صلاة وصيام [illegible]

[illegible] الإسلام ﷺ [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] أرادوا [illegible]

[illegible]

[illegible] ولا [illegible]!

[illegible]

[illegible] إنساني تتطلبه عمارة الكون من قبل الإنسان [illegible]

[illegible]

[illegible] شرائع الأديان.

لقد تحدث [illegible] (١٢٥٤ـ١٣١٥هـ ١٨٣٩ـ١٨٩٧م) [illegible] «الطبع والجبلة» [illegible] الإسلام [illegible] هؤلاء [illegible] ويتهمون بالتحلل من التكاليف الشرعية، [illegible] أمثالهم عندنا ـ وهم من الندرة بمكان [illegible] الناس!.

...
و«هوية حضارية» يتعصب لها، ويستعذبها حتى ...
والإلحاد.. إنها تبقى طابعة لهم، ...
على حد قول جمال الدين الأفغاني..

وليس كذلك ـ ولم يكن ـ حال الحضارة العربية مع التدين ...
...
... إلى نصرانية
عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هي التي تروّمت!

لقد تحولت النصرانية عن روحها وروحانيتها ...
...
هو موقفها من التدين، وهذا هو حظها من جوهره، ... حضارتنا العربية الإسلامية
التي جعلت من كل مناحي النشاط الإنساني الدنيوية ...، وتدينا، عندما جعلت كل
...
... المجتمعات، والاستمتاع بالطيبات، كالرسالة العظمى للإنسان في هذه الحياة

ثانيهما: ...

... وخاصة في الحضارة الغربية ـ قد وقف عند «الفرد»، ...
... أما في حضارتنا العربية الإسلامية فتمتد ...
...
...
...
العلوم جميعًا ـ بما فيها «العلوم البحتة» ... ساحة الإيمانية.. إنها «الحضارة المؤمنة»
...
...
...
...

[illegible]

[illegible] يكون [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن.. وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة، والمسكن، والأقوات، والأمن.. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية. وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقًا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل؟! وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة؟ فإذن، إن نظام الدنيا ـ أعني مقادير الحاجة ـ شرط لنظام الدين"[1]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

الفقه الإسلامي"[2].

[illegible] [illegible] في [illegible]

(طوق الحمامة في الإلف والألاف) فإنه يستهله بـ: بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

نستعين.. أفضل ما أبتدئ به حمد الله عز وجل بما هو أهله، ثم الصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله خاصة، وعلى جميع أنبيائه عامة.. [illegible]

[illegible]

آمين آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم [illegible]" فكأنه فيلسوف إلهي يبحث في فن الإلهيات[3].

فحضارتنا العربية الإسلامية ليست الحضارة الغربية التي تدرس ظواهر النفس الإنسانية مقطوعة الصلة بخالق هذه النفس ـ سبحانه وتعالى ـ. والتي تدرس ظواهر الطبيعة كجزء أو أجزاء من عالم بلا خالق، فتكون بذلك لدى العلماء والباحثين

---

(١) (الاقتصاد في الاعتقاد) ص١٣٥.

(٢) ص ٣٧ تحقيق د. محمد يوسف موسى، د. محمد بيومي خفاجي. طبعة [illegible]

(٣) (رسائل ابن حزم الأندلسي) ج١ ص ٣١٠ تحقيق د. إحسان عباس. طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م.

والقرآن عقولاً ملحدة، حتى ولو لم تطرح قضية الإلحاد للنقاش! لأن حضارتنا المؤمنة تدرس كل الظواهر الاجتماعية والنفسية والطبيعية باعتبارها ميادين في عالم به خالق سوّاه ويرعاه، فلا تقف عند الأسباب المادية المؤثرة، وإنما تشير إلى مسبب الأسباب وخالق هذه الأسباب الذي أودعها ما لها من فعل وتأثير. ثم إنها تنظر إلى هذه المباحث باعتبارها واجبات شرعية لنكشف عن الأسرار التي أودعها الخالق في هذا الوجود، وحمّل الإنسان أمانة إماطة اللثام عن هذه الأسرار.. ولذلك، فإن علوم هذه الحضارة لا تسهم فقط في تنمية الروح الإيمانية لدى علمائها، وإنما هي قد ربطت وتربط بين هذه العلوم - كوسائل - وبين الحِكَم والغايات والمقاصد التي وضعها الخالق للإنسان، كخليفة له، عليه أن يتخلق بأخلاق الله في الوجود!. فعلى حين ظنت الحضارة الغربية أن الانتصارات العلمية هي «تحرير» للعقل الإنساني من الإيمان بالدين، أكدت حضارتنا أن المباحث العلمية - حتى الكونية منها - هي تكليف إلهي، تزيد العقل العلمي إيماناً بخالق هذا الوجود الذي يبحث عن الأسرار التي أودعها الخالق فيه!..

فعلماء الحضارة الوضعية المادية التي عزلت منهج البحث العلمي فيها الدين عن الدنيا، إنما ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] أما علماء حضارتنا المؤمنة فإن علمهم بأسرار الكون عبادة تزيدهم خشية لله، ومثوبة في الدار الآخرة ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ﴿٢٧﴾ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر ٢٧ : ٢٨]

ومثل ذلك صنعت حضارتنا عندما ربطت «السياسة» بـ«الشريعة» [illegible] هو أعظم هذه المقاصد [illegible]

[illegible] قد [illegible] السياسة عن «الأخلاق» [illegible]

[illegible] من [illegible] في [illegible] السياسة [illegible]

على [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible]

العربية الإسلامية قد [illegible] السياسة [illegible] والأخلاق [illegible]

[illegible] في [illegible] من مقاصد الشريعة [illegible]

[illegible]

[illegible] (٤٣ ٢٠١٣ ١٠٤٠ ١١١٩م) [illegible]

[illegible]

[illegible] »[1].

[illegible] التدبير السياسي والقيم والأخلاق.

❊ ❊ ❊

وهذه الروح [illegible] في [illegible] الأمة [illegible]

ومراجها هو «التوحيد» [illegible]

[illegible] إن هذا «التوحيد» قد غدا «هوية» تتميز به أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الأمم والحضارات. وهي قد بلغت في تصورنا له الذروة في [illegible]، و[illegible] في التجريد [illegible] فكان تحريراً للعقل والروح من العبودية للطواغيت.

فهو - إذن - التدين.. والتدين بروح التوحيد وعقيدته. قد [illegible] وبلغ في حضارتنا العربية الإسلامية مبلغ «الهوية» والقسمة الثابتة، والسمة [illegible]، والخصيصة التي غدت معلماً من المعالم التي تتميز به حضارتنا عن غيرها من الحضارات.

❊ والوسطية [illegible] «الغلو» بكل صوره، وفي كل [illegible] الإسلامية [illegible] «الهوية» [illegible]

[illegible] فهذه الأمة قد أراد لها الله - سبحانه وتعالى - أن تكون [illegible]

---

[1] [illegible]

[illegible] وكانت [illegible] على [illegible]
[illegible]

[illegible] في [illegible] إدراك حقيقة
جوهرها و«هويتها» .. كما غدت [illegible] الأمة ـ يوم سادت وتألقت في بداعها
الحضاري ـ وسبب تراجعها وجمودها و[illegible]
ذات اليمين وذات الشمال!..

* * *

[illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
الحضارات بالمذاق الخاص، و«البصمة» [illegible]
الحضارات عن غيرها. [illegible] تميز حضارتنا بهذه «الوسطية
الإسلامية» [illegible] فيها، فلونت قسماتها، حتى غدت عنوان
[illegible]
تأثيراتها العالمية سلماً وحرباً.

[illegible]
[illegible]
مصطلحاً «سيء السمعة»! فهو لدى «العامة» [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يعني ما يعنيه [illegible] من أنصاف
[illegible] مثلاً [illegible] كما أن «الكرم» هو

[illegible]

[illegible]

فهي ليست الموقف الوسط بين أمرين - على هذا النحو، وبهذا المعنى - وإنما هي «الموقف الثالث» الذي يرفض التطرف والانحياز لأي من النقيضين المتقابلين والمتناقضين، دون أن يكتفي بالوقوف في نقطة ثالثة تتوسطهما، وإنما يجمع ويؤلف ما يمكن جمعه وتأليفه من سماتهما وقسماتهما... و«الكرم» غير «البخل» وغير «الإسراف»، لكنه موقف ثالث، لا يتوسطهما، وإنما هو جامع لسمات وقسمات من كل من «البخل» و«الإسراف» ففيه من «الحرص» ومن «البذل» ما يجعله جامعًا ومؤلفًا لما يمكن جمعه وتأليفه من النقيضين المتناقضين، مع المغايرة لهما، والتميز عنهما... [illegible] الوسط.

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد نبه على اختصاص هذه الأمة بهذه الخصيصة [illegible] وكذلك جعلناكم أمة وسطًا [illegible] على هذه الخصيصة في نشاطهم الحضاري، هو الذي مثل سر تقدمهم إبان عصر ازدهار حضارتهم. كما أن اختلال التوازن - ومن ثم افتقادهم هذه الوسطية - هو الذي أفقدهم ميزتهم، فدخلوا دروب الجمود والتراجع والتخلف الذي ساد حياتهم لعدة قرون... ومن هنا تبرز العلاقة العضوية بين «الهوية الحضارية» وبين اليقظة المنشودة للأمة... ففي المشروع الحضاري لتكامل يقظة الأمة ونهضتها لابد وأن تكون الهوية الحضارية للأمة هي الصبغة التي يصطبغ بها هذا المشروع، وذلك حتى تكون اليقظة حقيقية والنهضة موصولة بروح الخلق والإبداع العربية الإسلامية، وليست قيودًا تشد الأمة إلى نمط من «التحديث» منافٍ في هويته لشخصيتنا القومية ولنمطنا الحضاري الذي تميزت به أمتنا عبر تاريخها الحضاري الطويل - عن غيرها من أمم الحضارات الأخرى.

[illegible] المقولة عندنا مضمونًا أعمق مما لها عند الكثيرين... فهي تعني أن الازدهار الحضاري

[illegible] الحضارية التي
تميزت بها [illegible] والقضية ليست "قوالب تجارب السلف"، ولا معاركهم
[illegible] الثوابت والقسمات الحضارية، التي مثلت وتمثل الهوية
[illegible]
التي نرى ارتباطها الأوثق "بالخصيصة الجامعة [illegible] الإسلامية"
[illegible] الأخرى [illegible]
وموازنة بين ما عُدّ في أنساق فكرية أخرى [illegible]
[illegible]
[illegible]
ومثلت سر تفوق [illegible]

(أ) تميّز الإسلام، وهو "دين" [illegible] "العقلانية" [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه؟!"[1]..

وهو [illegible]
[illegible]
ومتكاملة، [illegible] جميعا لهداية الإنسان وترشيده، دونما تناقض
أو تضاد [illegible] الفلسفة [illegible]
[illegible] في تاريخ الفكر الإنساني تأسس "فلسفة" أمة وحضارة..
"علم الكلام الإسلامي" [illegible]
في حضارات أخرى..

---

(1) (الأعمال الكاملة) ج٣ ص ٢٠١

وهكذا تميزت حضارتنا بعقلانية متميزة.. عقلانية مؤمنة، جامعة بين «العقل» و«النقل»، ووسط متميز بين [illegible] «العقلانية الوضعية» المنكرة لوحي السماء!.

(ب) وتميز الإسلام [illegible] فهو الدين العالمي الذي جاء رحمة للعالمين، وعقيدة لا يختص [illegible] ولا يتجاهل الواقع القومي، ولا يقفز عليه، فمن آيات الله في البشر اختلاف الألسنة والألوان.. ومع ذلك فهو ينكر أن تتحول التمايزات القومية إلى سدود تصد العقيدة والإخاء الإسلامي والإنساني عن التأليف بين القوميات.. فهو [illegible] يعطي هذا التمايز القومي المضمون الحضاري الذي يؤلف من [illegible] عالمية الإسلام الدين [illegible] يجعل أمة الإسلام وحضارته «محيطاً» أوسع يحتضن «الجزر القومية» [illegible] دائرة انتماء حضارية، [illegible]

وهكذا [illegible]

(جـ) وبالوسطية الإسلامية [illegible]

[illegible] فقه «المعاملات» مع فقه «العبادات»!

ولهذه الحكمة [illegible] عندما لم تفرد مؤلفات خاصة «للمنهج» [illegible] لأن «منهج» النظر في علومها [illegible] هذه العلوم، وليست معزولة عنها [illegible] و«التطبيقي» في فن التأليف والتصنيف!

(د) والوسطية الإسلامية [illegible] المحير [illegible] «الملامتي» في [illegible] تعذيب الجسد تقربًا إلى الله!، وإلى إد[illegible] الطهر للدنيا بزهد الدراويش!..

ممكن الإنسان في الكون كما حدده الإسلام [illegible] أنه سيد في هذا الكون سيد فيه، لا سيده، لأنه ـ مع تفضيله حتى على الملائكة المقربين، وتسخير الطبيعة وقواها وظواهرها له ـ يظل في هذا الكون مكان الخليفة والوكيل [illegible] لا مكان السيد الحقيقي للكون [illegible] فهو سيد في نطاق الخلافة والنيابة والوكالة، سُخّرت له [illegible] والمسئولية؛ ليكون في عمارة الكون وسياسة الدولة [illegible] هذه الوسطية عن غيرها من الحضارات..

(هـ) وتميزت الوسطية الإسلامية: عندما أقامت [illegible] نموذجيًا وفريدًا بين «الفرد» و«المجموع» [illegible] حتى لقد استقلت في ميدان [illegible]

[illegible] فأقاموا موازنة وتوازنًا بين [illegible]

[illegible]

الذي يرعى درجة المجتمع في سلم الغنى [illegible]

حستي الملكية الجماعية والملكية الفردية [illegible]

[illegible] بهذا التمييز واحدة من السمات المميزة [illegible]

الحضارات..

(و) وتميزت الوسطية الإسلامية: بالموازنة [illegible]

[illegible] لإقامة العمران، وبعمل للآخرة [illegible]

لتحقيق سعادة الآخرة، التي هي خير [illegible]

[illegible]

الذي [illegible] الأمن [illegible] ﴿فليعبدوا رب هذا البيت (٣) الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٤)﴾ [قريش: ٣، ٤]

(ز) ووازنت حضارتنا بالوسطية الجامعة بين [illegible] «المحكومين»، فكان حكامها «عمالا» عند محكوميها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي هو أعظم مقاصد الشريعة [illegible] الحسنى!.

[illegible] الاجتماع الإنساني!.

(ح) وأقامت وسطيتنا الإسلامية الجامعة [illegible] «العقل» و«القوة» [illegible] «السيف» [illegible] يُطلب منها أن «تطيع»!.

[illegible] «قوة مصفقة» [illegible] بدلاً من أن تتوازن [illegible] ذلك التاريخ ـ نموذجًا [illegible] التوازن والوسطية في التراجع والهبوط!..

(ط) وجمعت وسطيته ووازنت بين «الدين» و«الدولة» [illegible] الإسلامية الإلهية الثابتة عند المقاصد والمبادئ [illegible] عند والمسلمات والحدود الثوابت فيما يتعلق [illegible] الأمر الذي جعل من هذه الشريعة ـ في أحكامها [illegible] هو أشبه ما يكون بالروح الحضاري والإطار الحاكم [illegible] بداخل هذا الإطار، وبواسطة الشورى ـ هي مصدر السلطات، تبدع في شئون «الدولة» [illegible]

[illegible] فأضفت عليها قدسية الدين وثباته، فكان [illegible] بين متغيرات الحياة..

[illegible] مستغنيا ـ بالعقل والتجربة ـ عن شريعة الله!..

[illegible] «الدين» و«الدولة» هو الذي ميز حضارتنا بكون «الدولة» فيها «مدنية» و«إسلامية» [illegible] بين الناس!

تلك هي وسطية الإسلامية [illegible] حضارتنا وميزها [illegible] لكل السمات التي ميزت حضارتنا عن غيرها من الحضارات.

وصدق الله [illegible] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة: ١٤٣]

[illegible] «بوسط العدل» جعلناكم أمة وسطا»[1]!

[illegible]
الحضارات..

فالقول بتعددية [illegible]
واحديتها عندما يصرع القوى منها الضعيف [illegible]
«مشجتون» فى «صراع الحضارات»!..

والقول بواحدية الحضارة ـ إنسانية [illegible]
الأرض ـ تعددية الحضارات.. [illegible]
[illegible]
حسبين أنه «إلزام» لا علاقة له «بالاختيار.. والالتزام»!..

وبين هذين الغلوين يكون المنهاج الوسطى الجامع: [illegible]
والتدافع والاستباق [illegible]

* * *

[illegible] هذه التعددية فى الحضارات الإنسانية [illegible] الإسلام على
سنة التعددية فى الشرائع [illegible] كما أنها لا تعنى
«تماثل السمية» و«تطابق» [illegible]

[illegible]

[illegible]

تبقى هذه الميادين كما هي ميادين للتمايز الذي يمثل طبيعة التعدد الحضاري بين مختلف الحضارات الإنسانية، عبر الزمان والمكان..

وفي هذا الإطار، كان انفتاح العرب والمسلمين على فتوحاتهم وعلى تراث الإدارة الفارسية، والدواوين الرومانية، وعلى العلوم الطبيعية عند الإغريق، ثم تطوير هذه العلوم المحايدة، والإضافة إليها..

وفي هذا الإطار أيضاً كان انفتاح الحضارة الغربية ـ في نهضتها الحديثة ـ على حضارتنا الإسلامية، وأخذها هذا الرصيد من مشتركات الإنساني، والتطوير والبناء عليه والإضافة إليه..

وفيه أيضاً يأتي انفتاحنا المعاصر على الحضارة الغربية في هذا الميدان..

أما النسق الثاني الذي يمثله قطب (الثنائية) العموم والخصوص في العلاقة بين الحضارات الإنسانية المتعددة، فهي نسق الخصوصيات الحضارية في ميادين الثقافات والعقائد والفلسفات.. وهي التي تحدث عنها هنتنجتون بدقة، عندما قال: إن الحضارة هي كيان ثقافي.. والحضارات تتمايز عن بعضها بعضاً بالتاريخ والثقافة والعادات، وأهم من ذلك الدين، وأن ثمة حضارات مختلفة لها رؤى مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان، والفرد والجماعة، والمواطن والدولة، والآباء والأبناء، والزوج والزوجة، وكذلك رؤى متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات، والحرية والسلطة، والمساواة والتراتبية الهرمية.. وهي كلها جوهرية أكثر من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية

وميادين هذه الخصوصيات الحضارية هي العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب والفنون والحضارات والعادات والأعراف.. تلك التي تتغير الأنساق الفكرية فيها بتغير موضوعها ـ وهو النفس الإنسانية ـ تلك التي ليس بها ثوابت المادة ـ موضوع العلوم المحايدة ـ والتي تتغير وفق الموروث والمعتقدات والفلسفات والثقافات والقيم والمُثُل إلخ.. إلخ..

وإذا كانت التجارب المادية تتكرر على المادة فتثمر الحقيقة الثابتة والقانون نفسه، رغم التكرار ـ ورغم تغير هويات القائمين بهذه التجارب ـ لثبات وحياد (المادة)

موضوع التجارب .. فإن التجربة الفنية أو الشعرية أو الصوفية أو الروحية .. وكذلك الاجتهادات في العلوم الإنسانية والاجتماعية - يستحيل التماثل فيها عند تكرارها، حتى لدى الإنسان الواحد؛ لأن موضوعاتها - النفس الإنسانية - ليس لها ثبات المادة الصماء ولا حيادها!..

وعلى ساق «العموم» الذي يمثل نطاق المشترك الإنساني العام في الفكر الإنساني وعلى ساق «الخصوص» الذي يمثل التعددية في الهويات الثقافية والحضارية، يقوم «التمييز» الممثل لرؤية الإسلام معيارًا «للتعرف» بين الحضارات الإنسانية المتعددة

فهو - أيضًا - موقف وسطي جامع بين «العموم» و«الخصوص» ورافض لغلو الإفراط الذي يتوهم التضاد والقطيعة والمعركة بين الحضارات .. وغلو التفريط الذي يدعو إلى التقليد والتشبه والتبعية والذوبان في الحضارة المهيمنة، بدعوى واحدية الحضارة لكل العالمين!

[illegible] على وجود «تعددية التمايز» [illegible] وسطي بين دعاة «تمايز - التضاد» بين [illegible] «تماثل - الوحدة» [illegible] يسمونها الحضارة «العالمية» و«الإنسانية» [illegible]

١ - الاشتراك في «الإيمان بالخالق» .. والخصوصية في «آفاق تصوره» [illegible] الحضارات، التاريخية منها والمعاصرة .. [illegible] نحن استثنينا القلة المادية المنكرة لوجود خالق لهذا الوجود - هناك [illegible] بين جميع أمم تلك الحضارات في الإيمان بخالق لهذا الوجود .. فهذا الإيمان فطرة فطر الله الناس عليها ..

ومع هذا الاشتراك [illegible] في [illegible] الحضارات [illegible] عمل [illegible]

(أ) فالتصور الوثني الجاهلي لم ينكر وجود [illegible] تصوره [illegible] الخالق [illegible] الوسائط المدبرة لشئون الحياة الدنيا [illegible] وبذلك لم [illegible] على التصور [illegible] الوقوف [illegible] الخالق عند [illegible]

[illegible]

[illegible] ... الإنسان لكفور مبين ﴿١٥﴾ [الزخرف: ٩، ١٥]

[illegible] ... يعمل الخالق عند حدود [illegible]

(ب) وفي التصور الأرسطي اليوناني للذات الإلهية [illegible] ... الذاتية المركزة فيه: فعلاقة الخالق بالوجود علاقة منطقية كعلاقة المقدمة بالنتيجة، وليست علاقة الراعي المدبر لشئون هذا الوجود.

[illegible]

الإيمان بخالق للكون .. و[illegible] علاقة الخالق بالخلق [illegible]
المخلوقات.

(ج) وشبيه بهذه التصورات لنطاق عمل الذات الإلهية [illegible]
يدع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله! .. لأنه يحبس [illegible]
لبشرى ويحصره في شئون الروح ومملكة السماء! [illegible]
المسيح ـ وليس الله!

(د) [illegible]
[illegible]
[illegible]
«الشريعة الإلهية» وضوابط التدبير الإلهي لهذه الميادين ..

[illegible] «اشتراك» و«عموم» مع التصور الديني الحق، الذي تفرد به
[illegible]
وفعل وتدبير الذات الإلهية في الوجود ..

(هـ) يتميز التصور القرآني [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون (٣) [illegible]
ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين [الأعراف: ٥٤]، الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم (٦٢) [العنكبوت: ٦٢] [illegible]
قال فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٥٠)

[طه: ٤٩، ٥٠]

[illegible]

[illegible] في [illegible] الحضارات» .. والخصوصية في «تصورات مكانة الإنسان في [illegible]

[illegible] والاستقرار .. وفي هذه الحقبة [illegible] اشتركت كل [illegible]

[illegible]

(أ) ففي فلسفة الحضارة الهندية [illegible]

[illegible] ال [illegible]

[illegible] الذي لا سبيل إلى خلاصه إلا بالفناء في المطلق! [illegible]

[illegible]

(ج) أما رؤية الإسلامية [illegible]

[illegible] الإمام محمد عبده (١٢٦٥ـ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ـ١٩٠٥م) [illegible] الإنسان [illegible] شيء [illegible].

[illegible] الرؤية الإسلامية [illegible]

[illegible] الاستخلاف الذي جعل الإنسان [illegible] كما أنه ليس المنفلت من إطار [illegible] خالق ومدبر هذا الوجود..

[illegible]

[illegible]

[illegible] وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه [illegible]

[illegible] للأحكام، لكنه مكلف [illegible] عقد الاستخلاف [illegible] احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم [illegible] ﴾ [المائدة: ٤٩] ﴿يا داوود إنا

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص: ٢٦]

[illegible]
[illegible]
بإطار عقد وعهد الاستخلاف [illegible]
محكومة بسلطة الأمة، التي هي [illegible]
بشريعة الإلهية.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠]

[illegible] فلسفة الاستخلاف، وضوابط الخلافة يجعل الإنسان الخليفة
[illegible] فإن ذلك التحقيق يجعل من صناعته لحضارة
[illegible]
[illegible]
[illegible]

٣ـ الاشتراك في «الدين» [illegible] والخصوصية في «المصدر» وفي «الفقه» [illegible]
[illegible]
[illegible]
ودينًا»[١]..

[illegible]
[illegible]

[illegible]

وأن ... إنما هو إفراز بشري، ثمرة من ثمرات العقل الإنساني، بل وقد لت به لعشر [illegible]

[illegible]

فهذه الحضارات عرفت [illegible]
بهيًا» ووحيًا سماويًا [illegible]
لإيمان بالوضع الإلهي لتدبير [illegible]
والدين جعلوا الدين علاقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط [illegible] قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من [illegible]
[illegible] ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك [illegible]
[illegible] غير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ﴾

[الأنعام: ١٦١، ١٦٤]

[illegible]
الأخرى مشركة بها في التشريع [illegible]
التدين في الحياة.

[illegible]

[illegible]

لإنسان العقل الرشيد.

[illegible]

[illegible] وخصوصية [illegible] في مقام العقل، وفي مكانته بين سبل المعرفة الأخرى، ومن ثم منهج العقلا[illegible]

[illegible]

وفي مدى الاقتصار عليه.

(أ) ففي المذاهب «الباطنية» [illegible] العرفانية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المعرفة [illegible]

[illegible]

[illegible] وحقائق الأشياء

الوحي القرآني، وفي حسم النزاع [illegible]

[illegible]

العقل بالنقل؛ لأنها قد جمعت العقل مع النقل، و[الحواس]، والوجدان، سبلاً أربعة للمعرفة، تتكامل في تحقيق الهداية للإنسان... وجمعت مصادر المعرفة كتابي الوحي المقروء، والكون المنظور... وليس فقط كتاب الكون المنظور، كما هو الحال في الوضعية الغربية... للمعرفة مصدران... وللسبل أربع هدايات... الأمر الذي عصم العقلانية الإسلامية من الصراع الذي اكتوت بناره الحضارة الغربية... الصراع بين العقلانية وبين اللاهوت... وهو الصراع الذي جعل العقلانية الغربية الحديثة نقيضًا للدين، بعد أن كانت في حقيقتها اليونانية خلوًا من الدين... بينما ظلت العقلانية الإسلامية ـ عبر مسار تاريخها الحضاري ـ الأخت الرضيعة للشريعة الدينية؛ لأنها واحدة من هداياته، وليست سبيلاً ولا نقيضًا لهدايات الدين.

بهذه العقلانية الإسلامية تميزت الحضارة الإسلامية، رغم اشتراك سائر الحضارات في الاحتكام إلى العقل المبدع [illegible]

٥ ـ الاشتراك في «السببية»... والخصوصية في «مرجعيتها»: [illegible] كلها قد اشتركت في [illegible] بالأسباب» وبالعلاقة بين «الأسباب [illegible] المسببات»، ولكن [illegible] في مرجعية هذه الأسباب وفي طبيعة العلاقة [illegible]

(أ) فهناك أهل «العرفان» [illegible]

(ب) وهناك الحضارات المادية [illegible] الأسباب المادية، المركبة في [illegible] [illegible] (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق. م) [illegible] نظام عمل هذه الأسباب

(ج) أما الموقف الإسلامي [illegible] يؤمن بوجود الأسباب [illegible]

[illegible] في جميع مخلوقاته [illegible]

[illegible] انتهاء قدرة الموجد الأول [illegible]

«العادة» إلى «خارق العادة» لحكمة يريدها الله

لقد اتفق على هذا التصور [illegible]

حضارة الإسلامية [illegible] ـ ١١١١م) لدى [illegible]

لبعض بإنكار [illegible]، والعلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات هو العقل «إننا نسلم أن النار خُلقت [illegible] إذا لاقت [illegible] أحرقتهما [illegible] من كل وجه. ولكنا ـ مع هذا ـ نجوّز أن يُلقى شخص في النار فلا يحترق، [illegible] صفة النار أو [illegible] صفة الشخص، فيحدث من الله تعالى أو من الملائكة صفة في [illegible] تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداه، وتبقى معها سخونتها وتكون على صورة النار وحقيقتها، ولكن لا تتعدى سخونتها وأثرها. أو يحدث في بدن الشخص صفة ولا يخرجه عن كونه لحمًا وعظمًا فيدفع أثر النار، فإنا نرى من يطلي نفسه بالطلق (مادة سائبة عازلة) ـ ثم يقعد في تنور موقد فيه لا يتأثر بالنار، والذي لم يشاهد ذلك ينكره، وإنكار الخصم اشتمال القدرة على إثبات صفة من الصفات في النار أو البدن تمنع الاحتراق كإنكار من لم يشاهد الطلق وأثره، وفي مقدورات الله تعالى غرائب وعجائب، ونحن لم نشاهد جميعها، فلا ينبغي أن ننكر إمكانها ونحكم باستحالتها..»[1]

[illegible]

[illegible] «السببية العادية» [illegible]

«العادة» وذلك بخلق [illegible]

وابن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م) ـ [illegible] اتهمه البعض بالانحياز [illegible] «ولا ينبغي أن يُشك في أن هذه الموجودات قد يفعل

(١) (تهافت الفلاسفة) ص ٦٧، ٦٨، طبعة [illegible]

[illegible]

[illegible] ثت على خرق العادة، وتعطيل الأسباب [illegible] هذا المذهب الإسلامي المتميز عن مذهب الذين [illegible]

[illegible]

فلاستغثتهم [illegible] وقال لي - (أي الله سبحانه وتعالى) - [illegible]
[illegible] ذي عِلّة مهزوم [illegible] »[2]

[illegible]

[illegible] فقال: إن «الموحد» [illegible]
لا ينفي وجود الأسباب النافعة في [illegible]
[illegible] على غير أهله - لكنه الحق [illegible]
التوحيد وإعطاء الطبائع حقها من الأعمال [illegible]

[illegible]

يأمن منك الملحد إذا لم [illegible]

[illegible]

[illegible]
أبطلت المدلول عليه..»[1].

وهكذا، فمع اشتراك كل الحضارات الإنسانية في الإيمان [illegible]
مذاهب متمايزة في مرجعية الأسباب، وفي طبيعة العلاقة بين الأسباب والمسببات [illegible]

[illegible]
الخالق سبحانه وتعالى وحده..

وكانت المادية، التي تقف بالسببية عند الأسباب المادية وحدها [illegible]

[illegible] الأسباب المودعة في المخلوقات [illegible]
[illegible] مشتركا إنسانيا عاما، وكانت
[illegible]

[illegible] الطهطاوي (١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ / ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) قد مثل
[illegible] الإنساني العمومي
[illegible]
[illegible] من الفلسفات والثقافات والعقائد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الإفرنج [illegible] من أحكام [illegible]
وغير العلوم [illegible] [illegible] [illegible]
مشحونة بكثير من [illegible] [illegible] [illegible] في الفلسفة حشوات ضلالية
مخالفة لكل الكتب السماوية [illegible]
وهم من [illegible]
كل عقل [illegible] ولذلك فإنهم لا يصدقون بشيء مما في كتب أهل
الكتاب، لخروجه عن الأمور الطبيعية..»

(١) (كتاب الحيوان) ج٢ ص ١٣٤، ١٣٥ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، [illegible]

[illegible]

[illegible] إن تحسين [illegible] الطبيعية لا يُعتدّ به إلا إذا أقره الشرع، والتكاليف الشرعية والسياسية التي عليها مدار نظام العالم مؤسسة على التكاليف العقلية الصحيحة الخفية عن النوازع والشبهات؛ لأن الشريعة والسياسة مبنيتان على الحكمة المعقولة أو التعبدية التي لا يعلم حكمتها إلا المولى سبحانه، وليس لنا أن نعتمد على ما يُحسِّنه العقل أو يُقبِّحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه .. ولا عبرة بالنفوس القاصرة، الذين حكّموا عقولهم فيما كسوه من الخواطر التي ركنوا إليها تحسينًا وتقبيحًا، وظنوا أنهم ظفروا بالمقصود بتعدي الحدود [illegible] فينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع، لا بطرق العقول المجردة..»(١)

[illegible] ولا [illegible] وإن تأثيرات [illegible] تطبيقات هذه العلوم تحت ضغط تطبيقات بالضوابط الأخلاقية أو تحررها من هذه الضوابط

[illegible]

فنحن -مرة أخرى- أمام معضلة حضارية [illegible] الإنساني إلى التحضر، وهو الجامع [illegible] الإنسان

[illegible] «العزلة» و«القطيعة» و«الانغلاق» [illegible] «الاكتفاء الذاتي» [illegible]

[illegible] إن هذه الدعوة لم تصبح [illegible]

[illegible]

[illegible]

ووجدنا «المغرب» يرى الإسلام [illegible]

الإسلامية، ويدعو إلى تسميته خصوصية [illegible]

[illegible] ١٣٠٥ [illegible] ٣٦١ [illegible] ١٩٩١ [illegible]

[illegible] ولا نطقه الدسة وفاحة. ونحن لا نريد العربية، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحضارة هي كيان ثقافي [illegible] والحضارات تتمايز عن بعضها البعض باللغة والتاريخ والثقافة والعادات، وأهم من ذلك الدين، وأبناء الحضارات المختلفة لديهم رؤى مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان، والفرد والجماعة، والمواطن والدولة، والآباء والأبناء، والزوج والزوجة، وكذلك آراء متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات، والحرية والسلطة، والمساواة والتنظيم الهرمي. وهذه الاختلافات هي نتاج قرون وهي أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية.

[illegible]

[illegible]

ولذلك فضلاً عما سقناه في هذا الفصل [illegible]

[illegible]

[illegible] يجب أن يكون «منتدى حضارتنا» متفاعلاً حميماً، من موقف وموقع الرشد المستقل، الذي يصافح الدنيا دون أن يتخلى عن «بصمته» التي تميزه، وهويته التي تمثل الجوهر والروح الحضارية الخاصة لتميزه عن الآخرين [illegible]

* * *

[illegible] ١٨٦، ١٨٧ [illegible]

التعددية بين
«نعمة الوحدة» و«نقمة التفتيت»

[illegible] «التعددية» هي ثمرة إسلامية [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] لأن التعددية [illegible] [illegible] الوحدة والاتفاق [illegible] الاختلاف [illegible] لأن التنوع والتعدد زينة للحياة وإغناء للاجتهاد [illegible] وضرورة من ضرورات الحياة!..

[illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] الإسلام [illegible]

[illegible] ٣٦٩ [illegible] ١٣٥٣ [illegible] انتصرت «الأموية» على «[illegible]» بادلتها اضطهاداً باضطهاد، حتى [illegible] وطوت صفحتها من الوجود

[illegible] القديمة [illegible] وفلاسفتها!.

وكذلك صنعت مصر [illegible] الدولة الرومانية الوثنية [illegible] نصارى الأقباط المصريين.. بل لقد استمر الاضطهاد لهم حتى بعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية، ذلك أن اختلاف المذهب [illegible] كل صنوف الاضطهاد والإبادة من الملكانيين البيزنطيين لليعاقبة المصريين.. حتى ليؤرخ نصارى مصر حتى اليوم بعصر الشهداء [illegible] على يد النصارى [illegible] لمجرد الاختلاف في المذهب! .. [illegible] حتى داخل الدين الواحد! .

بل لقد صنع المصريون النصارى ذات الاضطهاد مع مخالفيهم [illegible]، فاضطهدت الأرثوذكسية التي شكلها أثناسيوس (٢٩٥ - ٣٧٣م) [illegible]، الآريوسية الموحدة نسبة إلى آريوس [illegible] (٢٨٠ - ٣٣٦م) - [illegible] حتى أزالتها من الوجود! ..

فكان تاريخ الدين والتدين [illegible] حتى [illegible] في مصر رايات الإسلام، [illegible] عمرو بن العاص (٥٠ ق هـ - ٤٣ هـ ٥١٤ - ٦٦٤م) [illegible] من قبط مصر [illegible] في الصحارى والمغارات [illegible] الإسلام [illegible] في حرية الاعتقاد [illegible] والمذهب، [illegible] فكان الإسلام [illegible] دور العبادة للمخالفين! [illegible] على المساجد وحدها بل يضع [illegible] في [illegible] دور عبادة [illegible] ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ [الحج ٤٠]

هذا عن مصر، التي ضرب أمثل شعبها في التسامح الديني والتعايش بين المختلفين

وفي الغرب الروماني، والولايات الشرقية الرومانية، كان «الاستفراد»، ورفض التعددية [illegible] الرومانية [illegible] الأسود [illegible] الاضطهاد [illegible] الوثنيين! [illegible] في المذهب! [illegible] وفي كل عهودهم -

الوثنية والمصرية فرض الإصلاحي مع "نيبور"، إبادة "وبهجيرآ"، وهدمًا للمعابد، وتحويل أماكنها إلى مجمعات للنفايات والقاذورات!.

وعندما نستمر عند الإسلام في ربوع ... الغربية، عند ذاتيه ... تأريخهم سنة مبينة ... ويكفي أن تصنع مرجعًا ... كتبه مستشرق منصف، هو السير توماس و. أرنولد (١٨٧٤ - ١٩٣٠م) ... هذه السمة ... سماحة الإسلام المؤسسة على التعددية - إزاء الديانات الأخرى ومعتنقيها.

وفي فرنسا فرض **شارلمان** (٧٤٢ - ٨١٤م) النصرانية على السكسونيين بحد السيف. **وفي الدانمرك** استأصل الملك كانوت Canut الوثنية ... المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب. **وفي بروسيا** فرضت جماعة إخوان السيف Bmetheren or the sward المسيحية على الناس بالسيف والنار.

وفي ليتوانيا، فرض فرسان Drdo fatrumm militine christ النصرانية على الشعب فرضًا.

وفي جنوب النرويج، ذبح الملك أولاف ترايجفاسون كل من أبى اعتناق المسيحية، أو قطع أيديهم وأرجلهم، أو نفاهم وشردهم، حتى انفردت النصرانية بالبلاد.

وفي روسيا، فرض فلاديمير Vladimir عام ٩٨٨م النصرانية على كل الروس ... وعبيدًا - أغنياء وفقراء غداة اعتناقه لها! ... ثم لم يعترف فيها بحرية العقيدة للأديان إلا في مرسوم صدر عام ١٩٠٥م! . **وفي الجبل الأسود** استعد الأسقف الحاكم دانيال بتروفتش d petrovich عشية ... لذبح غير المسيحيين ... عيد الميلاد عام ١٧٠٣م! **وفي المجر** ... غير المسيحيين على ... من البلاد عام ١٣٤٠م. **وفي إسبانيا** ... مجمع ... في ... كل المذاهب غير المذهب الكاثوليكي، وأقام الموت على تنفيذ هذا القانون الأسود!

وحينما ... الحضارة الغربية هذه ... الاضطهاد والإكراه ... في مصر والشرق - اضطهدهم النصارى الملكانيون، بالقتل

[illegible] وقتل جستنيان الأول (٥٢٧ - ٥٦٥م) [illegible] في

مدينة الإسكندرية [illegible]

وفي أنطاكية [illegible] المسيحيين [illegible] المذهب

[illegible] وفي الحبشة [illegible] ٣٤٢

١٣٧٠م [illegible] المسيحية [illegible]

[illegible] في الربع الأخير من [illegible] عشر الميلادي [illegible] مأساة

مسلمي الأندلس على يد [illegible]

[illegible] في [illegible]

سبيلاً لانفراد المسيحية بساحة التدين، بل [illegible]

[illegible]

[illegible] (١٢ [illegible] ١٢٧٠م) [illegible]

[illegible] الشريعة إلا بسيفه، الذي

يجب أن يطعن به الكافر في أحشائه [illegible]

فنحن - إذن - أمام «خصوصية غربية»، اعتمدت سبل القهر والإكراه لتوحيد المعتقد والمذهب الديني، حتى لقد خلت مواطنها المسيحية من الأقليات الدينية [illegible] شهادة التسامح والتعايش بين الديانات..

فالاستفراد الديني بل والمذهبي - كان هو المنهج السائد [illegible] ولم تعرف التعددية طريقها إلى تلك المجتمعات إلا بعد أن [illegible] العلماني، في العصر الحديث!.

أما الإسلام فمنذ أن ارتفعت راياته على هذه الولايات [illegible] وجدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ومعه صحابة الرسول ﷺ [illegible] (١٥هـ/ ٦٣٦م) وعقد لأهلها «العهد العمري» الذي قنن حرية التدين [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٣٠، ٣٢، ٧٢، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦ - ١٤١ - ١٤٣، ١٥٤، ١٥٦، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٧٤ - ٢٧٦ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

لأن كل نبي سبق وعُبد فيها الله، وهي مختلف الشرائع، فيقيمون [illegible] ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)﴾ [البقرة: 285] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)﴾ [الكافرون: 6]

فالإسلام قد اعتبر التعددية في الشرائع [illegible] لأن الشريعة التي [illegible] يؤمن بها على الإيمان بكل الرسل والرسالات [illegible] الإسلام بالتعددية والتنوع والاختلاف عند حدود [illegible] الإنساني [illegible] بل وارتفع بها إلى مقام السنة الإلهية والقانون الرباني الذي لا تبديل له ولا تحويل.. فهي القاعدة والسنة الكونية [illegible] الحضاري [illegible] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (22)﴾ [الروم: 22] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13] وصدق حديث [illegible] على هذه الآيات [illegible]: «الأنبياء إخوة لعَلاَّت (أمهاتهم متعددات) ـ دينهم واحد، وأمهاتهم شتى»(1).

وقد [illegible] الدستور الأول للدولة الإسلامية الأولى [illegible] اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم [illegible] النصح والنصيحة والبر دون الإثم»(2).

وجسدت الحضارة الإسلامية [illegible] فعاشت وتعايشت، وشاركت في الإبداع الحضاري كل ألوان التنوع والتعددية..

---

(1) رواه البخاري ومسلم [illegible] والإمام أحمد.

(2) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) [illegible]

ففي الإطار الإسلامي الأوسع عاشت التمايزات القومية.. [illegible]
وتعايشت التمايزات الدينية ـ سماوية ووضعية ـ [illegible]

وفي الإطار العربي الإسلامي [illegible] متعددة في الأقوام، [illegible] ـ مع العرب ـ الأكراد والبربر، والأرمن، [illegible] والشركس، [illegible]

وعلى خارطة متعددة في الملل والشرائع والمذاهب [illegible] الروم الأرثوذكس، والنساطرة [illegible] الأرثوذكس، والأرمن الأرثوذكس، [illegible] الكاثوليك، [illegible] كاثوليك، والكلدان الروم الكاثوليك، [illegible]

وعلى خارطة متعددة في المذاهب الإسلامية ـ الكلامية والفقهية ـ [illegible] والشيعة بمذاهبها، [illegible] والزيدية، والإباضية، [illegible]

هكذا، تجسدت في خارطة الحياة الإنسانية ـ بالحضارة الإسلامية: أمة واحدة، وضمت كل ألوان التنوع والتعدد والاختلاف في الفروع التي تكوّن لبنات البناء الواحد لأمة الإسلام ـ المتحدة في العقيدة والشريعة والحضارة ودار الإسلام ـ والمتنوعة فيما عدا ذلك من السمات والقسمات!..

تلك هي قصة الأمة بين [illegible] فصول هذا الكتاب

لكننا.. ومنذ الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة نشهد مخططًا معاديًا لوحدة الأمة، يريد أن يحوّل «نعمة التعددية» إلى «نقمة»! وأن ينتقل بطوائف الأقوام والملل والمذاهب من «لبنات» في بناء الأمة الواحدة إلى «ثغرات» في جدار الأمن الوطني والقومي والحضاري..

بدأ ذلك المخطط بمحاولات بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) مع نفر من أقباط مصر، [illegible] (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) [illegible] (١١٦٦ - ١٢٣٧هـ / ١٧٥٤ - ١٨٢٢م) [illegible] الجيش الفرنسي [illegible] مصر [illegible] (١١٥٨، ١٢١٦هـ ١١٤٥ ١٨٠١م) [illegible] الفرنسيون «جنرالا» .. وسماه الجبرتي «يعقوب اللعين»!

[illegible] الإسلامي [illegible] «التشريعات التي ترضى عنها فرنسا» [illegible] الإسلامية [illegible] وكانت تلك أقدم محاولات التغريب للأمة في عصرنا الحديث.

وتزامنت مع هذه المحاولة دعوة بونابرت سنة ١٧٩٩م للطوائف اليهودية - التي [illegible] «ثمرة الاحتراق» و«موطن» [illegible] اليهودية [illegible].

من نابليون بونابرت، القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين [illegible]

[illegible] إرادتكم لألفي سنة..

[illegible] ١٩٨٦م

إن فرنسا تقدم [illegible] إرث إسرائيل [illegible] الحقيقى [illegible]
[illegible] لإلهيه [illegible] منبراً [illegible]، وحلال [illegible]
دمشق [illegible] داود [illegible] ورثة [illegible]
[illegible] الأمة الفرنسية [illegible]
[illegible]»[1]!!.

فكما [illegible] مشروع الاستعمار الغربي [illegible] الاختراق [illegible] على جبهة
[illegible] مصر [illegible] على جبهة [illegible] اليهودية [illegible]
«[illegible] التعددية» إلى «[illegible]»!

وبعد هزيمة مشروع بونابرت [illegible] الثقافي ـ الفرنسية ـ محاولات الاختراق و[illegible]، [illegible] على [illegible] بعض [illegible]
والمذاهب والملل إلى ثغرات اختراق [illegible] وحدة الأمة، [illegible]
والحضارى. فمدارس الإرساليات الفرنسية فى الشام، استهدفت ـ كما عبرت عن ذلك مراسلات قناصلهم ـ «جعل سوريا ـ (أى الشام الكبير) ـ حليفًا أكثر أهمية من مستعمرة»! و«تأمين هيمنة فرنسا على منطقة خصبة ومنتجة»! وتحويل الموارنة إلى «جيش متفان لفرنسا فى كل وقت»! وذلك وصولاً إلى «جعل البربرية العربية ـ (كما قالوا)! ـ تنحنى لا إراديًا أمام الحضارة المسيحية لأوروبا»[2].

وما حاوله الفرنسيون مع الموارنة: حاوله الإنجليز مع الدروز، فى التاريخ ذاته!
وحاولوه مع اليهود، [illegible] فى فلسطين [illegible] مشروع مصر
[illegible] محمد على باشا (١١٨٤ ـ ١٢٦٥هـ ١٧٧٠ ـ ١٨٤٩م)، [illegible]
الشرق، وعلاج أمراض الدولة العثمانية [illegible]
«[illegible]» [illegible] فى ١١ [illegible]

---

(١) محمد حسنين هيكل (المفاوضات السرية [illegible]
اليهودية) الكتاب الأول ص ٣١، ٣٢ [illegible] القاهرة سنة [illegible]م.

(٢) [illegible]
١٨٤٢ ـ ١٨٤٨ ـ ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨م انظر د. محمد عمارة (هل الإسلام هو الحل؟ [illegible]
ص ٣٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

١٨٤٠م، يقول له: «عليك أن تقنع السلطان وحاشيته... بأنه إذا عاد الشعب اليهودى تحت حماية السلطان وباركته إلى فلسطين، فسوف يكون ذلك مصدر ثراء له، كما أنه سوف يكون حائلاً بين محمد على أو أى شخص آخر يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة فى الجمع بين مصر وسوريا»[1]!!

فالهدف هو التفتيت للأمة، بتوضيب اليهود عقبة ضد «الجمع بين مصر وسوريا»!.

[illegible] سعى [illegible] مشروع العربى وحدة [illegible] مع [illegible] [illegible] علاقة أقباط مصر [illegible] عن طريق [illegible] ومحاولات [illegible] [illegible] قواعد اختراق للتنصير [illegible] [illegible] القبطى مع المسلمين تارة أخرى [illegible] الأعداء [illegible] وحدة الأمة فى كل [illegible] كرومر (١٨٤١ ـ ١٩١١م) ـ المعتمد البريطاني فى مصر [illegible] وحدة الأمة ـ أقباطها ومسلميها ـ فى منظومة [illegible] حتى [illegible] بين القبطى والمسلم [illegible] [illegible] الطابع الشرقى للحضارة [illegible] يميزها عن الحضارة الغربية [illegible] «إن مسيحية القبطى محافظة ـ (جامدة) ـ بقدر ما هو إسلام المسلم، والقبطى غير قابل للتغيير ـ (التقدم) ـ . وهذا راجع «لا لأنه قبطى، بل لأنه شرقى، ولأن ديانته التى تسمح بالتقدم قد حوصرت بأخلاط معادية للتقدم . وإذا كان المسلم لم يصبح مسيحياً على أى وجه من الوجوه. فإن القبطى قد أصبح مسلماً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه فى المسلك الأخلاقى واللغة والروح»[2].

فعدو كرومر ـ المعتمد البريطانى للاستعمار الإنجليزى فى مصر ـ هو وحدة الأمة والحضارة، التى جعلت الجميع شرقيين، بصرف النظر عن الملل والشرائع، والتى جمعت النصرانى المصرى متوحداً مع المسلمين فى المسلك الأخلاقى واللغة والروح!..

(١) [illegible] ص ٤٤، ٤٥.

(٢) كرومر (مصر الحديثة) والنص فى، محمد السماك «الأقليات بين العروبة والإسلام» ص ٩٣ طبعة بيروت، سنة ١٩٩٠م.

وعندما أخذ مخطط بونابرت مع اليهود - والذي تبنته [illegible] بعد صعود دورهم الاستعماري في الوطن العربي - عندما أخذ هذا المخطط طريقه إلى التطبيق في أرض الواقع، عبر وعد بلفور سنة ١٩١٧م، والانتداب البريطاني على فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٤٨م) وقيام الدولة الصهيونية سنة ١٩٤٨م، أصبح لهذه الدولة - كقاعدة غربية في قلب وطن الأمة - مخططها للتفتيت والتفكيك، والذي يستهدف إلغاء الأمة وتحويلها إلى ركام من الطوائف والملل والنحل والمذاهب والأقوام والأعراق.

ولأن الإسلام هو عامل التوحيد الأول لهذه الأمة، فلم يقف مخطط التفتيت الصهيوني عند دائرة الأمة العربية، وإنما امتد ليشمل عالم الإسلام، من شبه القارة الهندية إلى المغرب الأقصى على شاطئ الأطلسي!.. فكانت الخطة التي صاغها المستشرق الصهيوني «برنارد لويس» Bernard Lewis.

وفي تشريح مجلة Executive Intelligence research project التي نشرتها [illegible] وزارة الدفاع الأمريكية [illegible] إلى دويلات إثنية أو مذهبية.. وبموجب تلك الخطة يدعو برنارد لويس إلى:

١ - ضم إقليم بلوشستان الباكستاني إلى مناطق البلوش المجاورة في إيران، وإقامة دولة بلوشستان.

٢ - ضم الإقليم الشمالي الغربي من باكستان إلى مناطق البشتونيين في أفغانستان، وإقامة دولة بوشتونستان.

٣ - ضم المناطق الكردية في سوريا والعراق وتركيا وإقامة دولة كردستان.

٤ - إن اقتطاع المناطق الكردية والبلوشية من إيران [illegible] تقسيم ما تبقى من إيران في ضوء الواقع الإثني، مما يحقق إقامة الدويلات التالية:

(أ) دويلة إيرانستان.

(ب) ودويلة أذربيجان.

(ج) ودويلة تركمانستان.

(د) ودويلة عربستان.

٥ ـ إقامة ثلاث دول في العراق:

(أ) إحداها كردية سنية في الشمال

(ب) والثانية سنية عربية في الوسط

(ج) والثالثة شيعية عربية في الجنوب.

٦ ـ إقامة ثلاث أو أربع دويلات في سوريا:

(أ) منها واحدة درزية.

(ب) وثانية علوية (نصيرية)

(ج) وثالثة سنية

٧ ـ وتقسيم الأردن إلى كيانين:

(أ) أحدهما للبدو.

(ب) والآخر للفلسطينيين [illegible]

[illegible]

٨ ـ [illegible] سنة ١٩٣٣م، [illegible]

[illegible]

٩ ـ يعاد النظر في الجغرافيا السياسية للبنان، على أساس إقامة

(أ) دويلة مسيحية

(ب) ودويلة شيعية

(ج) ودويلة سنية.

(د) ودويلة درزية

(هـ) ودويلة علوية

١٠ ـ تقسم مصر إلى دولتين على الأقل:

(أ) واحدة إسلامية

(ب) والثانية قبطية

١١ ـ يفصل جنوب السودان عن شماله، لتقام فيه:

(أ) دولة زنجية مستقلة في الجنوب.

(ب) ودولة عربية في الشمال.

١٢ ـ يعاد النظر في الجغرافيا السياسية للمغرب العربي، بحيث تقام للبربر أكثر من دولة حسب التوزع والانتماء القبليين.

١٣ ـ كذلك يعاد النظر في الكيان الموريتاني من خلال الصراع القائم بين العرب والزنوج والمولدين».

وبعد هذا التخطيط الذي يضيف إلى «تجزئة وتفتيت (سيكس ـ بيكو) سنة ١٩١٦م» أكثر من ثلاثين دويلة، عرقية، ودينية، ومذهبية.. نضيف برنارد لويس قوله: «إن الصورة الجغرافية الحالية المصطنعة لا تعكس حقيقة [illegible] هو على السطح متناقض مع ما هو في العمق [illegible] على السطح كيانات سياسية ودول مستقلة، ولكن في العمق هناك أقليات لا تجد نفسها ممثلة في هذه [illegible] ولا تعتبر هذه الدول تعبر عن الحد الأدنى من تطلعاتها الخاصة»!

فالمخطط لا يرى إلا الصراع.. وهو يريد [illegible] دويلات، ليس لها أدنى مقومات الدول [illegible] لكي تبقى [illegible] التي لا تجمعها [illegible] الأمة [illegible] الطويل ـ دولة متحدة [illegible] لكي [illegible] مهيمنة على وطن العروبة وعالم الإسلام!..

[illegible] في هذا المخطط [illegible] يرى الإسرائيليون أن جميع هذه الكيانات لن تكون فقط غير قادرة على أن تتحد، بل سوف

تنشب خلافات لا انتهاء لها على مسائل الحدود و[illegible]
[illegible] أن كل [illegible]
ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل»[1]!.

ففي سبيل [illegible] إسرائيلي [illegible] مشروع [illegible] وحدة الأمة الإسلامية إلى [illegible] الأقوام [illegible] والطوائف والأعراق والألوان!

ولم يقف الأمر عند [illegible] إلى التفتت بعد سنوات قليلة من قيام إسرائيل [illegible] بدأ السعي لتحويل عالمنا وأمتنا إلى المجتمعات [illegible] أو مجتمعات [illegible] Mosaic Society»

ففي سنة ١٩٥٤م [illegible] «دافيد بن جوريون» [illegible]

وسجل «موشي شاريت» (رئيس وزراء إسرائيل [illegible]) في مذكراته، بتاريخ ٢٧ [illegible] سنة ١٩٥٤م [illegible] ليستقروا [illegible] وهذه الأقلية [illegible] وثقافتها [illegible] الأخرى الأعضاء في الجامعة العربية [illegible] الأكثرية هناك [illegible]

(١) (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص١٣١، ١٣٣، ١٤٣.

الأكثرية، مثل [illegible] وهكذا تبدو مسألة خلق دولة مسيحية أمرًا طبيعيًا، لها جذورها التاريخية، وستلقى مثل تلك الدولة دعمًا واسعًا من العالم المسيحي الكاثوليكي والبروتستانتي..

كان مثل هذا الأمر يبدو شبه مستحيل في الظروف العادية، وذلك بسبب رئيسي هو كون المسيحيين يفتقرون إلى الشجاعة والحيوية من أجل تنفيذ مشروع كهذا، ولكن في حالة تفشي الفوضى والاضطرابات وظهور بوادر الثورة أو الحرب الأهلية، فإن الأمر يصبح مختلفًا، إذ يصبح الضعيف كبطل في مثل تلك الأوقات. وقد لا نستطيع الجزم بالنسبة للأمور السياسية، ولكن ربما كان الوقت الحالي هو الظرف المناسب لخلق دولة مسيحية مجاورة لنا، ومن دون مبادرتنا ودعمنا القوي لا يمكن إخراج تلك الدولة إلى حيز الوجود.. يبدو لي أن هذا هو واجبنا الأساسي، أو على الأقل أحد الهموم الرئيسية لسياستنا الخارجية، وهذا يعني أن علينا أن نحسن استثمار الجهد البشري، وعامل الوقت، والعمل بكل الطرق الممكنة لإحداث تغيير أساسي في لبنان، يجب علينا تجنيد «ساسون»[1] وكل من يتكلم العربية بيننا، ولن نتقاعس عن توفير الأموال اللازمة لإنجاح هذه السياسة، ولا بأس لو اضطررنا أحيانًا إلى إنفاق الكثير دون التوصل إلى نتائج سريعة.

قد تكون جهودنا ضعيفة على هذه القضية، فقد لاحت في الأفق فرصة تاريخية ومن يفوتها فالتاريخ لن يصفح عنه أبدًا. لكن على ثقة بأن موقفنا هذا لا يتضمن أي تحد للقوى الكبرى، إذن علينا أن نشرع في العمل فورًا وعلى [illegible] الأولوية.

وفي سبيل الوصول إلى هذه النتيجة، علينا أن نركز قدرتنا على الخدمات الخاصة والمنظمة ونستحسن اختيار بعض اللبنانيين في الداخل والخارج وتجنيدهم من أجل خلق الدولة المارونية. حصلت على معرفة بأشخاص يمكن الاستعانة بهم في هذا، ولكن هناك طرق عديدة يمكن بواسطتها تحقيق مشروع مقترح.

إمضاء: دافيد بن جوريون

---

(١) هو موشيه ساسون، أحد الخبراء الصهاينة في اللغة العربية [illegible]

وفي تعقيب "موشي شاريت" على هذه المذكرة كتب "لافون" في مذكرة من "بن جوريون"، كتب في ١٨ مارس سنة ١٩٥٤م يقول: "إنني بالتأكيد أحبذ تقديم المساعدات والدعم الفعال لأي شكل من أشكال تحريك الأقلية المارونية بهدف تثبيت وتقوية ميولها الانعزالية، بغض النظر عن مدى فرص نجاح عملية كهذه، في ظل وجود مثل تلك الفرصة يعتبر مجرد تحريك الأقليات عملاً إيجابيًا لما قد ينتج عنه من آثار تدميرية على المجتمع المستقر، ناهيك عن حقيقة أن هذا قد يتسبب في حدوث نعرة طائفية، كما أنه يحمل في طياته فرص أن يعرض المنطقة لوضع تعرقلي انفصالي، ويذكي النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال..

وعلاوة على ذلك، فإن لافون أكد على ضرورة بناء هذه الخطة في الوقت الحاضر لكلمة؛ لأننا في حالة سرية واستمرارية وهو خطر لا يمكن تكراره في ظل الظروف الراهنة للشرق الأوسط التي تعيش حالة من الفوضى التي قد تكون نتاج الحملة ذاتها..!!

هكذا -ومنذ سنة ١٩٥٤م- بدأت إسرائيل تنشد تحقيق:

(أ) تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات في العالم العربي -بدءًا بالأقلية المارونية-.

(ب) وتحريك الأقليات لتدمير المجتمعات المستقرة، وإذكاء النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال!!.

وفي ضوء هذا المخطط، علينا أن نراجع مظاهر الانعزال لدى الأقليات.. والوان تحركاتها كأقليات، وتزايد الحديث عن همومها -داخليًا وخارجيًا- وتزايد الأضواء المسلطة عليها، في عزلة عن مجتمعاتها!!.. علينا أن نراجع مظاهر وثمرات هذا المخطط عبر العقود التي تلت هذا التخطيط!.. وأن نرصد الأفكار والنظريات والمؤسسات التي احترفت وتحترف "صناعة عزل وتحريك الأقليات".

وإذا كان "موشي شاريت" -رئيس وزراء إسرائيل يومئذ- قد كتب هذا التعقيب على مذكرة "لافون" إلى "بن جوريون" في مارس سنة ١٩٥٤م، فقد عقدت القيادة الإسرائيلية اجتماعًا مشتركًا، لوضع هذا التخطيط في التنفيذ -في ١٦ مايو سنة ١٩٥٤م- حضره

كبار مسئولي وزارتي الدفاع والخارجية، وفيه [illegible] بن جوريون [illegible] بحث الأوضاع في [illegible] و[illegible] الظروف ملائمة [illegible] سوريا [illegible] العراق وسوريا، [illegible] موشي ديان [illegible] موقف بن جوريون [illegible].

كان أهم ما يشغل «ديان» هو العثور على ضابط لبناني، ولو برتبة رائد، ليقوم بدور المنقذ للشعب المسيحي[1]، وفي حال إيجاد مثل هذا الشخص يكون دور إسرائيل العمل لاستمالته بإظهار المودة تجاهه أو إغرائه بالأموال، عندئذ سيتمكن الجيش الإسرائيلي من دخول لبنان واحتلال الأجزاء الضرورية من الحدود، وأخيراً خلق كيان مسيحي يقيم علاقات وثيقة مع إسرائيل، أما بالنسبة للمناطق الواقعة جنوب «الليطاني» فسوف يتم ضمها إلى إسرائيل نهائياً».

[illegible]

وبعد [illegible] موشي شاريت [illegible] ١٦ [illegible] سنة ١٩٥٤ [illegible] [illegible] وزارتي الدفاع والخارجية لمعالجة الشئون اللبنانية، على أن تكون [illegible] تحت إشراف رئيس الوزراء.

كان رئيس الأركان «ديان» لم يزل مصراً على رأيه، بضرورة العثور على ضابط لبناني لاستخدامه كواجهة لتنفيذ أغراضنا فيتمكن الجيش الإسرائيلي عندها من الاستجابة لنداء الإغاثة المطلق من لبنان، ويهرع لتحريره من الاضطهاد الإسلامي، لن تكون تلك العملية سوى مغامرة جنونية، لكن علينا أن نعمل لمنع المضاعفات الخطيرة، وعلى اللجنة أن تكلف بمهمة القيام بالدراسات، وأن تعمل بحذر وتعقل لتوجيه وتشجيع الدوائر المارونية الرافضة للضغوط الإسلامية كي تضع ثقتها بنا وتعتمد علينا كلياً ..»!.

---

(١) لاحظ أن المسيحيين يومئذ [illegible] كانوا يهيمنون على مختلف ميادين وقطاعات ومؤسسات الدولة [illegible].

[illegible] سنة ١٩٥٤م [illegible]

لقد استطاع التنظيم الصهيوني ـ بتحريك الأقليات [illegible] نحو المزيد من الانعزالية. [illegible] بروتوكولات» التي سجلتها مذكرات «موشي شاريت» [illegible][1]

[illegible] «المنطقة» [illegible] إذكاء النار في مشاعر الأقليات في المنطقة، [illegible] المجتمعات الفسيفسائية أو مجتمعات الموزاييك «Mosaic Society».

[illegible] الإسلامي، من شبه القارة الهندية إلى شاطئ الأطلسي!.

ففي ١٨ ديسمبر سنة ١٩٨١م [illegible] لوزير الدفاع الإسرائيلي «أريل شارون» [illegible] المجتمعات. كمصر ـ كان «ابن جوريون» [illegible]

في السودان [illegible] «إن إسرائيل تضع تجاربها الحيوية في أطراف الاتحاد السوفيتي شمالاً، والصين شرقًا، وإفريقيا الوسطى جنوبًا، والمغرب العربي غربًا ـ (أي العالم الإسلامي كله) ـ فهذا المحيط عبارة عن مجموعات قومية وإثنية ومذهبية متناحرة، ففي الباكستان شعب «البلوش»، وفي إيران يتصارع على السلطة كل من الشيعة والأكراد، والمسألة الأرمنية، أما في العراق فمشكلاته تتدرج في الصراع بين السنة والشيعة والأكراد، في حين أن سورية تواجه مشكلات الصراع السني العلوي، ولبنان مقسوم على عدد من الطوائف المتناحرة والأردن مجال خصب للصراع من نوع: فلسطيني ـ بدوي، كذلك في الإمارات العربية، وسواحل المملكة العربية السعودية الشرقية، حيث يكثر الشيعة

---

(١) انظر د. سعد [illegible] (الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في العالم العربي) ص ٧٤٠ ـ ٧٤٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م

من ذوي الأصول الإيرانية، وفي مصر جو من العداء بين المسلمين والأقباط، وفي السودان حالة مستمرة من الصراع بين الشمال والجنوب المسيحي ـ الوثني، أما في المغرب فالهوة ما بين العرب والبربر قابلة للاتساع»[1]

فكأنه [illegible] للعالم الإسلامي بأسره، مع حديث عن هذا العالم الإسلامي [illegible] لإسرائيل!! وهو «جون كذب لعظمة». فما [illegible] «[illegible]»

[illegible] سنة ١٩٨٢م [illegible] سنة ١٩٨٢م [illegible] «استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات»: «إن العالم العربي ـ الإسلامي ليس هو المشكلة الإستراتيجية الأساسية التي ستواجهنا خلال الثمانينيات، وذلك على الرغم من أن له النصيب الأوفر في تهديد إسرائيل بسبب قوته العسكرية الآخذة في الازدياد.

وهذا العالم، بطوائفه وأقلياته وأجنحته ونزاعاته الداخلية التي تؤول إلى دمار داخلي مذهل ـ كما نشهد اليوم في لبنان وإيران غير العربية، والآن في سوريا أيضاً ـ غير قادر على التصدي لمشكلاته الأساسية الشاملة، وبالتالي فإنه لا يشكل تهديداً فعلياً لدولة إسرائيل في المدى البعيد وإنما في المدى القصير، إذ هناك أهمية كبرى لقوته العسكرية الآتية:

فعلى المدى البعيد لا يستطيع هذا العالم البقاء ببنيته الحالية في المناطق المحيطة بنا، من دون تقلبات فعلية.

إن العالم العربي مَبْنِيٌّ مثل برج ورقي مؤقت، شيده الأجانب (فرنسا وبريطانيا في العشرينيات) من دون اعتبار لإرادة السكان وتطلعاتهم، فقد قسم إلى ١٩ دولة، كلها مكونة من تجمعات من الأقليات والطوائف المختلفة التي يناصب بعضها البعض

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

العداء. وهكذا فإن كل دولة عربية - إسلامية تتعرض اليوم لخطر التفتت الإثني - الاجتماعي في الداخل، لدرجة أن بعضها تدور فيه الآن حروب أهلية.

إن صورة الوضع (القومية الإثنية - الطائفية هذه) من المغرب حتى الهند، ومن الصومال حتى تركيا، تشهد على انعدام الاستقرار، والتفتت السريع في جميع أنحاء المنطقة المحيطة بنا.

وعندما نضيف إلى ذلك الصورة الاقتصادية فإننا ندرك إلى أي حد تقوم المنطقة بأسرها فعلاً على برج من الورق، من دون أي فرص للتصدي لمشكلاتها الخطرة.

إن مصر مفككة ومنقسمة إلى عناصر سلطوية كثيرة، وليس على غرار ما هي الحال اليوم، لا تشكل أي تهديد لإسرائيل، وإنما ضمانة للأمن والسلام لوقت طويل، وهذا اليوم في متناول يدنا.

إن دولاً مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منهما لن تبقى على صورتها الحالية، بل ستقتفي أثر مصر في انهيارها وتفتتها، فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون[11] - إن رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر، إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة إقليمية مصرية، لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن، هي مفتاح هذا التطور التاريخي الذي أخرته معاهدة السلام، لكنه لا يبدو مستبعداً في المدى الطويل.

إن الجبهة الغربية - التي تبدو للوهلة الأولى معضلة - هي أقل تعقيداً من الجبهة الشرقية، حيث أصبحت ماثلة أمامنا اليوم جميع الأحداث التي كانت بمثابة أمنية في الغرب، ذلك أن تقسيم لبنان بصورة مطلقة بين خمس مقاطعات إقليمية هو سابقة للعالم العربي بأسره، بما في ذلك مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية، إذ أخذ ينحو منحى مشابهاً منذ اليوم.

إن تفتت سوريا والعراق لاحقاً إلى مناطق ذات خصوصية إثنية ودينية، على غرار لبنان، هو هدف من الدرجة الأولى بالنسبة لإسرائيل في الجبهة الشرقية في المدى البعيد؛ إذ إن تشتيت القوة العسكرية لهذه الدول هو اليوم الهدف المرسوم في المدى القصير. وسوف تتفتت سوريا وفق التركيب الإثني والطائفي إلى عدة دول مثل لبنان

حلب [illegible]، بحيث تقوم على ساحله دولة علوية - شيعية، وفي منطقة حلب دولة سنية، وفي منطقة دمشق دولة سنية أخرى معادية للدولة الشمالية، والدروز سيشكلون دولة، ربما أيضاً في الجولان عندنا، وطبعاً في حوران وشمال الأردن، وستكون هذه ضمانة الأمن والسلام في المنطقة بأسرها في المدى الطويل. وهذا الأمر في متناول يدنا اليوم.

إن العراق - الغني بالنفط من جهة، والذي يكثر فيه الانشقاق والأحقاد في الداخل من جهة أخرى - هو المرشح المضمون لتحقيق أهداف إسرائيل، إن تفتيت العراق هو أكثر أهمية من تفتيت سوريا [illegible]، فالعراق أقوى من سوريا، وقوته تشكل في المدى القصير خطراً على إسرائيل أكثر من أي خطر آخر، وحرب عراقية - سورية، أو عراقية - إيرانية سوف تفتت العراق وتؤدي به إلى الانهيار في الداخل قبل أن يصبح في مكانه التأهب لخوض صراع على جبهة واسعة ضدنا. وكل مواجهة بين الدول العربية تساعدنا على الصمود في المدى القصير، وتختصر الطريق نحو الهدف الأسمى، وهو تفتيت العراق إلى شيع مثل سوريا ولبنان، وفي العراق سوف يكون التقسيم الإقليمي والطائفي متاحاً، كما كان الوضع في سوريا في العهد العثماني، وهكذا تقوم ثلاث دول (أو أكثر) حول المدن العراقية الرئيسية: البصرة، وبغداد، والموصل، إذ تنفصل مناطق شيعية في الجنوب عن الشمال السني والكردي بأكثريته، ولعل المواجهة الإيرانية العراقية تؤدي إلى ازدياد حدة هذا الاستقطاب اليوم.

إن شبه الجزيرة العربية بأسره هو مرشح طبيعي للانهيار، وأكثر اقتراناً منه، بفعل ضغط داخلي وخارجي، وهذا الأمر غير مستبعد في معظمه، خصوصاً في السعودية، سواء أبقيت القوة الاقتصادية القائمة على النفط أم انخفضت في المدى البعيد، فالاضطراب والانهيار من الداخل هما مسار واضح وطبيعي في ضوء تركيبة الدولة القائمة، التي تفتقر إلى كيان.

إن الأردن هدف إستراتيجي آني في المدى القصير، لكنه ليس كذلك في المدى الطويل؛ لأنه لا يشكل أي تهديد فعلي في المدى الطويل، بعد انحلال وتصفية الحكم

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

الجديد للملك حسين، و[illegible] السلطة إلى الفلسطينيين في المدى القصير. ليس هناك أي إمكان لأن يبقى الأردن قائماً على صورته وبيئته الحاليتين في المدى الطويل، ويسعى أن تؤدي سياسة إسرائيل — حرباً أو سلماً — إلى تصفية الأردن بصورته الحالية، ونقل السلطة إلى الأكثرية الفلسطينية. فتبديل الحكم شرقي النهر سوف يؤدي أيضاً إلى تصفية مشكلة المناطق الآهلة بعرب غربي النهر حرباً أو سلماً، [illegible] الهجرة من المناطق وجمود [illegible] الاقتصادي والديموغرافي فيها، هو ضمانة للتغيير الوشيك على ضفتي النهر [illegible] وعلينا أن نكون ناشطين من أجل تسريع هذا التغيير، وفي وقت قريب

[illegible] في العصر النووي، لا يمكن ضمان بقاء إسرائيل إلا عبر هذا التفكيك، ويجب من الآن فصاعداً بعثرة السكان. وهذا دافع استراتيجي، فإذا لم يحدث ذلك، فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود[2]!!..

[illegible] المحتوى [illegible]

«[illegible] كامنة وراءه» . .

و«حرب الخليج هل أنهت تقسيم لبنان؟»

و«[illegible]»

و«ثورة الشيعة في جنوب [illegible] حرب الخليج»

و«[illegible] والعالم»؟ . .

و«[illegible]»

و«الاحتقانات بين المسلمين والأقباط في مصر»

و«إسرائيل ونضال البربر في شمال [illegible]»

و«الشيعة في أقطار الخليج (السعودية [illegible]) يثورون كما ثار شيعة لبنان؟ [illegible]»

و«إسرائيل ودول الجوار في [illegible]»

و«العلاقات [illegible]»

وفي هذه الأبحاث . . كشف عن صفحات [illegible] «اتصالات» و«محاولات» صهيونية مع [illegible] قيام الدولة الإسرائيلية سنة ١٩٤٨م!.

[illegible] «المصالح العليا» و«المصالح المهمة في [illegible] الإستراتيجي لإسرائيل» . وحديث صريح عن تبني حكومات الإسرائيلية المتعاقبة سياسة تقوم على دعم الأقليات غير العربية (العرقية) والعربية الطائفية في الشرق

الأوسط [illegible] في [illegible]
[illegible] الطبيعي [illegible] بين إسرائيل وهذه الأقليات.

[illegible] من مقدمة أبحاث هذه الندوة [illegible] إلى [illegible] أيضاً من قبل حركة الصهيونية وأجهزتها، [illegible] الوكالة اليهودية [illegible] الاتصالات بالزعماء [illegible] السياسيين المارونيين في عهد الاستيطان اليهودي في فلسطين - أي منذ الثلاثينيات والأربعينيات

وقد تُحدد هذا الموقف انطلاقاً من الإدراك بأن هذه الأقليات، وخاصة المارونيين في لبنان والأكراد في العراق والدروز في سوريا، والجماعات الأخرى في الأقطار العربية الأخرى، هي شريكة في المصير، ولا بد من أن تقف مع إسرائيل في مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية»[1]..

وفي أبحاث هذه الندوة - التي تمثل حلقة الثمانينيات في هذا المخطط القديم - كشف عن حركة «الخط البياني» [illegible] هذا المخطط، نفهم منه

■ [illegible] وتعايشها مع شعارات «هذا [illegible]

■ [illegible] مرحلة [illegible] القومي، بعد حرب سنة ١٩٦٧م. «كما شهد عقد الثمانينيات تحولات كبيرة في تطور الاتصالات مع تلك [illegible] والجماعات»

■ [illegible] تقليص الدعم العسكري، وعدم الاكتفاء بدعم

[illegible]

[illegible]

[illegible] تحقيقاً للمصلحة [illegible] التي تقتضي أن تكرس تلك الصراعات [illegible] لأن انقسام العالم العربي يعني في النهاية [illegible] وتشتت قواه وطاقاته التي كان يمكن أن يعبئها ويحشدها في مواجهة إسرائيل [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلام والقومية العربية [illegible] صائفة أو جماعة تتحدى القومية العربية (العدو الأول للشعب اليهودي) [illegible] محاربتها أو مقاومتها، هي حليف وقوة [illegible] التي ما زالت في مرحلة التكوين!![2]

فالمشروع الصهيوني ما زالت دولته في التسعينيات [illegible]

[illegible] عليهم الاستعمار!!

هكذا تحددت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) المرجع السابق ص١٠٧

(٢) المرجع السابق ص٢٧

[illegible]

ونص عبارة (إستراتيجية [illegible] العرب تفتيت هو ضمانة لأمن وسلام إسرائيل في المنطقة في المدى الطويل [illegible] فلا أمن لإسرائيل، مهما كانت الحدود»!

[illegible]

أولوية في مخطط التفتيت [illegible] ما مصر فهي ضمان النجاح [illegible]
.. فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون»!!..

[illegible]

يزعمون أن وحدة العرب مصطنعة، وأن العالم العربي [illegible]
[illegible] وفرنسا في معاهدة «سايكس [illegible]
بينما الحقيقة التي علميها [illegible]
واستعمرته، ولم تصنع له وحدة مصطنعة [illegible]
الولايات العربية العثمانية.. وهي إرادة [illegible]
[illegible]

وهذا الذي [illegible] مخططات التفتيت [illegible] المجتمعات [illegible] والمجتمعات [illegible] في حقيقة تنوع
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في [illegible]

[illegible]
الأمة [illegible]
[illegible]
ولا نقطة ضعف، [illegible] لا يرى سوى
التنوع والخصوصيات [illegible] الخصوصيات!

وفي ظل تنوع بهذا الاتساع، في أمة بهذا الحجم، وأمام تحديات على هذه الدرجة من الشراسة [illegible] لا يتصور عاقل خلو عالم الإسلام من مشكلات، بل وانشروخات [illegible]

لكن القضية هي: ما هو الحل؟

هل هو التفتيت والتفكيك [illegible] في عالم يسلك سبيل التكتلات، ويتحدث عن صراع الحضارات؟ [illegible] وفي ذلك [illegible] المحققة [illegible]؟!

أم التطبيق [illegible] والتصور الخلاق [illegible] بين «التعددية» وبين «الوحدة»، [illegible] تمثل التعددية فيه مصدر غنى وثراء، بل [illegible] على الحضارات الأخرى [illegible] وذلك عندما يغني [illegible] هذه «الوحدة» الجامعة لأمة الإسلام؟!

[illegible] كانت هذه هي «المخططات الخارجية» ـ المعلنة ـ [illegible] العربية لعالم الإسلام في الممارسة والتطبيق، هل [illegible]

[illegible]

فما هي انعكاسات هذه المخططات على [illegible] مخطط التفتيت من النجاح على جبهات [illegible] العربي الإسلامي على وجه الخصوص؟! [illegible] جبهاتنا الداخلية قد (رشحت) على [illegible] هذه المخططات!!..

• فعلى جبهة البربر الأمازيغ

بدأت هذه المخططات فعلها منذ الاحتلال [illegible] العقود الأولى من القرن العشرين.

[illegible]

[illegible]

[illegible] لفصل الإسلام عن العربية، حتى لا يربط الإسلام البربر بالأمة العربية [illegible] وفصل العقيدة عن الشريعة ـ مع أنهما ركنا الإسلام ـ وذلك حتى ينتقل البربر من اللغة البربرية ـ غير المكتوبة

والعاجزة عن تلبية حاجات العصر - إلى اللغة الفرنسية، وحتى يتقبلوا من الأعراف المحلية» إلى القانون الفرنسي، فتنقطع روابطهم مع العروبة، ومع كامل الإسلام[؟] [illegible] أصبح القانون علمانيًا، وأصبحت اللغة فرنسية، فقد تم الفصل والتفتيت.

[illegible] ولذلك فإن كل مجهوداتنا يجب أن تنصب على تعليم البربر الفرنسية، بلا واسطة لغة أخرى. لقد هيأنا سنة ١٩٢٣م للمدرسة برنامجًا فرنسيًا بربريًا له روح فرنسية كاثوليكية. وهذه خطة حسنة لوقف التعامل مع اللغة العربية على أنها لغة اتصالهم. ويمكن بسهولة كتابة البربرية بالحروف الفرنسية، كما فعلنا باللهجة القبيلية.

وإذا لم يمكن عقد الأمل على خروج البربر عن الإسلام، وتقديم لهم بديلًا؛ لأن جميع الشعوب لا تبقى بدون دين في مرحلة تطورها، فيجب أن لا نخشى من ذلك، خاصة إذا تمكنا أن نفصل بين الإسلام والاستعراب. ونفصل الدين عن القانون المدني، مثلما حدث بتركيا، تغييرات هامة سنة ١٩١٧م في قانون الأحوال الشخصية. وبذلك يمكن أن ينحصر الإسلام في الاعتقاد وحده. وعلى هذا لا يهم كثيرًا أن تصبح ديانة الشعب كله، أو أن آيات من القرآن يتلوها رجال بلغة لا يفهمونها. فالديانة الكاثوليكية تستعمل اللغة اللاتينية والإغريقية والعبرانية في قداديسها»[١].

[illegible] من الأمة، مخططة: عزلة الإسلام، وفرنسة اللغة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

للأمة. وعلى ذلك كتب [illegible]

[illegible]

[illegible] تحت حكم العادات البربرية [illegible] فلا نصيب في الشرع الإسلامي [illegible] يعرف [illegible] عرف البربري [illegible] الفرنسي من [illegible] الإسلامي؛ لأن الأمة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يخولنا اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد»

وهذه «الفكرة» الذي صاغه «الأساتذة [illegible]

[illegible]

«التعليم العام الفرنسي» في المغرب [illegible] على استبعاد اللغة العربية [illegible] على الانتقال بالبربر [illegible] حتى تتصرف بشكل يساعد على [illegible] العلاقة بين العرب والبربر [illegible] في تعليم العربية للبربر، فالعربية هي لغة الإسلام؛ لأن هذه اللغة [illegible] ومصلحتنا هي أن [illegible] الإسلام، [illegible] فيجب علينا أن نعمل لانتقال مباشر من البربرية إلى الفرنسية [illegible]»

وتوجه السلطات الاستعمارية في الرباط - «الإقامة العامة» - إلى الحكومة [illegible] مذكرة رقمها ٣٨٨٨ وإشارتها ch، وتاريخها ١٣ يونيو سنة ٢٧ [illegible] مستقلاً [illegible] يحتم [illegible] مصلحة سياسية فرنسية [illegible] شكل [illegible] البربرية في اتجاه فرنسي خالص»[3]!

---

(1) مرجع [illegible] ص ٥٧

(2) المرجع السابق ص٥٨

(3) مرجع سابق ص ٦٢

[illegible] الإسلامية [illegible]، كما تجسد هذا المخطط فى ميدان التعليم، فقد [illegible] (المرسوم) ـ البربرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ [illegible] والأحوال الشخصية ـ الأسرة ـ [illegible] من الشريعة الإسلامية[1].

لكن أصحاب هذا المخطط التفتيتى ـ الذى حرست [illegible] ومؤسساته ـ قد فاجأتهم [illegible] عرب وأمازيغ.. [illegible] فى المغرب على حد سواء!

[illegible] سنة ١٩٧٦م «الأكاديمية البربرية» [illegible] فرنسا فى جامعة [illegible] «الفرنسية» [illegible] «الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية» و«دمج العرف البربرى فى القانون الفرنسى، بدلاً من دمجه فى الشرع الإسلامى» كما قال «جورج سوردون» سنة ١٩٢٨م!!.

فجماعة «البربريزم»، الذين يحتقرون تراث العروبة والإسلام، لا يرون فى التراث البربرى [illegible] العصرى [illegible] بالإقلاع الحضارى[2] [illegible] هى الإلحاق والالتحاق بالغرب والثقافة الفرنسية..

---

(١) المرجع السابق ص٦٣

[illegible]

[illegible] الثرات العربي الإسلامي قد تم تجريده من كل مصادر [illegible] الوجود [illegible] بشكل [illegible]، وهو في أقل الأحوال سوء مجرد ديكور [illegible] حوية [illegible] وإن المحرمات التي تحققت في العهد الاستعماري والوسائل [illegible] المدى [illegible] التي [illegible] فيها مكن الثقافة الهامشية أو المتعرضة للهيمنة (مثل البربرية) من الأدوات الحاسمة لتحريرها [illegible]

[illegible] بين العرب والبربر، فالعودة [illegible] هي الإسلام..»[2]!

[illegible]

[illegible] من أصل بربري [illegible] ومع ذلك فإن تاريخي النضالي - على مدى أربعين عامًا - قد ارتبط بالوطنية المغربية والقومية العربية

لا توجد مسألة بربرية بالمعنى السياسي الحقيقي للكلمة [illegible] فالبربر مندمجون تمامًا في مجتمعهم؛ بسبب الرابطة الإسلامية وبسبب التزاوج المستمر [illegible] والمشكلة - في نظري -

---

(1) [illegible]

(2) المرجع السابق ص ٦١

هي مشكلة مصالح اقتصادية سياسية، ومشكلة ديمقراطية . فالذين يثيرون «مسألة البربرية» ـ مثلما هو الحال في الجزائر مثلاً ـ يفعلون ذلك حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية والوظيفية في جهاز الدولة والإدارة الجزائرية، وهؤلاء هم بربر منطقة القبائل الذين «تفرنسوا» لغة منذ وقت طويل، ومن ثم مكّنهم الاستعمار من شغل كثير من المواقع . . ومع استمرار موجة التعريب بات هؤلاء يشعرون بالخطر على مصالحهم، فرفعوا شعار الثقافة البربرية حيناً وشعار الثقافة الجزائرية حيناً في مواجهة التعريب والثقافة العربية . .

وفي الواقع إن من يدعو إلى ثقافة بربرية، في مواجهة الثقافة العربية ـ ينتهي موضوعياً إلى الدعوة إلى الثقافة الفرنسية، حتى عن غير قصد، فحيث إن البربرية لغة غير مكتوبة، ولا يوجد لها تراث مكتوب، فإن المناهضة للعروبة والعربية ستنتهي حتماً إلى الأخذ بإحدى اللغات العصرية الأخرى، ولما كانت الفرنسية هي الأقرب والأقوى، وهي المتاحة على أي الأحوال، فإن هؤلاء الدعاة سيأخذون بها . . ومن هنا، ليس صدفة أن فرنسا هي المشجعة الأولى والرئيسية لحركة الثقافة البربرية . . وقد كان لي ـ كبربري ـ أن أختار لغة وثقافة غير بربرية، فالعربية هي اختياري، وهي اللغة الوطنية، وهي لغة الإسلام، وهي وسيلتي إلى تراث العرب والمسلمين . . ووسيلتي إلى مستقبل قومي عربي مشترك مع بقية الشعوب العربية . »

وإذا كان إمام العروبة والإسلام ـ في [illegible] الجزائر الحديث . وهو الشيخ عبد الحميد ابن باديس (١٣٠٧ـ١٣٥٩هـ/ ١٨٨٩ـ١٩٤٠م) من أصل بربري! . . وإذا كان [illegible] [illegible] «مولود قاسم» هو الآخر من أصل [illegible] «الأستاذ أحمد بن بلة» يعبر عن موقف الجزائر [illegible] [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فلا معنى للمحافظة على البربرية بمعاداة العربية، أو محو عروبة الجزائر. والعروبة عندى - كما عند الكثيرين - هى [illegible] فنحن جميعًا - فى المغرب الكبير - أصلا من البربر، ولكن أغلبيتنا أصبحت عربًا، بحكم تبنى اللغة العربية والإسلام.

[illegible] وأن أحذر الإخوة البربر دائمًا من مغبة انزلاق المطلب البربرى إلى أحضان أجنبية [illegible]

[illegible]

[illegible] أريد تحذير المسئولين العرب فى الجزائر وغيرها من دفع أى من [illegible] فى [illegible] الوقوع فى هذه الخطيئة [illegible] وأن لا أتهم أى جزائرى فى وطنيته - سواء كان عربيًا أو بربريًا - ولكن مطالب بعض الفئات المشروعة تستغل أحيانًا بواسطة قوى أجنبية، وينطبق عليها عبارة على بن أبى طالب «حق يراد به باطل»

[illegible] العرب عددا فى الوطن العربى - ١٥,١ مليون [illegible] الاستعمارى - جزءًا من [illegible] حدث من هذا المخطط الاستعمارى على بعض [illegible] نجحت سياسة الفرنسة الاستعمارية فى [illegible] والحضارى بين البربر وبين العروبة [illegible]

[illegible]

[illegible]

• وعلى جبهة الأكراد

[illegible]

لكن سقوط الخلافة الإسلامية قد قرب به تراجع الصبغة الإسلامية للتعايش بين القوميات في دار الإسلام.. الصبغة التي رأت في التمايز القومي المؤسس على التمايز اللغوي آية من آيات الله في الاجتماع الإنساني.. وحل محل هذه الصبغة ما نبع من حركة القومية العربية.. فكر قومي مشبع بالتعصب العرقي.. وشحنت عليها نزعات عنصرية، الأمر الذي أدى لتهديد مفهوم القومية العربية.. وفتح الثغرات بين القوميتين العربية والكردية.. [illegible] النزعة العرقية العنصرية في البعث القومي!..

وكانت الثمرة الثانية التي تم بها الاختراق.. هي التجزئة والإقليمية التي أقامها الاستعمار على أنقاض صبغة الخلافة الإسلامية التي وحدت دار الإسلام رغم تعدد الأقاليم والولايات، فأقامت الحدود والسدود وحسبت أن هذه الأمة الواحدة، القوميات متعددة.. وفي حقبة الاستقلال تجسدت هذه التجزئة الاستعمارية [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] الإسلام

وكان الأكراد ضحية لهذه التجزئة.. إذ على الرغم من تواصل المنطقة التي تعيش فيها أغلبيتهم، جزأتهم هذه الإقليمية والقطرية، فألحقوا بخمس من الدول القطرية، الأمر الذي أذكى المشاعر القومية في صفوفهم، وفتح الباب للمفاهيم القومية الوافدة، ذات الطابع العرقي والعنصري..

ومن هاتين الثغرتين - اللتين صنعتهما القوى المعادية لوحدة الأمة - تسللت هذه القوى لتواصل مخطط التفتيت والتفكيك!!..

لكن التجارب المريرة التي مرت بها علاقات الأكراد بالعرب في ظل هذه العقود الأخيرة، جعلت حلول الانفصال ونزعات التشتت تتراجع، وتصبح [illegible] كما جعلت الكثيرين من [illegible] يكثرون من هذه التجارب [illegible] بهم [illegible] الحروب، [illegible] من الحروب [illegible] عطف قوى [illegible] فارتفعت أصوات العقلاء بالتأكيد على الروابط الوحدوية، ورفض النزعات [illegible] والانفصال.. وقرأت لزعيم الحزب الكردستاني مسعود البرزاني قوله: «إننا لسنا دعاة انفصال عن العراق، ولسنا أعداء للأمة العربية.. ولسنا معارضين للوحدة العربية.. إننا لن نعارض أبداً في دخول العراق في أي مشروعات وحدوية عربية [illegible] محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق سنة ١٩٦٤م [illegible] رسالة [illegible] الزعيم الراحل جمال عبد الناصر تؤكد تأييده لمشروع الوحدة، وتلقت [illegible] المطالب الكردية [illegible] في أي مشروع عربي وحدوي [illegible] كل كردي [illegible] عبد الناصر متعاطف مع آماله المشروعة.

وللأمانة.. لا يمكن أن أنفي أنه توجد بين بعض الأكراد اتجاهات عنصرية شوفينية معادية للعرب وللعروبة.. ولكن هذه العناصر محدودة جداً من الناحية العددية، وليس لها نفوذ معنوي أو سياسي.

إن الجماهير العربية تعرضت وتتعرض للقهر والاضطهاد أنفسهم.. وإن اختلفت الدرجة.. إننا كحركة تحرر وطني - نؤمن إيماناً راسخاً أن موقعنا الطبيعي والتاريخي هو مع الأمة العربية..»[1].

(١) المرجع السابق، ص٢٦٣ - ٢٦٤.

والوحدة العربية في نفس الوقت في [illegible] الكردي، فيتحدث الدكتور محمد
محمود عبد الرحمن [illegible] الحزب الشيوعي [illegible]
[illegible] الكردستاني [illegible] «إن العلاقة بين الأكراد والعرب هي علاقة تاريخية
خاصة، تضرب بجذورها إلى أكثر من ١٣٠٠ سنة من التاريخ المشترك، وإن القوميتين
العربية والكردية هما قوميتان متآخيتان. وإن [illegible] تشترك في [illegible]
[illegible] مع حركات التحرر [illegible]
في [illegible]، يجمعهما التراث المشترك في الدين والتاريخ والجوار
الجغرافي [illegible] كطريقة [illegible]
وحقوق [illegible] ويجمعهما [illegible] المستقبل [illegible] والاستقلال [illegible]
[illegible] ومن هنا كان [illegible] مع عبد الناصر [illegible] مشروعة
[illegible] مع [illegible] الشعوب العربية

[illegible] الشعبة الكردية [illegible] مع كل [illegible]
[illegible] في الوحدة العربية [illegible]

أما الدكتور محمود عثمان - وهو مثقف كردي [illegible] عضو قيادي في الحزب
الاشتراكي الكردستاني - فإنه يقول: «نحن الأكراد شعب [illegible] يرجع [illegible]
٢٧٠٠ سنة إلى الوراء، يرجع أصله إلى [illegible]، [illegible] الآرية،
ولغته هندو أوروبية، من عائلة اللغات [illegible] منذ أتى العرب المسلمون إلى وادي
الرافدين، منذ أربعة عشر قرنًا، اختلط تاريخنا وحضارتنا بتاريخهم وحضارتهم،
وربط بيننا وبينهم الدين الإسلامي [illegible] ومشكلتنا المعاصرة بدأت مع المشكلات المعاصرة
لكل شعوب وقوميات المنطقة في أواخر عهد الإمبراطورية العثمانية. [illegible] وأنا شخصيًا -
ومعظم القيادات الكردية - نؤمن بصراحة بأن تطورنا السياسي والاقتصادي والثقافي
يمكن أن يتم بشكل أفضل في إطار وحدة وطنية عراقية [illegible] وفي إطار وحدة الأمة
العربية..»[2].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٦٦

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٩، ٢٧٠

[illegible]

... مشكلات المعاصرة بدأت مع مشكلات المعاصرة لكل شعوب وقوميات ... في أواخر عهد الإمبراطورية العثمانية.

[illegible] ... والإسلامي، كانت الصيغة الإسلامية (الأمة الإسلامية) تتنوع فيها وتتمايز الشعوب والقبائل والأقوام ... [illegible]

[illegible] ... العربية ... الاستعماري ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ... الإسلامية ... [illegible]

[illegible] ... عام ٢٠٠٣م.

- **وعلى جبهة الموازنة**

[illegible] ... غربية، فهناك كاثوليك عرب ... [illegible] ... المشكلة سياسية ... [illegible]

[illegible] ... (حوالي ... [illegible]

[illegible]

للاختراق [illegible]. وذلك أن المذهب الديني في ديانة تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وتجعل مهمتها خلاص الروح، ورسالة كنيستها مملكة السماء، لا الدولة والأرض والسياسة والعمران الدنيوي. [illegible] المذهب الديني في ديانة كهذه لا يثمر للصيغة الأوروبية سياسة تتعلق بالنموذج الحضاري الغربي، والثقافة الفرنسية، وتعمل على الانسلاخ من العروبة القومية والإسلام الحضاري.[illegible]

[illegible] فيقول فيها: «نحن مقتنعون بأن هذه الأمة [illegible] (جماعة) [illegible] في جزء من الأمة العربية».

[illegible]

[illegible] التاسع عشر تعتبر التعميم [illegible] «فتحًا بواسطة اللغة» [illegible] السيطرة على الشعب، تخلق جيشًا مواليًا يتفانى في خدمة فرنسا»[illegible] [illegible] بول موفلان» Paul Mavelin [illegible] «إن تعميم [illegible] (الفرنسية) لا يعني مجرد أن تأنس ألسنتهم وآذانهم بالصوت الفرنسي، بل إنه يعني فتح عقولهم وقلوبهم على الأفكار وعلى العواطف الفرنسية حتى يجعل منهم فرنسيين من زاوية ما [illegible] إن هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة»[illegible]

[illegible]

[illegible]

البلد - بواسطة اللغة الفرنسية - التعليم، والأخلاق، والفنون المفيدة، والزراعة، فإننا سوف نسيطر على الشعب، وسيكون لفرنسا هنا - وفي كل وقت - جيش متفان»[1]

وفي مذكرة أخرى - تاريخها ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٧م - كتب القنصل «دي لنيبو» [illegible] Dr. Cattenaud [illegible] [illegible] «جعل البربرية العربية - (؟!) - تنحني لا بد أن تنحني أمام الحضارة المسيحية الفرنسية»[1]

[illegible] والإسلام الحضاري، والالتحاق بالنموذج الحضاري [illegible] المشروع الفرنسي في الوطن العربي.

[illegible] التي حدثت [illegible] من بعضها إلى وفود [illegible] الجامعة والانتماء العربي الواحد. [illegible] ٢٣ [illegible] سنة ١٩٤٤ [illegible]

إن كل مذبحة حدثت أيام العثمانيين كانت لها خلفيات سياسية، ولو جزئيًّا. فقد حاول الروس مساندة الأرمن واستغلالهم ضد السلطة، فأثاروا حفيظة الأتراك، وساندت فرنسا الموارنة، فكان موقفها عاملاً في وقوع مجازر سنة ١٨٦٠م. ومشاكل الأشوريين في العراق، التي وصلت إلى ذروتها بمذبحة سنة ١٩٣٣م، كانت - إلى حد ما - نتيجة تعنت الأشوريين، وخاصة مار شمعون - لقد اتخذ الأشوريون هذا الموقف معتقدين أنها في النهاية ستجر إلى التدخل وإلى بسط حمايتها عليهم. وفي فلسطين حدثت مجزرة الخليل سنة ١٩٢٩م وغيرها من مجازر بسبب العامل الخارجي: إن

[illegible]

الاضطهاد الدموي غريب عن تاريخ السوريين، من الممكن أن يحصل فيه بعض التمييز والاضطهاد. إلا أن المجازر الكبرى كانت دائمًا حصيلة التدخل الخارجي».

[illegible] يكن هناك اضطهاد [illegible] لثورات الطوائف [illegible] [١٩٢٤ـ١٩٩٥م] عن توجه [illegible] فإن المأزق السياسي والحضاري للموارنة هو أنهم لا يرون العرب المسلمين داخل وخارج لبنان على صورة الغرب الكاثوليكي. وما لم يتم مسخ العرب المسلمين ليطابقوا صورة العرب المسيحي فهم غير مقبولين تمامًا من الموارنة. ولما كان مسخ العرب المسلمين على هذه الصورة يكاد يكون مستحيلاً، فسيظل الموارنة على موقفهم. وهذا المأزق الحضاري السياسي تحول خلال الحرب الأهلية إلى مأزق سياسي عسكري. وقد حاولوا الخروج من المأزق بالتحالف مع الشيطان، أي إسرائيل»[٢]!..

[illegible] في الكيان الموحد للأمة [illegible] دور [illegible] آثارها عند طرف واحد من الأطراف!

- **وعلى جبهة الأقباط الأرثوذكس**

[illegible] وتعددت سبله ووسائله.. فالأقباط [illegible] لطوائف النصرانية [illegible]

[illegible]

[illegible]

على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١م). [illegible]

[illegible]

[illegible]

الأمة العربية والحضارة الإسلامية . . . [illegible]

مختلف المبادين إبان احتلاله لمصر (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦م).

وفي المخطط الصهيوني [illegible] على تفتيت مصر من ثغرة الطائفية الدينية، رغم التسليم بتلاحم شعبها و[illegible] قوميًا وحضاريًا.. ففي مشروع "برنارد لويس" [illegible] تقسيم مصر [illegible] [illegible] وفي استراتيجية إسرائيل في [illegible] [illegible] في صعيد مصر [illegible] كما هو الوضع الآن [illegible] الباقون..!!

ولم تقف هذه المخططات عند «العمل الخارجي».. وإنما [illegible] [illegible] أمريكا وكندا وأستراليا [illegible]

ورأينا مراكز أبحاث ودراسات تحترف تسليط كل الأضواء على «هموم الأقليات» وكأن هذه الهموم خاصة بهذه «الأقليات»!.. [illegible] أرقام أعداد هذه "الأقليات" [illegible] [illegible] حجم «الأقليات» وحجم «همومها» بأن تعقدت أمور وحدة الأمة [illegible] على الاختيار [illegible] [illegible] لا مقاصد التفتيت..

[illegible] الدكتور سعد الدين إبراهيم نشر في سنة ١٩٨٨م كتابه (المجتمع والدولة في الوطن العربي).. وقدم فيه إحصاءات عن «الأقليات»، فلما نشر [illegible] (الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي) أوائل [illegible] [illegible] قفزت تقديراته لأعداد هذه «الأقليات» [illegible] [illegible] وذلك رغم أن مصادر إحصاءاته في كتابه [illegible] المدهش أن أحدث مصادره في هذه [illegible]
[illegible]
[illegible]
١٩٩٠م!!؟.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فرنسي، هو فيليب [illegible]
[illegible] توظيف المعلومات و[illegible]
[illegible]
النظر عن النوايا والمقاصد، التي لا نعلم حقيقتها إلا الله.

* والمسيحيون العرب - بكل طوائفهم - عند الدكتور سعد الدين إبراهيم - في سنة ١٩٨٨م - تعدادهم ٧,٨٠٠,٠٠٠ وهو يقفز بهم أوائل التسعينيات - أي بعد عام أو عامين - إلى ١٢,٠٠٠,٠٠٠!؟. بينما نجدهم في (أطلس معلومات العالم العربي) - في سنة ١٩٩٤م - ٧,٠٠٠,٠٠٠ فقط؟!

* والأقليات اللغوية (القومية) في الوطن العربي، هي عند الدكتور سعد - في سنة ١٩٨٨م - ٢٠,٠٥٠,٠٠٠ وهو يقفز بها أوائل التسعينيات - أي بعد عام أو عامين - إلى ٢٩,٧٢٥,٠٠٠!؟ بينما نجدها في (أطلس معلومات العالم العربي) - في سنة ١٩٩٤م - ٢٣,٧٠٠,٠٠٠ فقط لا غير!؟

ولنتتبع لهذه الفوضى الإحصائية يجد الدكتور سعد الدين إبراهيم يضيف [illegible]

«الأقليات» في الوطن العربي - وفق تقديراته الجزافية - ٠٠٠, ٠٦٥, ١٤ أي قرابة الـ ٢٩٪ من مجموعها؟![1]

※ [illegible]

[illegible] «الأقليات» في ضوء «الحقائق» التي تقول:

(أ) إن مقابلة «الزنجية» - مثلاً - بالعروبة والعربية فيها وهم كبير فالعروبة جامع موحد، بينما «الزنجية» هي على الأقل تسع عشرة مجموعة عرقية! والعربية جامع موحِّد.. بينما الزنوج - في جنوب السودان - يتحدثون حوالي مئة لهجة! وأغلب الزنوج يتحدثون العربية، أو إحدى لهجاتها، أو يستخدمون في لهجاتهم الكثير من الكلمات العربية..

(ب) وإن مقابلة «الوثنية الزنجية» بـ «الإسلام» فيها وهم كبير فالإسلام جامع موحِّد.. بينما الوثنية الزنجية أخلاط متعددة من العقائد الأرواحية.. كما أن نسبة الذين اعتنقوا الإسلام من الزنوج تزيد على ١٨٪ ونسبة المسيحيين منهم تبلغ ١٥٪!

(ج) وإن مقابلة الأمازيغية بالعربية فيها خداع كبير.. فالبربرية لهجات عديدة، وشفاهية غير مكتوبة.. وليس في البربر من لا يتكلم العربية على نحو من.. فهي لغة الدين الذي به يتدينون، والقرآن الذي له يقدسون، ولآياته يحفظون وبه يصلون.. ومنهم العلماء والأدباء والشعراء والمثقفون في العربية.. بل وأبرز دعاة التعريب!..

(د) وإن مقابلة الكردية بالعربية فيها خداع كبير.. فالكردية وإن كتبت فأبجديتها عربية.. وليس بين الأكراد من لا يتحدث العربية؛ لأنها لغة القرآن والدين والتراث الذي به يؤمنون وإليه ينتمون.. ولأعلامهم وعلمائهم في تراث العربية الإسهامات والإبداعات..

(هـ) وإن مقابلة المصرية بالإسلام فيها وهم كبير.. فالخلاف الإسلام مع المصرية ليس في الشريعة، التي تمثل مرجعية الأمة والحضارة والقومية والاجتماع والتراث

(١) قارن [illegible]

٨٥ [illegible] ١٩٩٤م

وسمات لا تدمج وتبور الأمة ووحدتها.. لأن النصرانية لا تقدم بديلاً للإسلام فى مرجعية النظم والتدابير الدنيوية وصياغة القسمات الموحدة للأمة، والجامعة لقوميتها، والمكونة لهويتها.. وليس بين الإسلام والنصرانية خلاف فى منظومة القيم الحاكمة لأخلاق الأمة وسلوك المؤمنين بهما.. وليس بين الإسلام والنصرانية خلاف فى سمات وقسمات القومية العربية.. وخلاف الشريعتين لا يتعدى جزئية للاهوت الخاصة بالتثليث، وهى التى لا دخل لها فى مكونات الاجتماع المشترك بين أبناء الأمة العربية، المتدينين بالنصرانية والإسلام.

وهكذا.. إذا نظرنا إلى «حجم وعدد» «الأقليات»، فى ضوء هذه «الحقائق»، ظهر «وزن التميّز» الذى تمثله «الفروق» فى مقابل «الجوامع الموحِّدة» التى تجمع الأمة وتوحدها، وتميزها كأمة واحدة..

[illegible]

فهو التنوع فى إطار [illegible] ولا تشرذم ولا التفكك!

وهذا منهج لا تصلح للأرقام قلّت أو كثرت تأثيرات على وحدة الأمة.. لكن تزييفها -بالمبالغة فيها- له انطباعات سلبية، إذا هو وُظِّف فى إطار مخطط التفتيت!..

[illegible]

يمكن أن يخلق [illegible] وطنيًا حديثًا مكافئًا [illegible] لدى كل [illegible] فى الإمبراطورية الإسلامية السالفة»[1]!

---

(١) د. سعد الدين إبراهيم [illegible]

[illegible]

[illegible] بيكو سنة ١٩١٦م [illegible]

[illegible]

[illegible] المخططات الخارجية [illegible]

والمجتمعات [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) المرجع السابق ص ٣٣

(٢) د. [illegible] ص ٣٣ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ويعتبر مجرد تخريب [illegible] عملاً [illegible]
[illegible]
ويوجهها نحو المطالبة بالاستقلال»[1].

[illegible]

[illegible]
منذ سنة ١٩٧١م وعلى صوته [illegible]
لصهيوني الأمريكي والمحا[illegible]
ذلك، قد أصبحت أمام تيار انعزالي [illegible]
[illegible]

وأخيراً [illegible] الرافدين سنة ٢٠٠٣م..[1]

* * *

لكن.. ولحسن الحظ فإن هذه الأصوات التي [illegible] .. أما التي رشحت على توجهات [illegible] وتشاركه [illegible] جمهور أبناء الملل والأقوام والمذاهب على وعي بحقائق الجوامع الموحِّدة للأمة، [illegible].

وإذا كان اللورد «كرومر» (١٨٤١-١٩١٧م) قد [illegible] شرقي، قد [illegible] الحضارة الإسلامية [illegible] الأحلافي [illegible] (١٣٢١-١٤٠٩هـ/ ١٩٠[illegible]-١٩٨٩م) قد رأى هذا الجامع الحضاري [illegible] فكتب يقول: «لا يوجد عربي غير مسلم.. فالإسلام هو تاريخنا، وهو بطولاتنا وهو لغتنا، وفلسفتنا ونظرتنا إلى الكون.. إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وبهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم، إذا كان هذا العربي صادق العروبة، وإذا كان متجرداً من الأهواء، ومتحرراً من المصالح الذاتية.. وإن المسيحيين العرب - عندما تستيقظ فيهم قوميتهم - سوف يعرفون بأن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها ويحرصوا عليها حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم.. ولئن كان عجبي شديداً للمسلم الذي لا يحب العرب، فعجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام»[2]!..

والزعيم الوطني القبطي البارز «مكرم عبيد» (١٣٠٧-١٣٨٠هـ/ ١٨٨٩-١٩٦١م) هو القائل: «نحن مسلمون وطناً.. ونصارى ديناً، اللهم اجعلنا نحن

---

(1) [illegible] [الأقباط عبر التاريخ] ص ١٨٤، ١٨٥ طبعة [illegible] [عن الكنيسة والدولة والفتح الإسلامي لمصر] - مجلة [illegible] ٣٩ - صيف سنة ٢٠٠٧م

(2) (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص٩٣

(3) [illegible] ج٣ ص٣٣ [illegible]

المسلمين لك، وللوطن أنصارًا، واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين»[1]

و [illegible] الأقباط الأرثوذكس «شنودة الثالث» هو القائل في [illegible] في [illegible] [illegible] الأقباط في ظل حكم الشريعة الإسلامية يكونون [illegible] أكثر أمنًا، ولقد كانوا كذلك في الماضي، حينما كان حكم الشريعة هو السائد [illegible] إلى أن نعيش في ظل «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» [illegible] مصر تجلب القوانين من [illegible] وبصفتها [illegible] ونحن ليس عندنا في الإسلام قوانين مفصلة. فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة، ولا نرضى بقوانين الإسلام؟»[2]

و [illegible] الكاثوليكي [illegible] يقول: «أوافق تمامًا على أن أكون مصريًا ... مسيحيًا، تحت حضارة إسلامية.. بل أنا مسلم ثقافة مائة في المائة.. أنا عضو في الحضارة الإسلامية كما تعلمتها في الجامعة المصرية... تعلمت أن النبي ﷺ سمح لمسيحيي اليمن أن يصلوا صلاة الفصح في مسجد المدينة.. فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة... التي تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحي... والتي تعلي من قيمة الإنسان كخليفة عن الله في الأرض.. فكلنا مسلمون حضارة وثقافة... وإنه ليشرفني، وأفتخر أنني مسيحي عربي، أعيش في حضارة إسلامية... وفي بلد إسلامي... وأساهم وأسهم - مع جميع المواطنين - هذه الحضارة الرائعة..»[3]

والدكتور غالي شكري [illegible] هو يقول: «إن الحضارة الإسلامية هي الانتماء الأساسي لأقباط مصر.. وعلى الشباب القبطي أن يدرك جيدًا

---

(1) د. محمد عمارة (الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين) ص٢٠٢، ٢٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٤١٣هـ/ سنة ١٩٩٢م. وطبعة مكتبة [illegible] الدولية سنة ٢٠٠٧م. وصحيفة [illegible] عدد ٢١ يناير سنة ١٩٩٣م.

(2) صحيفة (الأهرام) [illegible]

(3) [illegible]

أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هي حضارتنا الأساسية بل الشيء الأساسي لكونه [illegible] صحيح أن لدينا حضارات عديدة من الفرعونية إلى النوبة، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات، وأصبحت هي الشيء الأساسي، و[illegible] تسامح [illegible] الكثيرون من مصر إلى الإسلام الحضاري والثقافي، وبدون هذا [illegible] تصبح في ضياع مطلق وهذا [illegible] لا يتعارض مطلقاً مع العقيدة الدينية [illegible] لأن الإسلام وحد العرب، وكان عاملاً توحيدياً للشعوب والقبائل [illegible]

هكذا [illegible]

[illegible]

[illegible] نحن كأقباط لا نشعر أننا أقلية، لأنه [illegible] فرق عرقي [illegible] لأننا مصريون، ونحن [illegible] كما قلت، يعني أنه يجري في دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعل [illegible] طبعاً [illegible] الأقوى والأوضح وحدة عرقية، ولا نشعر نحن الأقباط [illegible] أقلية [illegible] نحن أقلية عددية فقط، ولكن هذا لا يجعلنا نشعر أن هناك [illegible] مسلمين من حيث الهوية العربية، نحن مصريون عرقاً، ولكن الثقافة الإسلامية هي السائدة الآن، كانت الثقافة القبطية هي السائدة قبل دخول الإسلام، والأقباط تأثروا بالكثير من حديثه [illegible] الإسلامية، تحدثت بها [illegible] ودون شعور بأنها دخيلة، بل هي جزء من مكوناته [illegible] نحن [illegible] لأنها هويتنا الثقافية، ومقتنعون [illegible] بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية، بالإضافة لوحدة مصير مشترك [illegible] والعلاقة بين [illegible] والعروبة علاقة [illegible] [illegible]

[illegible]

في عهد الوالي العثماني ومجيء محمد علي، وكان جرجس الجوهري أحد قادة الأقباط، وكذلك إبراهيم الجوهري أخوه، وكثير من الأقباط عملوا وشاركوا بشكل واضح في الحياة السياسية في عهد محمد علي. [illegible] والأقباط دورهم بعد الثورة سنة ١٩٥٢م تقلص كغيره من تقلص الشعور في المشاركة بمصر، كانت هناك سلبية شاملة. [illegible] وأنا أعتقد أن الأقباط جزء هام من نسيج الحياة المصرية، لقد نجح المسيحيون في الحياة العملية [illegible] فهم أطباء وصيادلة ومهندسون، وغيرهم من المهن، ومستواهم أيضاً في رجال الأعمال مرتفعة أكثر من مستواهم العددية في مصر

نحن نرفض المسيحية السياسية [illegible] لأن المسيح قال: «مملكتي ليست من هذا العالم» ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية، كما حدث في العصور الوسطى أيام كان الباباوات هم الذين يدشنون الأمبراطور وينصبونه، هذه هي المسيحية السياسية التي نرفضها، لأنها تختلف عن المسيحية [illegible] مصر دائماً دولة مسلمة ومتدينة ولكن بدون تطرف، ولو عشنا كمسلمين وأقباط في إطار الصحوة الدينية المصحوبة بصحوة وطنية فسيكون المستقبل أكثر من مشرق.

نحن في مصر نسيج واحد، ومصيرنا واحد، وهذه حماية لمستقبل [illegible] الأقباط ونحن [illegible]. ويستحيل أن تنقسم مصر [illegible] وتقسيم مصر فكرة مستحيلة، وغير مسموحة، ولو فكرنا في ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة، وبعد: كيف أقيم في أسيوط وأترك أديرة وادي النطرون؟ أو العكس؟ [illegible] هذه فكرة عبثية [illegible] هذه فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر [illegible] وعندما شاهدت ما يحدث في العراق قلت نجحت الصهيونية، وأصبح العراق ثلاث دول [illegible] فهذه الفكرة صهيونية [illegible]»(1).

وعبر هذه الشهادة التاريخية التي [illegible] الوعي بوحدة الأمة، في مواجهة مخططات التفتيت [illegible] حتى في إطار الدولة العثمانية لم يورد الأقباط كأقلية، ولم تطلق عليهم قضية «ملة»، مقارنة بكل الأقليات

---

(1) الليل والنهار [illegible]

فى الدول التابعة حينذاك للدولة العثمانية ... والخبرة التاريخية للأقباط تجعلهم أيضًا ليسوا بأقلية دينية تعزلهم عصبيتهم عن مجمل الحياة العامة والمجتمع، ولأنهم ينخرطون فى الحياة اليومية بمنطق الوطنى العام وليس بالموقف الدينى، والكنيسة القبطية لم تحقق تاريخيًا فكرة الجماعة الخاصة.. وتنظيماتها كنسية للرعاية الروحية، وليست للحياة العامة ... فأزمة الأقباط إذن هى أزمة المجتمع المصرى، التى تنعكس على كل من المسلم والقبطى على السواء»[1].

فالهموم واحدة [illegible] علاقات الملل وتطورها [illegible] «الاستعمار» والاختراق [illegible]

والمحامى القبطى [illegible]: «لا توجد حضارة قبطية؛ لأن الحضارة - إن شئت أن ندركها - مظهرين (مادى ومعنوى) والذى يبقى دائمًا هو المعنوى (أدب، تاريخ، فلسفة) وهذا ما نستطيع أن نقول إنه ليس هناك أدب قبطى، ولا فلسفة قبطية، ولا نظم سياسية قبطية، هناك تأثير روحانى يونانى، أما اللغة القبطية فهى خليط من ذلك، بالإضافة إلى تأثيرها بالعادات الفرعونية، مثلا: ٢٧ كيهك - وهو الذى يقابل ٧ يناير - هو عيد ميلاد «حورس»، والمسيح لم يولد فى ذلك التاريخ، كذلك فشكل «عمارة الكنيسة المصرية» هو شكل المعبد الفرعونى، ومن ثم فليس هناك حضارة قبطية، والمسيحية المصرية مسيحية محلية، على عكس الإسلام المصرى فلديه بُعْدٌ عالمى..»[2]!.

أما المفكر اليسارى القبطى «أبو سيف يوسف» صاحب كتاب (الأقباط والقومية العربية) فإنه يقول: «لقد ساد علاقات الأقباط بالعرب، والمسلمين بالمسيحيين الاحترام والتعاون، حتى إن الوعظ فى الكنيسة تحول من اللغة اليونانية (التى ظلت تستعمل كلغة للدولة أيضًا من عهد البطالمة إلى عهد البيزنطيين، أى حوالى ألف سنة) إلى اللغة العربية ... الجماعة الإنسانية المصرية واحدة، تتكلم اللغة نفسها، ولها ثقافة عامة مشتركة ... وتشكل فى النهاية، كيانًا اجتماعيًا واحدًا..»[3].

---

(١) [illegible] ص [illegible]

(٢) [illegible] ص ٥٣٨

(٣) (الأقباط بين العروبة والإسلام) ص ٩١ - ٩٣

[illegible] وفي الإسلام كحضارة [illegible]

قضية وصية . . وإنما كانت بدائل شرقية لتهز استعمارى [illegible]

محل اللغة اليونانية - وليس محل لغة [illegible]

العربية الإسلامية حلت محل الحضارة الإ[illegible]

[illegible] الشرق كان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١٣٠٣ - ١٣٩٠هـ

١٨٩٥ - ١٩٧١م): [illegible]

فتاريخ الجميع مشترك والكل تضافروا على [illegible]

[illegible]

[illegible]

• وأخيراً .. الاجتهاد الخاطئ في قراءة الواقع والتاريخ

[illegible]

[illegible]

رمضان سنة ١٣٩٣هـ/ أكتوبر سنة ١٩٧٣م في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

■ [illegible]

■ والقدس الشريف [illegible]

■ والأزهر الشريف.. تحول يوماً إلى [illegible]

في تاريخ عابر.. [illegible]

■ والجزائر [illegible]

[illegible]

[illegible] السامعين لتغيير الواقع البائس والظالم وبين [illegible] به والمستمعين له هو الأمل والرجاء، يتعلق به قوم، ويفتقر إليه ويفرط فيه آخرون. [illegible] ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤]

[illegible] الأمر والتدافع بين [illegible] ... من كتاب الصحف [illegible]

[illegible] ... أصحابها تشريح على النحو [illegible] ... ويجعل من هذه التجربة الأمر [illegible]

[illegible]

[illegible] ... في التوحيد...

[illegible] الصحراء العربية [illegible]

[illegible]

[illegible] العرب [illegible]

[illegible] الاجتهاد الخاطئ في [illegible] هذه الأمة وبين الوحدة. [illegible] العمل في ميدان الوحدة العربية.

ذلك هو الاجتهاد الخاطئ الذي [illegible] إلى سلاح في يد أعدائها، الذين [illegible]

[illegible]

إن هناك قطيعة مكتبية داخلية بعيدة الأثر بين الأقطار والمناطق والأقاليم العربية، لم يُلتفت إليها علمياً وقومياً في الوعي العربي بدرجة كافية، ولم تُدرس آثارها الخطيرة في طبيعة المجتمع العربي في تشكيله الموحد، وفي الحضارة العربية الإسلامية في امتدادها وتواصلها، وفي الكيان السياسي العربي قديماً وحديثاً في تأرجحه المستمر بين الوحدة والتجزؤ.

إن هذه الفصيلة المكانية تتمثل في دور الفراغات والفواصل والحواجز الصحراوية الشاسعة الممتدة بين معظم الأقطار العربية في تقطيع وتجزئة المنطقة العربية عمرانيًا وسكانيًا، وبالتالي مجتمعيًا وسياسيًا، في الماضي، وإلى الحاضر. [illegible] خريطة التجزئة السياسية العربية على امتداد الوطن العربي كما خلقت الصحراء هي عامل التجزئة الأول والأكبر قبل الاستعمار وغيره من عوامل التجزئة. إن الصحراء هي العامل الانفصالي الأقوى في الحياة العربية، ولا يوجد بلد عربي غير صحراوي (عدا لبنان) [illegible] إن الفراغات الصحراوية قد منعت نشوء ونضج حياة عضوية لمجتمع موحد ولدولة موحدة ثابتة، متواصلة من القدم إلى اليوم.. إنها معوقات ناجمة أصلاً عن الطبيعة الجغرافية!

[illegible] ومعوقات ناجمة أصلا عن الطبيعة [illegible] العرب على امتداد تاريخهم [illegible] موحدة، فواقعنا الصحراوي يحول بيننا وبين الوحدة. [illegible] الجغرافية.. والسكانية.. والمجتمعية.. والسياسية»!..

ونحن [illegible] إن هذه الصحراء العربية لم تحل دون ظهور الأمة وقيام الدولة، عندما ظهر الإسلام - والعرب كما يقولون بداة - وكانت هذه الصحراء يومها مفازات مهلكة، ورمالا جبالا لا تُعبر ومجهولا لا تُحكى عنه إلا أساطير الجن وأودية الشياطين. ومع كل ذلك، توحد الإسلام في عقيدة وشريعة وأمة وحضارة ودولة ودار، أزالت القوى العظمى يومئذ الفرس والروم - وفتحت - فتح تحرير - في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الرومان - سادة العالم الأوروبي - في ثمانية قرون، وحولت خط سير التمدن، وموطن قيادته، وغيرت مجرى التاريخ..

كل هذا حدث، والصحراء على ذلك النحو القديم

فهل تحول الصحراء اليوم، بعد أن تغلبت عليها آلات ووسائل المواصلات المتقدمة من التوطن والاستقرار والتحضر، وبعد أن غادر حياة الارتحال وراء الماء والمرعى [illegible] وبعد

[illegible]

أن ربطته [illegible] حضري [illegible] لا تتصل بكل [illegible]
بحو صر العرب و [illegible] فأصبح يعيش أحداث [illegible] مختلفة [illegible]
والتنافر والتشاكس والأنفصال [illegible]
حتى تفتت [illegible] إلى [illegible] دون وحدة الأمة [illegible]
العصري عن [illegible]
أربعة عشر قرناً؟!..

ثم، ما دلالة أن يأتي الحديث عن [illegible]
من وحدة العرب كلهم، ومن [illegible]
عن [illegible] العربي [illegible]
«الكوكبة» و«العبيد»، حتى لا [illegible] الشعبية و [illegible]
والحضارية..؟!

فهل [illegible] دون [illegible] العرب [illegible]
و [illegible]
وتوحيدهم جميعاً حول مركز عربي واحد؟!..

وهل [illegible] دون [illegible]
العروبة كنسيج اجتماعي واحد، وأمة واحدة، ودولة [illegible]
الشعوب والقبائل والولايات والأقاليم؟!..

ثم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
٥ إلى ١٥ [illegible]

ولكن [illegible]
[illegible]

( ) (أطلس معلومات العالم العربي) ص ٧٤

[illegible]

عضوى لمجتمع موحد وللدولة موحدة؟!.

[illegible]

عضوى أفضل عما هى عليه فى غير لبنان؟!.

إنه اجتهاد خاص فى قراءة الواقع [illegible]

وذلك حتى لا تهدم القاعدة النظرية [illegible]

[illegible] وحدة الأمة [illegible]

[illegible]

ولقد طبق الدكتور الأنصارى هذه الأحكام العربية على [illegible]

[illegible] مفسرة لبعض نصوص ابن خلدون [illegible]

[illegible]

[illegible] عن سياسة الملك والدولة، يقول الدكتور الأنصارى

[illegible]

[illegible]

[illegible]
حذق في قمة الملك والدولة وسياسة العمران [illegible]

[illegible]
والسياسة.. فكان هذا الحكم العام القاسي والغريب!..

لقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً جعل عنوانه (فصل في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك) لكنه قبل هذا الفصل مباشرة عقد فصلاً آخر جعل عنوانه (فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة).

ولو أن قارئاً وقف فقط عند عنواني هذين الفصلين لأدرك أن هناك عرباً يحكم عليهم ابن خلدون بأنهم أبعد الأمم عن سياسة الملك.. وهناك عرب يحسنون الملك والسياسة، لكن إذا كان لهم حظ من الدين.. وعندما يقرأ القارئ ما تحت عنواني الفصلين، سيجد فكر ابن خلدون شديد الوضوح في التمييز بين العرب في طور التوحش والإبعاد في البداوة، قبل التدين بالإسلام، أو عند الانسلاخ عن جوهره وبينهم عندما جعلهم الإسلام سادة الفتوحات وأساتذة الدول والسياسات..

فعرب البداوة المتوحشة عند ابن خلدون [illegible]
[illegible]
القفار [illegible]
[illegible]
[illegible] ويخربونها عليه ويعدّونه لذلك [illegible]
[illegible]

[illegible] تختلف الأيدي على الرعية في الجباية، [illegible]
بعمران...»!

[illegible]
كأمة عبر العصور والقرون؟!.

[illegible] »[1]!

هذه الأوصاف خاصة [illegible] الأعراب موغلة في توحش [illegible]، [illegible] لا
[illegible] الإبل وحدها، فتوغل في القفر، ولا [illegible] أو [illegible] مادة للعيش

[illegible]
الأمصار؟!

(١) (المقدمة) ص ٩٦، ٩٧، ١١٨، ١٢٠ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ

يرى ابن خلدون أن الدين هو طريق العرب إلى البراعة في الملك والدولة والسياسة، وأنهم عندما تخلوا عن الإسلام حتى لم يكن لأحد من خلفائهم ما كان لهم من الملك، فقدوا شروط براعتهم في الدولة والسياسة، وبدأوا يعودون للبداوة والتوحش.. فيقول:

«وإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى، لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق..».

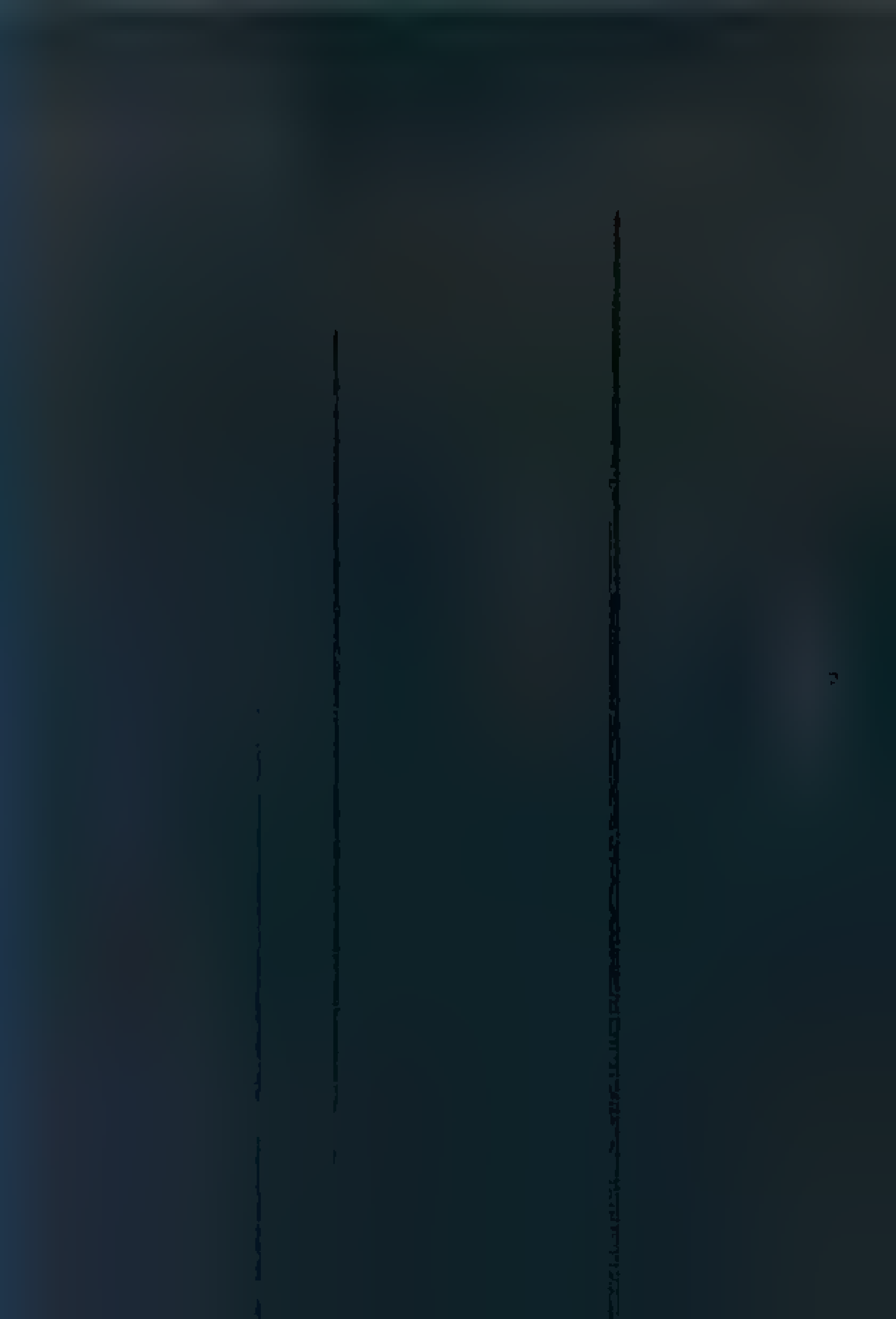
[illegible]
الملك وسياسة المجتمعات ـ بعد أن كان المتوغلون منهم في التوحش أبعد الناس عن
[illegible]

«واعتبر ذلك بدولتهم في الملة الإسلامية ـ لما شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا، وتتابع فيها الخلفاء، عظم حينئذ ملكهم وقوي سلطانهم، ... فلما ذهب الدين نسوا السياسة فتغلب عليهم العجم، ورجعوا كما كانوا لا يعرفون الملك ولا سياسته، بل قد يجهلون أنهم كان لهم ملك في القديم، وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخليقة ما كان لأجيالهم من المُلْك..»[1]

فكيف غابت هذه النصوص جميعها عن الدكتور الأنصاري.. وهي في الصفحات ذاتها التي نقل منها حديث ابن خلدون عن بعد العرب عن سياسة الملك.. بعد أن جرده من سياقه.. كما رأينا ـ؟!.

[illegible]
على العرب بالعجز عن المدافعة والممانعة عن حواضرهم [illegible]

(١) المصدر السابق ص١١٩ ـ ١٢١



[illegible]

[illegible]

[illegible] خلدون مرة أخرى، عندما يقول:

«[illegible] تشخيص ابن خلدون [illegible] في [illegible] ومدى عجز المجتمع الأهلي الحضري العربي، وعجز الحواضر ومناطق العمران العربية عن حكم نفسها بنفسها وتوفير المدافع الذاتي عن وجودها، بحيث أصبحوا عيالاً على غيرهم في المدافعة والممانعة [illegible] فقد ألقوا السلاح، وتوكلت على الدولة منهم الأجيال حتى صار ذلك خُلُقًا يتنزل منزلة الطبيعة» (وهذا التعبير الخلدوني اللاذع خليق بأن [illegible] ليصور واقع النخبة العربية في عصرنا، حيث ما زالت التكوينات العربية المعاصرة عيالاً على غيرها في الاستراتيجية والتقنية (التكنولوجيا) والاقتصاد، مما يشير إلى السلبية الحضرية في التاريخ قديمًا من ظاهرة الامبريالية والاستعمار[1]».

وهذا التشخيص الذي ينسبه الدكتور الأنصاري إلى ابن خلدون، يضيف إليه «عاهة مزمنة» ثالثة، هي في رأيه من المعوقات الطبيعية التي تحول بين العرب وبين الوحدة، [illegible] والسياسة [illegible] والدولة [illegible] والاستقلال عن الآخرين!

فللصحراء علاقة طبيعية جغرافية، مانعة من تكوين النسيج الاجتماعي العربي، ومن ثم المجتمع والدولة والأمة..

والبداوة [illegible] العربية، تحول العرب بعد [illegible] عن ممارسة السلطة وبناء الدولة

و[illegible] عجز عربي عن حماية الحواضر والمجتمعات الأهلية والحضرية، بجعل التبعية للأجنبي ضربة لازب!..

ومشكلة الدكتور الأنصاري مع هذا الذي ينسبه إلى ابن خلدون - من عجز العرب المتحضرين عن حماية حواضرهم - كامنة في عدم إدراكه مراد ابن خلدون لمصطلح «الحضارة» و«التحضر» [illegible]. فما نسميه اليوم «الحضارة» هو «العمران» في مصطلح ابن خلدون [illegible] أما «الحضارة» عنده فهي الترف والرفه والاستهلاك الزائد على الإنتاج،

(١) (التكوين العربي السياسي ومغزى الدولة القطرية) ص ٢٠، ٥١.

والعزوف عن العمل المنتج [illegible] أي النعومة والرخاوة [illegible] حتى إنه يسمى هذه «الحضارة» سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة» [illegible] فهي غير «العمران»، بل إنها مرحلة تراجع العمران [illegible] وذلك فإن العرب [illegible] وكل أمة عندما يدخلون طور الترف والرخاوة والوداعة والنعومة لا بد وأن يصابوا بالعجز عن حماية أوطانهم وحواضرهم ومجتمعاتهم [illegible] هذا هو المفهوم للحضارة الذي لم يدركه الدكتور الأنصاري عندما قرأ ابن خلدون! ولو أنه تأمل تعريف ابن خلدون للحضارة، بأنها «أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران [illegible] هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة [illegible] وذلك إنما يجيء من قبل الدولة، لأنها تجمع أموال الرعية وتنفقها في بطانتها ورجالها [illegible] فيكون ذلك بسط الأموال من الرعايا وخراجها في أهل الدولة، ثم فيمن تعلق بهم [illegible] إن الحضارة هي نهاية العمران، وخروجه إلى الفساد، ونهاية الشر، والبعد عن الخير»(1).

[illegible] ابن خلدون يتحدث عن عجز العرب «المترفين» وليس عن عجز العرب «المتحضرين» بالمفهوم المعاصر للحضارة والتحضر [illegible] يتحدث عن عجز المجتمعات «الشر والفساد» وليس عن عجز المجتمع [illegible] هذه الحقيقة وضوحًا نص ابن خلدون الذي يقول فيه: «فأهل الحضر ـ (أي الترف.. عنده) ـ قد ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدَّعَة وانغمسوا في النعيم والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم»(2) بينما أهل الخشونة ليسوا كذلك «فإذا كانت الأمة وحشية كان ملكها أوسع، وذلك لأنهم أقدر على التغلب والاستبداد»(3).

ولو أن الدكتور الأنصاري تأمل تاريخنا، [illegible] الفتوحات ـ قبل مرحلة الترف ـ وكيف دافعوا عن الدولة في مواجهة [illegible] [illegible]

(1) (المقدمة) ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣، ٢٩٥، ٩٨.

(2) المصدر السابق ص ٩٩.

(3) المصدر السابق ص ١١٥.

أوقف [illegible] العلماء والزهاد، بل وعدد غير [illegible]

قليل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من الشهداء في ملحمة المقاومة والمدافعة عن

الأرض والعرض والهوية.. إلخ.. إلخ.. لو تأمل الدكتور الأنصاري [illegible]

[illegible]

[illegible]

والاستعمار!..

[illegible]

[illegible] عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه،

فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خُلُقًا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة،

واعتبر ذلك في الآدميين تجده صحيحًا"[1]

فإذا كان العرب كانوا أقرب الناس [illegible] والدولة والسياسة و[illegible]، وحماية

الممالك، ومدافعة الغزاة [illegible] البداوة والتوحش، فابتعدوا

عن الدولة والملك والسياسة

ولما كان الترف وحقيقة الدين ضدين لا يجتمعان؛ لأن الدين صلاح وصلاح،

بينما الترف فساد وإفساد [illegible]

عليها [illegible] من أهل الترف [illegible] من أي أمة

أو قبيل.. هم أعجز الناس عن حماية الأرض والعرض والملك والدولة والسلطان

قديما كانوا أم في العصر الحديث!..

[illegible]

مرحلة التي قال بها - من الصحراء [illegible] إلى البداوة.. إلى العجز عن حماية الديار!.

---

(١) المصدر السابق ص٩٩

فالذي خلق «الدولة السياسية» المشككة في وجود الأمة العربية، والتي تستبدل الرابط «العربي - العربي» بالرابط «العربي - الإسلامي»، ليس الصحراء، وليست البداوة، فليس في تاريخ الصحراء ولا البداوة! وإنما الذي خلق أمراض التشرذم والتجزئة والطائفية «المحصورون» الذين لم يعرفوا البداوة، ولا عاشوا في البداوة!

والذي وضع القبائل القاطنة على حدود مصر والسودان خطًا للتجزئة وتقطيع الأوصال - هو خط العرض - ليس البداوة، ولا تأثيرات الصحراء... فروابط هذه القبائل هي عامل الوصل بين مصر والسودان، قبل تخطيط الحدود وبعده... لكن الذين خططوا الحدود ورسموا الخرائط التجزيئية لا علاقة لهم بحياة البداوة أو سكنى الصحراء وثقافتها!...

وقبائل «أولاد علي» - البدو، القاطنون في الصحراء الغربية - لا تفرق بين مصر وليبيا، فكلتاهما عندهم. وطن العروبة، ودار الإسلام... بينما الذين قطعوا أوصال الأمة وجزأوا الديار هم «الحضريون» الأفندية المثقفون ثقافة عصرية، من أركان الدول القطرية، وأصحاب الأصوات العالية التي تلوث مصطلحات العروبة والوحدة العربية!..

والحركة السنوسية التي انطلقت من الصحراء، ثم تخطت هذه الصحراء من الخصوص البدوي إلى الفعل في الحضر البدو حول البدوية التي أقامها... ولا من تحويل هؤلاء البدو إلى طاقة في المد الإسلامي الذي مثلته هذه الحركة، لا في مقاومة الاستعمار فحسب، وإنما في نشر الإسلام، وإقامة السلطنات والدول الإسلامية في حزام إفريقيا - من شرق القارة إلى غربها - متجاوزة بذلك حدود الخرائط وعقبات «الطبيعة» والصحراء!..

ثم أين هي علاقة «الصحراء» و«البدو» و«البداوة» و«الحضارة» بالحدود التي قامت بين الولايات والإمارات في ظل دول وسلطنات العصر الإسلامي. أو في ظل تجربة «سايكس - بيكو» التي قررها ونفذها الاستعمار الغربي سنة ١٩١٦م - لمصالح وأهداف لا علاقة لها بالحضر ولا بالبيداء!..

إن حدود التجزئة في الوطن العربي، وخرائط الطائفية في هذا العالم لم يرسمها [illegible]

وهو أصل الصحراء والتحضر، ولا البدو والحضر، فصحاريها مجاورة هي والمدن جميعًا وأمراض التجزئة مصنوعة ومحروسة في مواطن البدو والمتحضرين على حد سواء!

ثم.. هل حدث في البلاد الإسلامية - التي لا صحارى فيها ولا بداوة - من هذه الأمراض حتى تُعَلَّق أمراض التجزئة وآفات التشرذم على «معطيات الزمن» من الصحراء.. والبداوة.. لتستسلم الإرادة العربية بهذا الموقف اليائس الذي يسقط الوثائق المصححة عن صانعيه؟!..

إن الخشية من تحشد... هو أن تخدم الاجتهادات الخاطئة - وهي مشروعة.. ويؤجر عليها أصحابها! - أن تخدم هؤلاء الذين يعملون على تكريس الهزيمة لدى الأمة.. والإجهاز على أملها في النهوض والانعتاق.. سواء أكانوا من غلاة الذين لا يرون سوى «التعددية» و«التنوع» و«الاختلاف» فينكرون «الوحدة» الجامعة للتعددية والتنوع والاختلاف.. أم من غلاة الذين لا يرون سوى «الوحدة»، وحدة الحضارة عقيدةً ونسبًا فينكرون حق أمتنا في التميز الحضاري عن حضارة غربية مهيمنة!

وبين هذين الغلوين يقف الاتجاه الوسطي، المتوازن، العادل.. الذي لا ينكر وحدة الأمة.. ولا ينكر التعددية والتنوع والتمايز والاختلاف في إطار هذه الوحدة.. يرى ذلك حقيقة تاريخية.. ويسلكها في إطار سنن الله في سائر ميادين الخلق - التعددية في إطار الوحدة - وهي سنن لا تبديل لها ولا تحويل!

وبهذا الاتجاه الوسطي يكون التصدي لمخططات التفتيت والتفكيك.. ويكون التصحيح للاجتهادات الخاطئة في هذا الميدان!

* * *

وبعـــد...

[illegible]

[illegible] التمايز الحضارى لأمة الإسلام..

■ [illegible] ويستظلون برباط جامع لهم، وموحِّد بينهم.. والوحدة [illegible] أنها لا بد وأن تكون مكوَّنة من وحدات وأجزاء، [illegible]

■ [illegible] والاختلاف، والارتفاق والتركيب

■ ولقد جعل الله الاختلاف [illegible]

■ ولقد رأينا كيف [illegible] «اللأُمة» لكن ما فى الوحدة [illegible] الاجتماع البشرى وسياسة الملوك [illegible]

■ [illegible] التي تفردت وانفردت بأرقى تصورات الأحدية، [illegible] [illegible] التجريد في التوحيد ـ حتى لتعجز العقول عن إدراك هذه التصورات، وتعجز اللغات عن التعبير عن حقيقتها!.

[illegible]

■ ولما كانت أحدية الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ [illegible]

[illegible]

[illegible] الأقلام والبحر يمده من بعده سبعة [illegible]

■ وهذا الدين الذي جعله الله هداية للإنسان [illegible] الإسلام ـ الطاعة لله ـ قد توحدت أصوله في كل الرسالات السماوية، من [illegible] إلى محمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ [illegible] الدين عند الله الإسلام [illegible] ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣]..

[illegible] جعلكم أمة واحدة [illegible]

■ [illegible] الشريعة الإلهية [illegible] المجتهدون، فيصبح لكل حكم [illegible] حقه «حكم الله وحاكميته»، التي [illegible] هذا الحكم..

[illegible] الشريعة وقواعدها، وليست مجرد رؤية وتبليغ.. فتتعايش [illegible] في إطار الشريعة ذات [illegible] الواحدة.

■ [illegible] وتعدديه في مستويات الخطاب [illegible] مستويات المخاطبين..

■ [illegible] حضارية عبر المسيرة المعرفية للإنسان..

■ وكما هو الحال في رؤية الكون، [illegible] المعرفة الإنسانية ـ الوحدة الخاضعة للتنوع [illegible]

[illegible] ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة [illegible] خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم [illegible] ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴿٢٢﴾ [الروم: ٢٢].

■ [illegible] لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [المائدة: ٤٨] وتعددت في إطارها كذلك ـ الأقوام الذين [illegible]

[illegible] والأرض واختلاف [illegible] وألوانكم [illegible] في ذلك لآيات [illegible] [الروم: ٢٢] [illegible] والمذاهب والأحزاب [illegible]

■ وفي إطار التنوع [illegible] الذي يهذب الواقع، والتراكم في الثقافة [illegible] وتمايز الحضارات، [illegible] للأمة، ومكانته في الأسرة، ومكانة الأسرة في المجتمع [illegible] والأعراف..

فأينما يمم الإنسان وجهه، وأعمل فكره، ومدّ بصره، وتفحصت بصيرته، وفقه قلبه، وتدبر عقله رأى سنة الله التي لا تبديل لها ولا تحويل ـ الوحدة الجامعة لألوان من التعددية والتمايز والاختلاف [illegible] والتعددية المستقلة وحداتها بجامع الوحدة. في كل عوالم الخلق: المادي منه والفكري، الحيواني منه والإنساني، [illegible] منه والمحلي، العام منه والخاص..

■ وإذ كانت هذه الصيغة الإسلامية لعلاقة الوحدة [illegible] جامعة ـ فإن هذا يجعلها وسطًا متوازنًا بين حدي الإفراط والتفريط.

عن الإفراط ـ الذي لا يرى سوى الاختلاف [illegible] فكون تشرذمًا.. لا تنوعًا

وعن التفريط ـ الذي لا يرى [illegible] والاختلاف والتمايز

ومن ثم [illegible]

[illegible] الرؤية الإسلامية لهذه القضية [illegible]

[illegible]

الجوامع [illegible] وحدة العقيدة، والشريعة، والأمة، والحضارة، ودار

الإسلام [illegible] لأمة

الإسلام..

وصدق الله العظيم:

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٩٢) ﴾ [الأنبياء: ٩٢]

﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨) ﴾ [المائدة: ٤٨]



المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **كتب السنة:**

١ ـ صحيح البخاري ـ طبعة دار الشعب ـ [illegible]

٢ ـ صحيح مسلم ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

٣ ـ سنن الترمذي ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م

٤ ـ [illegible]

٥ ـ [illegible]

٦ ـ [illegible]

٧ ـ سنن الدارمي ـ طبعة [illegible]

٨ ـ الموطأ ـ للإمام مالك ـ طبعة دار الشعب ـ [illegible]

٩ ـ مسند الإمام أحمد ـ طبعة القاهرة سنة ١٣١٣هـ

- **معاجم القرآن:**

١ ـ [illegible]

٢ ـ معجم [illegible] الكريم، وضع: مجمع اللغة العربية [illegible]

٣ ـ [illegible] ١٩٩١م

٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ [illegible] وآخرين ـ طبعة ليدن سنة ١٩٣٦ ـ [illegible]م

٥ ـ مفتاح كنوز السنة ـ وضع: ونسنك (أ. ى) [illegible] لاهور سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

• المصادر والكتب الأخرى:

- آدم متز [illegible] في [illegible] عبدالهادي أبو ريدة. طبعة بيروت سنة ١٩٦٣م
- ابن أبي الحديد [illegible] القاهرة سنة ١٩٥٩م
- ابن تيمية [illegible]
- ابن حزم الأندلسي: [illegible] ١٩٦٠م
- [illegible]
- ابن خلدون [illegible]
- ابن رشد (أبو الوليد). [illegible] د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م.
- [illegible]
- ابن سيد البطليوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد [illegible] رضوان الداية. طبعة دمشق سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- ابن عساكر [illegible]
- ابن القيم [illegible] سنة ١٩٧٧م.
- ابن منظور: (لسان العرب) طبعة دار المعارف. القاهرة
- أبو البقاء الكفوي: (الكليات) تحقيق. [illegible] دمشق سنة ١٩٨١م
- أبو حيان التوحيدي [illegible] سنة ١٩٤٤م
- [illegible]
- دكتور أحمد حسين الصاوي [illegible] سنة ١٩٨[illegible]

أرنولد [illegible] (الدعوة إلى الإسلام): [illegible] عابدين، إسماعيل النحراوى. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

الأفغانى (جمال الدين) [illegible] طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.

- أمين سامى (باشا): (التعليم فى مصر) طبعة القاهرة سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م.

آن مارى شيمل [illegible] م

- الإيجى، والجرجانى (شرح المواقف) [illegible] م

- الباقلانى: (التمهيد فى الرد على الملحدة [illegible] ٩٤٧

- البلخى، والقاضى عبدالجبار، والحاكم الجشمى [illegible] تحقيق فؤاد سيد. طبعة تونس سنة ١٩٧٢م.

التهانوى: (كشاف اصطلاحات الفنون) طبعة الهند سنة ١٨٩١م

- تيدوروبرت جار [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

التيفاشى [illegible] محمود بسيونى، طبعة القاهرة سنة [illegible]

- الجاحظ: (رسائل الجاحظ) [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م

: (كتاب الحيوان) تحقيق عبدالسلام هارون [illegible]

الجرجانى (الشريف). [illegible] م

- جمال الدين عطية: [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م

: (التنظير الفقهى) طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- دكتور جورج قرم: [illegible] م

الجوينى (إمام الحرمين) [illegible] م

جيانى ديمكليس [illegible] ١٩٩٠م

- الدهلوى (ولى الله): (حجة الله البالغة) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ

- الرازي (الفخر): التفسير الكبير ومفاتيح الغيب طبعة بيروت سنة [illegible] هـ ١٩٨١م.
- دكتور رضوان السيد: الأمة والجماعة والسلطة طبعة بيروت سنة ١٩٨٤م
- رفيق البستاني، فيليب فارح: (معجم مصطلحات [illegible] العربي) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م.
- زكي نجيب محمود: دكتور [illegible] الموسوعة الفلسفية المختصرة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م.
- الزمخشري: (الكشاف) طبعة القاهرة سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م
- زينب عطية محمد: (أصول [illegible] القرآن الكريم) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م.
- دكتور سعد الدين إبراهيم: ([illegible]) في الوطن العربي) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م
  ([illegible] في الوطن العربي) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م
  : (المجتمع والدولة في الوطن العربي) طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م
- سلامة موسى: (اليوم والغد) طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م
- د. سليم نجيب [[illegible]] طبعة القاهرة [illegible] ٢٠٠٠م
- سيد قطب: (في ظلال القرآن) طبعة بيروت سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م
- السيوطي (جلال الدين): ([illegible]) طبعة القاهرة ١٣٨٢هـ
  ([illegible] في كل عصر [illegible])
  طبعة بيروت سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الشاطبي: (الموافقات في أصول الأحكام) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
  طبعة القاهرة ـ محمد على صبيح (د. ت)
- الشافعي: (الرسالة) تحقيق أحمد محمد شاكر طبعة بيروت ـ المكتبة العلمية
  (مصورة عن طبعة القاهرة).
- شئون دولية: مجلة [illegible] جامعة كمبردج ـ المجلد [illegible] العدد [illegible] سنة
  ١٩٩١م
- شنودة (الثالث ـ البابا): [illegible] سنة ١٩٨٥م

- الشهرستاني [illegible] ١٣٣١هـ

(نهاية الإقدام في علم الكلام) [illegible] طبعة مصورة (د. ت. ن)

- صامويل . ب . هانتنجتون [illegible] ترجمة: عبدالمنعم محفوظ . مجلة (الحرس الوطني) السعودية، عدد ذو القعدة ـ ذو الحجة سنة ١٤١٦هـ/ مارس إبريل سنة ١٩٩٦م

- صفي الدين عبدالمؤمن البغدادي [illegible] تحقيق: علي البجاوي . طبعة القاهرة سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- صفي الرحمن المباركفوري: (الأحزاب [illegible] في الإسلام) طبعة [illegible] ١٤١١هـ/ [illegible]

- دكتور صلاح الصاوي: (التعددية [illegible] الإسلامية) طبعة القاهرة سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- الطباطبائي، محمد حسين [illegible] ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- الطبرسي: (جوامع الجامع في [illegible])

- دكتور طه جابر العلواني [illegible] في الإسلام [illegible] ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

[illegible] الإسلامي [illegible] ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- دكتور طه حسين: (مستقبل الثقافة في مصر) طبعة [illegible] سنة ١٩٣٦م

- الطهطاوي (رفاعة رافع) [illegible] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

- عبدالرحمن عبدالخالق: (الرد الوجيز على الشيخ [illegible]) طبعة [illegible] ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م (د. ن).

- دكتور عبدالرزاق السنهوري: (دكتور [illegible] السنهوري [illegible] الشخصية) طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م

([illegible]) [illegible] ٢٠٠٦م

- عبدالحسن عيسى [illegible] ١٩٩٥م

- عبدالله إبراهيم صلاح : (القرافى وأثره فى الفقه الإسلامى) طبعة مالطا سنة ١٩٩١م.
- عبدالوهاب الكيالى (دكتور - محرر) : (موسوعة السياسة) طبعة بيروت سنة ١٩٨١.
- على بن أبى طالب (الإمام) : (نهج البلاغة) طبعة دار الشعب ، القاهرة.
- دكتور غالى شكرى : صحيفة (الوفد) - القاهرة - عدد ٢١ يناير سنة ١٩٩٣م.
- الغزالى (أبو حامد) : (تهافت الفلاسفة) طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م
: (الاقتصاد فى الاعتقاد) طبعة القاهرة - مكتبة صبيح - (د. ت).
: (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.
: (فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام الغزالى) ترجمها عن الفارسية د. نور الدين آل على. طبعة تونس ١٩٧٢م.
: (المضنون به على غير أهله)
: (القسطاس المستقيم).
: (إلجام العوام عن علم الكلام).
: (الرسالة اللدنية) طبعة القاهرة - ضمن مجموعة "القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى" - مكتبة الجندى.
- القرافى (شهاب الدين) : (الإحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضى والإمام) تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة. طبعة حلب سنة ١٩٦٧م.
: (كتاب الأمنية فى إدراك النية) تحقيق: عبدالله إبراهيم صلاح. طبعة مالطا سنة ١٩٩١م.
- القرطبى : (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار الكتب المصرية. القاهرة.
- الكواكبى (عبدالرحمن) : (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٥م. وطبعة دار الشروق - القاهرة ٢٠٠٧م.
- المالكى، أبو عبدالله محمد بن فرج : (أقضية رسول الله (ﷺ) تحقيق : د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٨م.
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : (المنتخب فى تفسير القرآن) طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م.

- مجمع اللغة العربية: (المعجم الفلسفى) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.
: (المعجم الكبير) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
- محمد أمزيان: (منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية) طبعة واشنطن سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- دكتور محمد جابر الأنصارى: (تكوين العرب السياسى ومغزى الدولة القطرية: مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربى) طبعة بيروت سنة ١٩٩٥م.
- محمد حسنين هيكل: (المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل) - الكتاب الأول - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦.
- محمد حميد الله (دكتور - محقق): (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.
- محمد رشيد رضا: (تفسير المنار) طبعة دار المعرفة. بيروت.
- محمد السماك: (الأقليات بين العروبة والإسلام) طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.
- محمد عاطف غيث (دكتور - محرر): (قاموس علم الاجتماع) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.
- الأستاذ الإمام محمد عبده: (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.
: (رسالة التوحيد) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- محمد الفاضل بن عاشور: (التحرير والتنوير) طبعة تونس سنة ١٩٨٤م.
: (روح الحضارة الإسلامية) طبعة واشنطن سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- دكتور محمد عمارة: (تيارات الفكر الإسلامى) طبعة القاهرة سنة ١٩٩١م.
: (الإسلام والسياسة) طبعة القاهرة سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
: (الحضارات العالمية تدافع أم صراع؟) طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
: مجلة [المنار الجديد] العدد ٣٩ - صيف سنة ٢٠٠٧م [عن الكنيسة والدولة والفتح الإسلامى لمصر].
: (هل الإسلام هو الحل. لماذا. وكيف؟) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.
- مراد وهبة، يوسف كرم، يوسف شلالة: (المعجم الفلسفى) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦م.

- م. روزنتال، ب. يودين: (الموسوعة الفلسفية) ترجمة: سمير كرم. طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م.
- دكتور مصطفى حلمي: (نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى) طبعة دار الدعوة - الإسكندرية.
- المقريزى: (السلوك لمعرفة دول الملوك) تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.
: (الخطط) طبعة دار التحرير. القاهرة.
: (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) تحقيق: د. جمال الدين الشيال طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.
- مكسيموس مونروند: [تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق المدعوة حرب الصليب] ترجمة مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.
- المودودى (أبو الأعلى): (نظرية الإسلام السياسية) ترجمة: جليل حسن الإصلاحى. طبعة بيروت سنة ١٩٦٩م.
: (الحكومة الإسلامية) ترجمة: أحمد إدريس. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.
: (المبادئ الأساسية لفهم القرآن) ترجمة: خليل أحمد الحامدى. طبعة الكويت سنة ١٩٧١م.
- ميشيل عفلق: (الكتابات السياسية الكاملة) طبعة بغداد سنة ١٩٨٧م، ١٩٨٨م.
- دكتور ميلاد حنا: (نشرة «المجتمع المدنى» - يصدرها «مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية» عدد ٥٠ فى فبراير سنة ١٩٩٦م.
- النفّرى: (المواقف والمخاطبات) تحقيق: آرثر آربرى: تقديم د. عبدالقادر محمود. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.
- نيكسون (ريتشارد): (الفرصة السانحة) ترجمة: أحمد صدقى مراد. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.
- الواحدى النيسابورى: (أسباب النزول) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.
- ويلى كلايس: (صحيفة «سكوتسمان») - الأمريكية - عدد ٢٧ فبراير سنة ١٩٩٥م.

* * *

هذا الكتاب

• فى الإسلام تبلغ التعددية مكانة « السنة » و« القانون » الإلهى، الذى لا تبديل له ولا تحويل ..

• فهى ليست مجرد حق من حقوق الإنسان، يخضع للمنح .. والمنع - والتنازلات .. والمساومات!..

• وهى - أيضا - لاتقف عند السياسات .. وانما هى القانون العام فى جميع أنحاء عوالم المخلوقات .. من الجماد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان إلى الأفكار .. فما عدا الذات الإلهية قائم على التعدد والتنوع والاختلاف.

• لكنها لاتصل إلى التفكيك .. والتفتيت .. وخاصة فى الثوابت والأصول، التى تمثل الوحدة والأرض المشتركة، التى تحتضن التنوع والاختلاف ..

• ولتقديم المذهب الإسلامى المتميز فى فلسفة التعددية .. وتطبيقاتها .. ولكشف الغموض فى هذه المعضلة الفكرية .. يصدر هذا الكتاب ..

